

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها:
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية

العدد الثامن، السنة العشرون، رمضان 1399 / غشت 1979



شهرية
تعنى بالدراسات
الإسلامية وبشؤون
الثقافة والفكر

دعوة الحق

السنة العشرون / العدد الثامن
رمضان 1399 / غشت 1979

تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

بيانات إدارية

- تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - مديرية الشؤون الإسلامية

ص ب : 375 - الرباط - المغرب

الهاتف : 10 - 632

- الاشتراك العادي عن سنة 65 درهماً للداخل و 70 درهماً للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر.
- السنة عشرة أعداد . لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .
- تدفع قيمة الإشتراك في حساب :

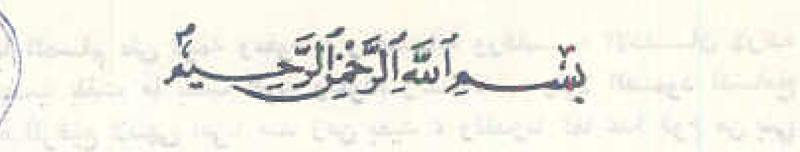
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

- لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

فهرس





الافتتاحية :

رسالة الإسلام

●● لم يكن للمغرب من رسالة عبر العصور الا الدفاع عن الاسلام والعروبة ، وحماية بيضتهما ، والذب عن حياضهما ، والانتصار لقضاياهما. وقبل ان يشرق فجر الاسلام فى هذه البلاد كان أهلها حماة الشرف والطهارة والنبل والاباء والقوة وهمة النفس ونبل الطبع ، رفضوا الانصياع لارادة الغزاة والمستعمرين ، واستنكفوا من العيش فى ظل القهر والعبودية ، فحملوا السلاح ، وظلوا يحملونه قرونا طوالا حتى اذا ما أقبلت الافواج الاولى من الفاتحين المسلمين ، واجهوها أول الامر بهذا السلاح نفسه ، وحاربوها اشد المحاربة ، ولم تلن لهم قناة ولم يضعفوا عند الضربة الاولى ، الى ان استيقنوا من صدق النوايا وحسن الطوايا ، وشرف المقصد ، وطهارة الغاية ، وسلامتها من أغراض الدنيا الزائلة . وكان ان تعثر الفتح الاسلامي لبلادنا عدة مرات ، وتكسرت النصال على النصال ، الامر الذي لم يسبق له مثيل منذ بدأت حركة الفتح العربي الاسلامي شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .

وبدخول الاسلام الى المغرب واستقراره فى القلوب والعقول أصطبغ الاباء المغربي الشهم بالصبغة الدينية ، فصار عقيدة راسخة ، تغلغلت فى وجدان الشعب ، وتمكنت من جميع فئاته ، وباتت الطابع المميز لكل من يستظل بسماء المغرب ، وينتمي الى هذه الارض انتماء الفكر والعقيدة والدم .

وليس من المبالغة فى شيء ان كل ما واجهه المغرب من ضروب الصدام ــ أيا كان مصدره الشمال أو الشرق ــ انما كان سببه حرص

شعبنا المسلم على قيمه ومقوماته ومقدساته ورفضـــه الاذعـــان لارادة المغتصب بلغت ما بلغت قوته ونفوذه وسلطانه . ولولا الصمود الشامخ والاباء الرفيع لانتهى امرنا منذ زمن بعيد ، ولغدونا كما غدا قوم من بني جلدتنا وارومتنا ، تابعين لهذه السلطة او تلك ، لا نملك من امر انفسنـــا شيئا . بل لعلنا نستطيع ان نقول انه لو لم تكن فضيلة الرفض خصلـــة متمكنة منا لذهبت ريحنا وانمحى الاسلام من هذه الارض كما انمحى في العدوة الشمالية على النحو الذي نعرف جميعا .

ولقد كان الاستعمار الى عهد قريب يحسب هذه الفضيلة فينا مذمة وسبة ونقيصة ، ويعدها من رواسب ما كان يسميه بعصـــور التخلـــف والانحطاط ، ومن بقايا التعصب والتزمت . وقد نشا جيل من اجيـــال المغرب الحديث على هذه الفرية الباطلة ، ولم ينج منها الا من رحم ربك، ممن التمسوا الوقاية والحصانة في ارثنا الحضاري .

● ولا عجب ان نرى مخططات الاستعمار منذ ان تمكن من بلادنـــا تنصب على اضعاف قوة صمود شعبنا بدعوى التحرر من الفكر القديـــم والاستجابة لدعوة التنوير والتحديث ، حتى اذا ما لقي مقاومة شديدة ، وصادف معارضة قوية ، صرف همه الى الارض بدل العقل ، وجعـــل هدفه السيادة الترابية ، يتطاول عليها ، وينتقصها ، ويقتطعها ويمزقها ، ويجد في هذا الانتقاص والاقتطاع والتمزيق حتى احال البلاد الى اجزاء متفرقة واقاليم ممزقة ، فضعفت شوكة المغرب ، وعظم كيد الاستعمار ، وقوي التحدي ، حتى ليكاد يستغرقنا ربع القرن الاول من الاستقلال في معارك متصلة لرتق الفتق ، ولم الشتات ، وجمع الشمل ، واعادة الوحدة الترابية المغربية الى ما كانت عليه قبل فرض الحماية في مستهل العقد الثاني من هذا القرن . وكان ان استنزف هذا الجهد المرهق طاقاتنـــا الجديدة ، واضر باقتصادنا الفتي ، وعرقل نمونا الاجتماعي . ولم يقتصر الخطر على الجانب المادي من مسيرتنا الاستقلالية ، وانما تعدى ذلـــك بكثير الى المجالات الفكرية والثقافية والتعليمية ، لشدة المواجهة مـــع رواسب الماضي ، وضراوة معركة التحرير ، وعنف التآمر الاستعماري الذي تعددت اسبابه ، وتنوعت وسائله ، واختلفت واجهاته باختلاف كل مرحلة منذ اعلان الاستقلال الى يومنا هذا .

كانوا يريدونه مغربا هزيلا محاصرا من كل جانب ، مهيض الجناح ، فاقد القدرة ، محدود القوة ، ياتمر بامرهم ، وينصاع لارادتهم ، ويسير في ركبهم ، انتقاما منه ، وحقدا عليه ، وكراهية فيه ، وامعانا في الاساءة اليه . وقد عملوا لهذا ما وسعهم العمل ، ولم يتركوا وسيلة تقربهم من تحقيق اهدافهم الا واستغلوا اخبث ما يكون الاستغلال ، فتارة يدعـــون الى عنصرية قبلية بغيضة ، وتارة يسعون لتفريق الصفوف المتراصة ، وفي احايين كثيرة يعمدون الى اشاعـــة روح الانهـــزام والتخـــاذل والاستسلام ، ولم يغنهم تمزيق الارض فتطلعوا الى تمزيـــق العقـــل ، فاستعصى عليهم الامر ، لحصانة العقل المغربي ، وقدرته الذاتيـــة على

الدفاع ، ولمتانة التركيب الاجتماعي ، وقوة الردع والمجابهة والتصدي التي تسري في الكيان الشعبي فتكسبه مناعة دونها أية مناعة .

وانتصرت ارادة الله ، لانه سبحانه وتعالى أراد أن يبقى المغرب رباطا للاسلام ، وقاعدة اشعاع حضاري وفكري على مر العصور . وكان هذا ما اغاظ الخصوم ، فوالوا مكرهم واستانفوا تآمرهم ، مستهدفين مستقبل هذه البلاد ، وطامعين في تقليص دوره على جميع الاصعدة ، فكان ما نعرف جميعا من محاولات التطاول على السيادة والنيل من المهابة والتشويش والتشهير والقمع الديبلوماسي ضد سمعة المغرب ومكانته ودوره التاريخي العظيم .

ونستطيع أن نقول ان صمود المملكة المغربية في عهد الاستقلال لا يقل نقلا عن صمودها في عهد الحماية البغيض . فقد اختلفت الاسباب والمعركة واحدة ، والهدف واحد ، ومصدر الشر واحد لم يتغير ، وان تغيرت الاسماء والالقاب والشعارات .

●● لقد حلت في هذا الشهر ثلاث ذكريات ذات مغزى واحد ، وان تباعدت ازمنتها ، واختلفت مناسباتها ، ذلك ان ذكرى وفاة جلالة المغفور له محمد الخامس ـ قدس الله روحه ـ لا يمكن ان تفصل عن ذكرى ثورة الملك والشعب التي اندلعت يوم 20 غشت سنة 1953 ، لتحرر المغرب ، وترفع راية الاسلام ، وتقهر الصليبيين الجدد . وهما معا يمتان باعمق الصلات الى معركة وادي المخازن التي حلت ذكراها 401 في الرابع من غشت . ونحن نجد تطابقا تاما في هذه المعاني التي يعرف شعبنا بحسه الايماني كيف يستلهمها لتعبئة نفسه في معركة الصمود والمواجهة الحالية .

وتشاء ارادة الله أن يسترجع المغرب اقليم وادي الذهب في يوم الرابع عشر من غشت . لتكتمل الملامح المشرقة للمغرب الجديد ، وليبلغ التحدي مداه في معركة بئر انزارن باقليمنا المسترجع ، فيكرم الله أبناءنا الابطال بالشهادة في ذكرى يوم بدر .

اننا لا نستطيع النظر الى هذه الاحداث والذكريات والمواقف خارج اطار المؤامرة الدولية ضد الاسلام والمسلمين . فمما لا مراء فيه ان الخطر الذي يواجهه المغرب اليوم يدخل في صميم الاستراتيجية الدولية لتطويق الشعوب الاسلامية وحصارها داخل نطاق الهيمنة والتبعية ومراكز النفوذ الاستعماري . ولذلك فلا عجب ان يتواطأ خصومنا من كل مذهب ولون ، ويتفقوا بكيفية أو باخرى ضد وحدتنا وسيادتنا وحاضرنا ومستقبلنا .

● هذا البعد الايديولوجي للصراع في منطقتنا يساعدنا على فهم الامور على حقيقتها وادراك طبيعة الغارة الصليبية والالحادية الجديدة .

ومن الحق ان نقول اننا نقف فى ساحة مواجهة فكرية وعقائديــة يرفع فيها السلاح لفرض ارادة الشر ، وبسط النفوذ ، فى محاولة جادة ومستميتة لقهر شعوب المنطقة المتمسكة باسلامها .

وتلك هي معركة المغرب اليوم وغدا . وهي استمرار لمعاركــه بالامــــــس .

ولعل اقوى حافز للاستمرار فى هذا الطريق الصعــب التفــاف الشعب حول قيادته الحكيمة وثقته المطلقة فى رشدها وحنكتها وقدرتها على الوفاء لقيم هذا البلد ومقدساته .

ولا جدال ان جلالة الملك الحسن الثاني بثاقب فكره وبعد نظــره ورجاحة عقله يعي الوعي الكامل ابعاد ما يحيــط بنا مــن تهديــدات وتحرشات ومساومـــات .

● والقضية فى عمقها وجوهرها واهدافها تتجــاوز المصطلحــات المزيفة والشعارات الباطلة مثل تقرير مصير ، وحق الشعوب ، الى التآمر على الاسلام وتهديد امن المغرب الذي هو وحده اليوم ربـــاط الاسلام فى افريقيـــا .

« دعوة الحق »

جلالة الملك الحسن الثاني يعلن ارادة الملك والشعب :

• قررنا أن تكون هجرتنا الى صحرائنا وقفا علينا وعلى أبنائنا وحفدتنا.

●● تميزت الدروس الحسنية الرمضانية لهذه السنة بالكلمة السامية التي تحدث فيها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله عن موقف المغرب من التحولات الجديدة فى شمال غرب افريقيا على ضوء تنصل موريطانيا من التزاماتها القانونية والدولية . وفى هذا الصدد قال جلالة العاهل : « لا يمكن لموريتانيا أن تتخذ ، كما لا يمكن للمغرب أن يتخذ تشريعا داخليا يجهل أو يتجاهل ما بين الدولتين من اتفاقات دولية » .

وكانت الدروس الحسنية قد افتتحت فى رحاب القصر الملكي العامر بالرباط بدرس قيم للاستاذ عبد الله كنون أمين عام رابطة علماء المغرب . وشارك فيها كل من الاساتذة العلماء الاجلاء : الشيخ الدكتور الحبيب بلخوجة مفتي الديار التونسية ، والدكتور صبحي الصالح ، والشيخ محمد المكي الناصري .

ونشر فى هذا العدد نص الحديث الملكي السامي :

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

« ان افضل الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار » .

شعبي العزيز
حضرات السادة :

بدا الامام البخاري رضي الله عنه صحيحه فى الحديث بكتاب الايمان وفتح كتاب الايمان بالحديث المشهور .. « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء

ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله » .

لست بصدد تفسير حديث من احاديث جدي صلى الله عليه وسلم ، وليس هو موضوع اليوم ، موضوع اليوم ان الهجرة ــ حسبما اعتقد شخصيا في معنى هذا الحديث هو القصد ، القصد المستمر ، هو وقف الحياة ، وقف الروح وقف الاجيال على هدف يجب الوصول اليه ، وحينما يصل اليه يجب توطيد اركانه وتدعيم بنيانه .

شعبي العزيز :

راجت في هذه الايام الاخيرة اخبار تتأكد كل يوم ان موريطانيا ربما ستتخلى عن الجزء الصحراوي المسمى بتيريس الغربية .

شعبي العزيز :

اننا مرارا وتكرارا صرحنا ولا زلنا نصرح ، بان موريتانيا ذات سيادة ، فلها ان تشرع كما تريد من الناحية الداخلية في حدود بلدها الدولي المعترف به اليوم والمتعامل به اليوم ان نظرية تجعل ان الاتفاقيات الثنائية او المتعددة الاطراف ذات الصبغة الدولية تلزم الموقع عليها اكثر مما يلزمه قانون داخلي ، وبعبارة أوضح ، لا يمكن لموريتانيا أن تتخذ كما لا يمكن للمغرب ان يتخذ تشريعا داخليا يجهل او يتجاهل ما بين الدولتين من اتفاقات دولية .

وهنا يجد المرء والقانون ان السيادة لها حدود حينما تتعلق بالمشاكل الثنائية أو المتعددة الاطراف ذات الصبغة الدولية .

فاذا ما قامت موريتانيا بعمل مثل هذا ، فسوف يكون على المغرب اذ ذاك ان يتخذ مسؤولية، ولا اقول مسؤولياته ، أي المسؤولية الوحيدة الضرورية الواجبة وهي مسؤولية الدفاع عن البقاء ، عن البقاء في اطار الاصالة في اطار الحرية في اطار الديمقراطية ، في اطار الاسلام ، في اطار الطمأنينة المنتشرة طولا وعرضا وشمالا وجنوبا .

وحينما يقول بعض المسؤولين الموريتانيين انهم سوف يسلمون ما لديهم من الادارة فهم نسوا أو تناسوا انهم نظموا انتخابات محلية ووطنية في بلدهم ، نسوا او تناسوا انهم ابرموا اتفاقيات مع دول مختلفة للصيد البحري على شواطئهم من الداخلة الى نهاية جنوب موريتانيا .

وهكذا اذا أصبح التعامل الدولي يسمح بأن « كلام الليل يمحوه النهار » فاننا نتساءل : كيف يمكن لقارة مثل افريقيا التي لا زالت تتعلم كيف تقف على رجليها ، كيف ستتمكن افريقيا من الوصول الى تلك الوقفة العملاقة ، الى ذلك الصيت الذائع الى تلك السياسة الجريئة ، الى تلك الاخلاق الفاضلة .

شعبي العزيز :

فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى صحرائه فهجرته الى صحرائه .

قررنا ان تكون هجرتنا الى صحرائنا وقفا علينا وعلى أبنائنا وحفدتنا ، ذلك لان الاسلام ليس في حاجة الى احد ، ولكن في حاجة الى رباط ، فرباط الاسلام في هذه البقعة من افريقيا هو المغرب ، وضروري أن يبقى للاسلام رباط فاذا نحن سمحنا للماسخين المارقين الذين لا يعيرون للسنة النبوية وزنا ، أن يتسربوا الى بلدنا المسلم المومن ، باكاذيبهم وبتكذيبهم للحديث وبتحريفهم لقول الله سبحانه وتعالى ، سوف نكون قد جنينا على انفسنا وجنينا كذلك على العالم الاسلامي ، اننا سنكون قد اخللنا بواجب من واجباتنا الا وهو اعدام الرباط ، رباط الخيل ، رباط الجهاد ، رباط العمل في سبيل الله .

لذلك شعبي العزيز ، عليك أن تعلم اننا نتتبع، نتتبع الاحداث بصرامة هادئة ، ذلك أن الوقت يقتضي التبصر والتحليل .

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » ، وانا اترجمها بالعربية الدارجة : كبرها تصغار ، وهذا « كبرها تصغار » كانت دائما ، ومعينوني الاقربون يمكنهم أن يشهدوا بذلك منذ ان اعتليت عرش اجدادي وأسلافي رحمهم الله ــ كانت ركن من أركان سياستي في الداخل وفي الخارج .

استسمح الاستاذ الشيخ المكي الناصري ان اخذت له الكلمة اليوم ، ولكن الاستاذ الشيخ المكي الناصري ليس أستاذا فحسب ، فهو استاذ في الوطنية ، وله باع طويل في الوطنية ، ولا زلنا نتذكر أول درس في الوطنية القاه علينا سنة 1947 حينما قام والدنا المنعم محمد الخامس طيب الله ثراه بسفر الى طنجة ، وكان ذلك في نادي حزبه ، وكانت محاضرته اذ ذاك ان لم تخني ذاكرتي ، « المدرسة المحمدية في الوطنية » .

ولاول مرة في حياتي ، وانا شاب استعمت الى تحليل علمي للمدرسة الوطنية المدرسة المحمدية ، وعساه ان يراجع تحليله حتى يمتعنا وجميع الناس باعادة على ضوء الاحداث الاخيرة والسنين الاخيرة، لذلك التحليل الذي لن ننساه ولن ننساه ، وسوف نعطيه الكلمة غدا ان شاء الله .

وبكيفية عامة ارجو من السادة العلماء المحاضرين ان يكونوا في حديثهم ، لا اقول مختصرين ولا مقصرين ولكن جامعين لاكثر ما يمكن من المعاني في اقل ما يمكن من الوقت ، ولا سيما في الثلاثة ايام او الاربعة أيام المقبلة نظرا لاشغالنا ومشاغلنا التي هي شغل الجميع ومشاغل الجميع .

والله سبحانه وتعالى لم يعودنا الا الخير ، فقد عودنا بعض المفاجآت حتى نستيقظ ، ولكن عندما نستقيظ ونتخذ التدابير نجده دائما سبحانه وتعالى بجانبنا يحمي حمانا ويهدي خطانا ويثبت اقدامنا ويشع الروحانية الخلاقة في قلوبنا وافئدتنا.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد ان هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، انك انت الوهاب .

شعبي العزيز :

كن يقظا ولكن اكمل صيامك واكمل شهر الصيام بما له وبما فيه من اللجوء الى الله والذكر والامساك وهو الصيام عن كل رديئة ، وسر في تتبع الفضيلة لان الحسنة تعظم بحسب المكان والزمان ، فزمان رمضان ، مما لا شك فيه ، هو زمان الثواب والاجر المضاعفين ، ونحن في حاجة الى قوة الله وقوتنا ، وقوتنا من قوة الله .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وضروري أن يبقى للاسلام رباط . فاذا نحن سمحنا للماسخين المارقين الذين لا يعيرون للسنة النبوية وزنا ان يتسربوا الى بلدنا المسلم سوف نكون قد جنينا على انفسنا وعلى العالم الاسلامي .

خطاب جلالة الملك الحسن الثاني في الذكرى الخمسينية لميلاده السعيد

●● وجه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، خطابا هاما الى شعبه الوفي بمناسبة الذكرى الخمسينية لميلاد جلالته وأعياد الشباب ، ونقل الخطاب مباشرة من القصر الملكي بفاس على امواج الاذاعة وشاشة التلفزة وأعلن العاهل الكريم في خطابه أن جلالته سيتوجه الى منروفيا لحضور مؤتمر القمة الافريقي شريطة حضور الرئيس الجزائري، وأكد العاهل الكريم على مغربية الصحراء وقال حفظه الله : « ان الصحراء مغربية وستبقى مغربية » .

واستعرض جلالة الملك في خطابه السامي الاعمال التي قام بها الى جانب والده جلالة المغفور له محمد الخامس رحمه الله رحمة واسعة ، الى أن تقلد جلالته مسؤولية الحكم ليتابع المسيرة التي بدأها جلالة والده ، رضوان الله عليه، كما استعرض جلالته العلاقات المغربية الافريقية وأثار بعض مظاهر هذه العلاقات التي قامت وتقوم الى الآن على مبدأ الاحترام المتبادل والتعاون .

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي السامي :

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

تحتفل اليوم معي بالذكرى الخمسينية لعيد ميلادي ، واذا كان هذا اليوم مناسبة لك للفرح والابتهاج ، فهو مناسبة بالنسبة الى لاظهر نعمة الله علي ، وفضله علي ، كونه جعلني مغربيا اما وابا .

انني شعبي العزيز ، افتخر بمغربيتي واعتز بها ، ولا أعتقد يوما من الايام ، ولا ليلة من الليالي انني أصبحت او امسيت دون أن أفكر فيك ، لجلب

الخير اليك ، ودفع كل خطر يمكنه يهددك ، او حتى آن يكون من شانه ان يهددك .

خمسون سنة من المواطنة الا ان التفكير في المسؤولية وتقييم هذه المسؤولية وهذه المواطنة ، كل هذه الاحساسات بدات سنة الف وتسعمائة واربعة واربعين ، حيث كنت اذ ذاك شابا من خمس عشر سنة ، وكان ابي ، رحمة الله عليه ، وهو يرى تقلب وجهي ونظري ، في الارض وفي السماء وفي خضم الاحداث التي عشناها تلك السنة ، كانه رحمة الله عليه ، وهو يحس بهذه الاحساسات يوصيني دائما : تريد تحرير بلدك ؟ تريد رقي بلدك ؟ ، اذن اقرا ثم اقرا ثم اقرا .

وحينما نلت شهادة البكالوريا الثانية ، سالني، رحمة الله عليه ، : ماذا تريد أن تتبع من الدراسات في الجامعات ؟ كنت شغوفا بالتاريخ ، فقلت له : أريد ان ادرس التاريخ . فتعرض بكيفية صارمة لهذه الرغبة ، مفسرا موقفه بما يلي : « ان التاريخ ، ستجد من يحرره لك ، والقناطر من يمدها لك ، والقنوات من يحفرها لك والسدود من يشيدها لك ، أما الدفاع عن بلدك قدما بقدم ، يوما بعد يوم لا تجد الا نفسك ، ومعرفتك بالقوانين الدولية » .

وهكذا كان ، رحمة الله عليه ، يهيئني ، حتى تكون ، كما قلت لك آنفا ، كل الليالي وكل الايام كفاحا بعد كفاح .

وبعد الجامعة ، وبعد أن أقصى الديوان الملكي في أيام جوان ، هذه الاصابع الضعيفة والمتواضعة هي التي سطرت الحظ الكثير من التقارير ومن الرسائل الملكية التي كان يوجهها محمد الخامس ، طيب الله ثراه الى الجمهورية الفرنسية .

وبعد ما كتب الله لنا المنفى حاولت جهد المستطاع ان اكون الكاتب ، والحاجب ، ومدير التشريفات ، والمسلي ، والحيسوبي . واظن انني نلت هدفي لانه ، رحمة الله عليه ، في خطابه الذي القاه في يوليو سنة الف وتسعمائة وسبع وخمسين حينما قلدني ولاية العهد ، اظن انه ذكر في جملة ما ذكر كيف قمت بواجبي المتواضع الذي كان واجبا علي بجانبه ، رحمة الله عليه ، في المنفى .

ولم تمض الا سنون قليلة حتى أراد الله سبحانه وتعالى ان يجعلني في المنصب الذي انا فيه، وحاولت شعبي العزيز منذ ذلك اليوم الى يومنا هذا، أن اكون عند حسن الظن في تقويم ما اعوج وفي اعلاء ما كان منحدرا ، وفي تسطير ما كان مؤملا ، وفي تشييد ما كان مخططا .

وسرنا جميعا شعبي العزيز يدا في يد ، تلاقينا القراقيل والصعوبات ، بعض الايام لا تبتسم لنا ، ولكن معظمها تلاقينا بازهار النصر ، وعناق النجاح ، فاظن اننا جميعا خطونا خطوات وبلغنا اشواطا .

ان امامنا شعبي العزيز ، الكثير ، وما رأينا من مشاكل فذللناها ، وحواجز فاجتزناها ، الا الشيء القليل ، مما ينتظرنا جميعا في المستقبل ، لا لان مستقبلنا لن يكون زاهرا ، كما كان الماضي ، ولكن المشاكل تشعبت وتضخمت وتجسمت ، واصبحت ذات وجوه لا ذات وجهين ، ذات وجوه ، فعلينا اذن كاولئك الرواد للقمر لا نكتفي بالنصف الذي يراه البشر من القمر ، بل علينا أن نكون روادا حتى نطوف بالقمر أي بالعالم ، ونرى ونحلل ونبحث ذلك الوجه من القمر الذي يكون دائما مظلما ، والذي يشكل نقطة الاستفهام أو كان يشكل نقطة الاستفهام بالنسبة للعلماء والبشرية .

في الاسبوع المقبل شعبي العزيز سأغادر المغرب للسفر الى منروفيا عاصمة ليبيريا لحضور مؤتمر القمة لملوك ورؤساء الدول الافريقية .

بالطبع ساحضر هذا المؤتمر ، شريطة أن يكون فخامة رئيس الجمهورية الجزائرية حاضرا هناك ، اما اذا تغيب فبالطبع سيكون حضوري من باب الحشو والاطناب . ذلك لان الالتزام الذي يجب ان يلتزم به ، او القرار الذي يجب أن يتخذ ، وصل الى حد من الاهمية والجسامة والمسؤولية لا يمكن أن يفصل فيه الا الند والند . اما اذا لم يكن هناك التساوي المطلوب في المستوى السياسي فسيكون سفره بدوني او سفري دونه ، دون جدوى .

فماذا سيكون موقفنا في منروفيا شعبي العزيز ؟ موقفنا من نفسنا تعلمه انت وانا . موقف

المغاربة بالنسبة للمغاربة معروف ، الصحراء مغربية وستبقى مغربية ، ولن تكون الا مغربية ، حتـــى لا تبقى قطرة من دم على التراب المغربي .

ولكن هذا كله شعبي العزيز فى المجال الدولي لا يكفي ، بل يجب الاقناع ، والاقناع يكون سهــلا ويصبح فى متناول اليد اذا كان الاقتناع ، فاذا كان اقتناع المحامي موجودا أصبح اذ ذاك الاقناع سهلا، ولا سيما شعبي العزيز واننا كلما سرنا يوما بعد يوم او شهر بعد شهر رأينا ان حجم مشكلة الصحـــراء ونوعيتها ، بل حتى كنهها اصبح يتغير يوما بعد يوم. اصبح يتغير حتى بالنسبة للدولة الجزائرية بــل اصبح مشكل الصحراء كتلك البهلوانية أو المناورة التي اراد الساحر ان يقوم بها فافلتـــت من يديــه واصبحت تكون خطرا عليه هو نفسه ، واصبح عليه من الصعب ، ان لم نقل ، من المستحيل ان يحصرها فى حجمها الاول ، وهذا غير خاف لا على المغاربة ، ولا على الجزائرييـن ولا على الافارقـــة ، قضيـــة الصحراء ، أصبحت مطية لقوات منها ما ظهر ، ومنها ما بطن ، منها من هو فى قارتنا ، ومنها من هو خارج قارتنــــا .

ساحاول امام رؤساء الدول الافارقة ان اظهر لهم أن المغرب لا يمكنه أن يظلم ، حيث انه سيكون هو الدولة الوحيدة المحررة التي الزمت بالاستفتاء فى القارة الافريقية ، هناك وجوه أخرى للتعبير عن الارادة ، الصحراويون عبروا بكيفيات شتى ومتنوعة وفى الزمان لا فى لحظة واحدة ، عن رغبتهــم فى الالتحاق بالوطن المغربي ، واصبح اذ ذاك الاستفتاء مظهرا ثانويا من مجموعة المظاهر التي كونتها تلـــك الرقعة من ترابنا ، وسيصبح المغرب هو الدولـــة الوحيدة التي تطلب منها الاسرة الافريقية ان تاتـــي بنموذج جديد ، بطريقة جديدة للتعبير عن : هـــل تريدون أن تكونوا مغاربة ام لا ؟

فهذا وايم الله ظلم ، وتعســـف . بالنسبـــة للمغرب كمغرب ، ولكن بالنسبة للمغرب ذلك المغرب الذي لم تكن بينه وبين الدول الافريقية كلها الا علاقة الخير منذ قرون . فاذا نحن وجدنا فى السودان ، وجدنا لتلقين مذهب الامام مالك لان السودانييـــن فضلوا ان يكونوا مالكيين عن طريق المغاربة عوضـــا عن ان يكونوا مالكيين عن المصريين ، اذا كان أعطى جدنا رحمة الله عليه ، المولى اسماعيل احدى بناته للسيد أحمادو أديلو ، رحمة الله عليه ، فى نيجيريا ، هل أعطاها له للحرب ام للتآخي ؟ اذا كنا شاركنـــا بعلمائنا وأقلامنا فى أدخال الاسلام والثقافة الاسلامية فى الخلايا الحقيقية لافريقيا عن طريق تمبكتـــو أو السينغال ، وما الى ذلك هل كان ذلك غيظ ؟ لا فاذا كان المغرب فى الايام الاخيرة ، قد قام مرتين ليقف مع دولة من أعظم الدول الافريقية للحفاظ على وحدة ترابها وسيادتها . هل يعامل بلد مثل المغرب الذي تساكن مع الافارقة ، فى الماضي ، كما تساكن ، وفى الحاضر كما يتساكن ، هل يمكن ان يعامل مثل هذه المعاملة ــ الضيزى ــ كما يقال فى القرءان ؟

هذا شعبي العزيز ما سأحـــاول أن أشرحـــه لاصدقائنا واخواننا رؤساء الدول الافارقة لا اقول ، اننا سنصل الهدف وهو هدف الاقناع ، ثم الاقتناع فى أول وهلة ، لا ، وكن كيفما كان الحال المهـــم أن ملفنا فيه أهم الاسلحة وأقوى الاسلحـــة واخطـــر الاسلحة الا وهو الحق ، والحق كل الحق .

لذا علينا ان نبقى صامدين بأسلحتنا وارادتنا كمغاربة ، وعلينا من جهة أخرى أن نكون مرنين حتى يمكننا أن نقنع فيقتنع لنا الخصوم .

هذه شعبي العزيز بعض الكلمات التي كنـــت اريد أن أقولها لك فى هذا اليوم من تاريخي الذي احمد الله فيه أنه خلقني مغربيا ، وجعلني افتخـــر واعتز أن أكون مغربيا .

كلمات فيما يخص الماضي المشترك ، كلمات فيما يخص الحاضر المشترك .

وقبل الختام وبما أن الله سبحانه وتعالـــى ــ وهذا فى حديث شريف ــ يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أن الله يحب العبد الملحـــاح » . سأكون ملحاحا أمام ربي لاطلب منه ان يجعلني اتمتع فى صحة وعافية بهذه المواطنـــة المغربية سنيـــن وسنين ، لا لانانية ولا للتدخل فيما لا يعنيني فيما اذا كبرت ، ولكن على الاقل لاكون من المشاهدين لمـــا بذرنا جميعا وما رعيناه جميعا وما اريد ان ناكل من حصيلتـــه جميعـــا .

ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن . انك تعلم ان هذا البلد بلد اسلامي له غيرته على دينك وملتـــك ، يصوم شهر رمضان ويصلي الصلوات الخمس ويحج بيتك ويدفع الزكاة .

اللهم انك تعلم ان شهادته لم تكن فقط شهادة خوف ، او شهادة من ، بل كانت منذ اليوم الاول ، منذ استقرار المولى ادريس بالمغـــرب ، شهـــادة مستقرة لا عوج فيها ، ولا كذب ولا نفاق .

اللهم فأيد هذا الشعب واحفظه بالسبع المثاني واجعله دائما سائرا فى ركاب دينك ، وعلى طريــق سنة رسولك . واجعلنا جميعا يا رب ، فى القريب العاجل نكون هنا فهذا الموقـــف وفى غيره مـــن الحامدين الشاكرين ، دائما وأبدا ، على ما أوليتنا من نعماء ، وما اسديت الينا من خيـــر . انك سميـــع الدعـــا .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

عليـنا ان نبقى صامدين بأسلحتنا وارادتنـا كمغاربة ، وعلينا من جهة أخرى ان نكـون مرنين حتى يمكننا ان نقنع فيقتنـــع لنـــا الخصـــوم .

قضيـــة الصحـــراء ، اصبحت مطيـــة لقوات منها ما ظهر ، ومنهـــا ما بطـــن ، منهـــا من هـــو فى قارتنـــا ، ومنهـــا من هو خارج قارتنـــا .

اجتماع لجنة القدس بفاس :

جلالة الملك الحسن الثاني رئيس اللجنة يبرز مسؤوليات العالم الاسلامي في تحرير بيت المقدس

تراس جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله مساء يوم الاثنين 7 شعبان 1399 (موافق 2 يوليوز 1979) بالقصر الملكي العامر بفاس افتتاح اشغال اجتماع لجنة القدس بحضور رؤساء الوفود الاعضاء في اللجنة والامين العام للمؤتمر الاسلامي السيد احمد كريم غاي والوزير الاول ووزير العدل السيد المعطي بوعبيد ووزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية والتعاون السيد امحمد بوستة بوصفه رئيسا للمؤتمر العاشر لوزراء خارجية الدول الاسلامية ، ووزير القصور الملكية والتشريفات والاوسمة الجنرال مولاي حفيظ العلوي ووزير الداخلية السيد ادريس البصري ووزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور أحمد رمزي ووزير الاعلام السيد عبد الواحد بلقزيز ، ومستشاري جلالة الملك السادة : أحمد رضا كديرة وادريس السلاوي واحمد بنسودة ، بالاضافة الى شخصيات سامية اخرى .

وقد القى جلالة الملك في بداية هذا الاجتماع خطابا ساميا هذا نصه :

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

صاحب السمو الملكي
أصحاب المعالي الوزراء
أصحاب السعادة السفراء
حضرات السادة

فلنفتتح جلستنا هذه ، بآية من كتاب الله عز وجل حيث يقول :

« وقل ربي ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا » ، صدق الله العظيم .

ان هذا اليوم سيسجل بأحرف المجد والاعتزاز، فى تاريخ وطننا ، وطنكم الثاني المغرب ، وفى سجل الملاحم المعروفة لشعبه العربي الامين ذلك أن المجموعة الاسلامية فى العالم كله أبت الا أن تسند لخديم شعبه وخديم الشعوب الاسلامية كلها ، رئاسة لجنة القدس للدفاع عن حقوق أولى القبلتين وثالث الحرمين ، وان مسؤولية كهذه ، أعتقد شخصيا انها ليست منحصرة فقط فى من يترأس اداريا او يسير سياسيا اعمالكم بل هي فى عمق كل احد منكم، بل فى ضمير كل ملك او رئيس تمثلونه هنا ، فعلينا اذن ، حضرات السادة ، أن نمثل صادق مشاعرنا الاسلامية ، وان نعرب عن احساساتنا الظاهرة والباطنية ، وفى آن واحد علينا أن نعلم أننا جميعا نمثل كيانات ودولا وانظمة ، وبالتالي مسؤوليات ..

فقضية القدس الشريف علينا ان لا نبرزهـــا كقضية عاطفية فقط ، ولا كاسترجاع مآثر من مآثر تاريخنا فقط ، بل علينا أن نبرزها كمثـــال شاخص لما يمكن للغطرسة والظلم والجهالة الجهلاء ، أن تفعل في قيم روحية أبدية أزلية ،،

نعم ، من تطرق الى مشكلة القدس لا يمكنه أبدا الا يفكر ، بأن الا يطرح ولو بكيفية جانبية وهامشيـــة المشاكل المحيطة بها من مشاكل الاراضي المحتلة او أراضي الشعب الفلسطيني وحقوقه .

لذا نعتبر شخصيا ، ان المطالب العربية يجب الا تكون عرقلة فى انجاح المساعي الاسلامية ، بـــل علينا أن نضعها فى محلها وفى توقيتها المحل اللازم واللائق بها ، حتى تكون مطالب العرب أو الافارقة أو الاسيويين مطالب لا تعرقل السير الى الامام بالنسبة لقضية القدس ، بل تعضدها وتسايرها وتواكبها ، أو فى بعض المرات تسبقها .

حضرات السادة :

لي اليقين انني ساجد فى حنكتكم وفى اطلاعكم بمسؤوليتكم ، وفى معرفتكم بما يواكبنا جميعا كيفما كانت قاراتنا أو كيفما كانت الاسر التي ننتمي اليها ، انكم تقدرون ما علينا جميعا من مسؤوليات .

ان حنكتكم وماضيكم وتجربتكم هو فى الحقيقة رصيد لهذه اللجنة ، هو بمثابة العمـــود الفقـــري لاعمالها ولنشاطها .

وانني لارجو الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا لما فيـــه الخيـــر ..

أجل ،، لاول مرة ابت الظروف وارادة المؤتمر الاسلامي أن تنعقد لجنة القدس على هذا المستوى وبرئاسة رئيس دولة ، وان كان هـــذا يـــدل على شيء ، فانما يدل على أن الامم الاسلامية ارادت أن تضع المشكل فى حجمه الحقيقي ، بقطع النظر عن شخص رئيس الدولة الذي يترأس لجنتنا هـــذه ، ففي الحقيقة لا فضل لعربي على عجمي ، ولابيـــض على أسود الا بالتقوى ، وأشار صلى الله عليه وسلم الى صدره ثلاث مرات ، وذلك فى خطابه في حجة الوداع ، انه قال صلى الله عليه وسلم : « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا ظالم ».

وهذه المحجة هي محجة القرءان ، والشهادة بلا اله الا الله ، محمد رسول الله .

فلنجعل دائما هذه الآصرة اصرة الشهادة ، بل حبل الشهادة رابطا بيننا ، كيفما كانت أجناسنا ولغتنا وقاراتنا ولنسر على بركة الله ، مومنيـــن بأن الله سبحانه وتعالى لن يضيع حقا من ورائه طالب .

ولنختم هذه الكلمة جميعا برجائه سبحانـــه وتعالى بآيات قرآنية :

« ربي قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السماوات والارض انت وليـــي فى الدنيا والآخرة ، توفني مسلما وألحقني بالصالحين »

صدق الله العظيم ، والسلام عليكم ورحمة الله



صرخة اليراع

إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ابقاه الله
مثالا للحكمة والتعقل، ورائدا للوحدة وجمع الشمل
وأملا لحسم النزاع والتطاحن بين الأشقاء.

للشاعر الأستاذ أحمد الطيب معاش
سفير جزائري سابق

إسدد نفسي .. واعطي دمي ... ولا اتنازل عن قلمي ..
وهبت يراعي كل الهوى ... وحملته كل مضطرم ..
طلبت الكثير فطاوعني ... ولم يتأفف ولم يلم ..
فلو أجحف الناس أو بخلوا ... تدفق كالنبع في الكرم
شغفت به منذ عانقته ... سهادي وأرقه المنى ..
بمنفاي شاركني سقمي ... فخفف عني لظى السقم
فكيف أفارقه لحظة ... وليس التنكر من شيمي ؟
دخلت به كل معترك ... وقلت الحقيقة ملء فمي
فكم صرخة جلجلت عبره ... فدوت بآذان ذي صمم
وكم نغمة بت أشدو بها ... لاسمعه ساحر النغم
وكم دمعة كنت اذرفها ... فتطفى برغمي على المبسم
اذا عشت حالي على مضض ... تعذب مثلي ولم ينعم
اذا شردتني أيادي النوى ... فحسبي يراع به احتمي
وحسبي اذا الوجد ارقني ... اليف باحضانه ارتمي
يداعب كفا به التزمت . ... ويلمس قلبا له ينتمي ..
قضيت حياتي اذود به ... عن الحق والعدل والقيم
رضيت بحالي - على سوئه - ... ولم ارتض المس بالشيم

اذا العدل هـدد في وطـن   ومثل بالحق في الامـم ..
فليس سواك ايا (قلـم)   يذود المغير على الحرم
تخض كل صعب الى غايـة   وشق الطريق الى القمم ..
ولا تخش نارا اذا اندلعت   تذيب الشجاعة في الضيغم
كتبت بنار ولم تحترق   وخضت المنايا ولم تهزم ..
ابثك حزني على وطني   فكن باعث العزم في الهمم ..
تألم قومي ولم ينطقوا ..   السكتهم قاتل الالم ؟ !
اذا الشعب عاث به عائث   ولم يتورع ولم يرحم ..
فمن غير الـ من احـراره   تشهد بالجرم والمجرم ؟
ومن غير فاد حبا شعبه   نفيسا ونفسا ولم يندم ؟
الى (حسن) جاء مستنجدا   كما جيء قدما لـ (معتصم)
اهاب به وبحكمته   لصون البلاد من الضرم ..
فكم من (شقيق) اساء له   وكم جار (جار) على النعم ..
اراد (الأشقة) شرا به   وكاد له كل مفتتنم ..
فظل كطود بقمته   يراقب في يقظة (الحكم) ..
اذا معرض ساقه ظلمه   تحمل ظلما ولم يظلم ..
اذا ما استفز وكيد له   تصرف كالمؤمن المسلم ..
وحكم عقلا سما مثله   ولم يتحمس لسفك الدم ..
اذا طرد (الأخ) من داره ..   واخرج والقيد في المعصم ..
وان نفخ الحقد في فتنة   واججها كل منتقم ..
وان اعلنوا الحرب او جنحوا   لدرب الابادة والعدم ..
وان سار في حيرة مدلج   وسيق الى كهفه المظلم ..
اطل (ابن يوسف) في (نجله)   يزيل الظلام على المعتم
يهدىء ثورة من غضبوا   ويدعو الحراب الى السلم ..
فكل الشهور امام التقى   تذكر بالأشهر الحرم
فيا عجبا يكتوي منعم   بنار التنكر والنقم ..
ويا عجبا يبتلى خير   بشر من الأخ والتوام ..
اغاث بأس اخا رحم   فكان الجزاء لظى الحمم ..
حبا كل خير طواعية   وحيد سلما فلم يسلم ! .
اعد (الأشقة) اغلالهم   وساقوا الضحايا الى (المعدم) ..
وحزوا الرقاب مضرجة   على منجم الحقد والتهم ..
سباهم سراب بـ (ساقية)   نشدوا الرحال الى (المنجم) ..
اراقوا الدماء بلا سبب   لارضاء من كاد للنوم ..
لقد كفروا باله الهدى   وصلوا مطيعين للصنم ..
اصاخوا لحمر .. ابالسة ..   فصاغوا الكثير من التهم ..
وصبوا الجحيم على واحة ..   بأرض الكرامة والكرم ..
فصارت قلوب بلا وازع   وسارت جياد بلا لجم ..
فتاهت قوافل صحرائنا ..   وضل الدليل ولم يعلم ..

* * *

أ (ساقية) دمت رافدة .. اذا أنت للسد لم تهدمي . !
أ (حمراء) بوركت ساقية .. اذا كنت فى الهدم لم تسهمي !
كفى الشعب ردة أبنائه .. كفى ملحدا زلة القدم ..
أيا (واديا) لفظه ذهب . ومعناه غرم على مغرم . !
تهالك جمع على (ضفتيك) نعاد الجميع بلا مغنم ..
رمتك المطامع جامحة ولم تترفق ولم ترحم ..
فديتك ، شبلا حيا جاهدا وليثا سيزار فى الأجم ..

* * *

أ (معتصماه) فهل راحة تداوي الجرحات بالبلسم ؟
فلم الشتات ومد يدا تجير بها من أتى يحتمي ..
نشغبك فى المغرب العربـ ـي وأهلك فى العرق والرحم
ينادون شهما لصون الحمى وانقاذ من تاه فى الظلم ..
أيا فاديا قد حمى وحدة فداك يراعي وحبر دمي ..

احمد الطيب معاش – سفير جزائري سابق

من موضوعاتنا القادمة

- **الآلة الأندلسية** — للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- **دفاع عن الوندال** — للأستاذ محمد محيي الدين المشرفي

أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه

أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي

للأستاذ سعيد اعراب

اقامت « جمعية الثقافة الاسلامية » ـ بتطوان ـ مهرجانا ثقافيا (1) حول : « دور مدينة سبتة ، في اثراء الفكر الاسلامي » القيت فيه عدة محاضـرات وقصائد ، ذكرتنا أمجاد هذه المدينة السليبة ، وقد توج هذا المهرجان بتنظيم رحلة الى قريـة بليونش الغنية بآثارها ، والتي هي من مدينة سبتة قاب قوسين او أدنى ، بل هي لها بمثابة الرئة ، منها تتنفس الحياة: تغذيها بالماء الصالح ، وتعطي لها كل مقومات الوجود؛ فلو شاء المغرب ـ وله الحق فى ذلك ـ أن يقطـع عنها هذه الامدادات ، لما استطاعت أن تعيش لحظة « ولكل أجـل كتـاب » .

وكان من برنامج الجمعية « ندوة عن دور علماء سبتة فى اثراء الفكر الاسلامي » ، استدعت لها ثلة من رجال الفكر ، ولكن ـ مع الاسف ـ لم يقدر لهـا وجود ، فقد اعتذر أكثر المدعوين ، وبقيـت النفس متشوقة الى دور هؤلاء العلماء ؛ فأحببت ان أسهـم

بهذه الكلمة المتواضعة عن علم من اعلام هذه المدينة، كان له دوره الكبير فى خدمة الثقافة الاسلامية ، على انه أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه ؛ ذلك هو ابو الربيع سليمان بن سبع ـ باسكان اليـاء وضمهـا ـ (2) العجميسي أو العجيسي ، ويلقـب بالخطيـب (3) .

ولد بسبتة ، وبها نشأ وتعلم ؛ ونجهل كل شيء عن حياته ، فلا ندري متى ولد ؟ ولا متى توفي ؟ وما هي أسرته ؟ ومن هم شيوخه وتلاميـذه ؟ وكتـب التراجم تطبق بالصمت فى هذا الصدد ، ولا نعرف مرجعا واحدا تبرع بترجمته ؛ ولعله هو الذي يعنيه القاضي عياض فى بعض رواياته : حدثني أبو الربيع ، عن عثمان البرغواطي (4) ...

ويشير ابن الابار فى كتابه التكملة ـ وهو يتحدث عن ترجمة ابي عبد الله محمد بن حسين بن عطية ، المعروف بابن الغازي ـ الى أنه روى عن جده لامـه

---

(1) وقد اقيم هذا المهرجان بمدينة تطوان ، ايام 28 ـ 29 ـ 30 جمادى الاولى 1399 الموافـق 26 ـ 27 ـ 28 / 4 / 1979 .

(2) انظر تاج العروس مادة (سبع) والزرقاني على المواهب اللدنية ج 1 / 42 ، والرسالة المستطرفة ص 202 .

(3) انظر التكملة 2 / 679 ـ طبع مصر ، واختصار الاخبار للانصاري ص 24 ـ المطبعـة الملكيـة ، والزرقاني على المواهب اللدنية 1 / 42 ، والرسالة المستطرفة ص 202 .

(4) انظر التعريف لمحمد بن عياض 41 ـ 42 .

سليمان بن سمع الخطيب ، كما أخذ عن جماعة من شيوخ الاندلس والعدوة وانه توفى فى بضع وتسعين وخمسمائـــة (5) .

ويمكن ان نستخلص من هذا النص ما يلي :

1 ـ كان من سنة علماء سبتــة والمغــرب ـ بعامة ـ أن يرحلوا الى عدوة الاندلس ، ليثبتوا من منهجهم النقلي الذي أخذوه عن مشايــخ بلدهــم ، ويقابلوا ما عندهم بما لغيرهم ـ حبا فى المعرفة ، وطلبا لعلو الاسناد (6) ؛ لذا كان لا بد لابن سبــع أن يطوف على كثير من بلاد الاندلس ، ويتصل بعلمائها ، ويأخذ عن مشايخها ، فتتسع دائرة معارفه ، وتتعدد طــرق رواياتــه .

2 ـ ان ابن سبع عمر طويلا حتى الحق الاحفاد بالاجداد ، فهو قد عاش النصف الاخير من المائــة الخامسة للهجرة ، وأوائل السادســة ؛ واذا كــان حفيده وتلميذه ابن الغازي قد ولد فى حدود أوائل المائة السادسة ، وتوفى فى بضع وتسعين منهــا ، أو على الاصح سنة (591 هـ) ، فلا يجوز ان يسمع من جده (ابن سبع) الا بعد ان تصل سنه (16) ـ على الاقــل .

فاذا اضفنا الى ذلك ما يذكره ابن سبع نفسه فى مقدمة كتابه (شفاء الصدور) من انه قضى فى جمعه قرابة ثلاثين سنة أو تزيد ، والشأن ان لا يتصــدى العلماء للتاليف ، الا بعد ان تصل أعمارهم نحو الاربعين؛ فيجوز لنا أن نزعم بأن ابن سبع ، ولد فى حــدود (440 هـ ـ 1048 م) ، وتوفى فى نحو (520 هـ ـ 1126 م) ، وقد عاش نيفا وثمانين سنة .

ويذكر الانصاري فى اختصار الاخبار انه (دفن فى الربض الاسفل من سبتة ـ بصحن جامع التبانين ـ حيث تقام الجمعة) (7) ـ وربما كان خطيبا هناك .

أوصافـــــــــــــه :

ويحليه صاحب الاختصار المذكور بالشيـخ ، الفقيه ، الخطيب ، المحدث ، الحافظ ... وهـي أوصاف تجعله فى مصاف العلماء الافذاذ .

ويدلنا على هذا ، أن المصادر التي تنقل عنه ـ وخصوصا المشرقية منها ـ تنعته بالشيخ الامام ، ولا تذكر اسمه الا مقرونا بالتجلة والاحترام (8) .

وكان الى جانب ذلك ـ عالما أديبا (9) ، وكاتبا بارعا (10) ، له تبحر فى علوم القرءان (11) ، والتاريخ والسير ، تبدو على كتاباته النفحة الصوفية ، وسمة الفضل والصلاح (12) .

آثـــــــــــاره :

خلف أبو الربيع سليمان بن سبع آثارا علميــة قيمة ، منها :

1 ـ كتابه الشهير « شفاء الصدور ، فى اعلام نبوة الرسول ، وخصائصه » . وهو موسوعــة فى الحديث والسير ، جمع صنوفا من العلم ، والوانا من الادب ، قضى مؤلفه فى جمعه قرابة ثلاثين عامــا ، يقع فى خمسة عشر مجلدا ؛ وقفنا على قطع منه ، ولا توجد نسخة كاملة ـ فيما نعلم .

---

(5) كذا فى التكملة ، طبع مصر ص 679 ـ وورد بملحق طبعة مجريط (2) ـ 761 ـ : قلت فى كتاب ابن الزبير انه توفى سنة (591 هـ) .

(6) وانظر فى هذا مقدمة ترتيب المدارك لمحمد بن تاويت الطنجي ص (يايــب) .

(7) انظر « اختصار الاخبار ، عما كان بسبتة من سنن الآثار » ص 24 .

(8) انظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج 42/1 ، وكشف الظنون ص 1050 ، وكتاب الجهاد لابن النحاس ، مخطوط الخزانة العامة رقم 21 ق ، والرسالة المستطرفــة 202 .

(9) انظر مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 21 ق .

(10) انظر مخطوط الخزانة بالرباط رقم (1383 ك) .

(11) انظر البرهان فى علوم القرءان للزركشي ج 454/1 ، ومخطوط الخزانة العامة رقم (1383 ك) .

(12) انظر مخطوط الخزانة العامة رقم 35 ق .

ففي الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1383ك) قطعة من الجزء الاول ــ فيما يذكر الناسخ ــ تبتدىء من ص (40) هكذا : (تشفي الصدور ، وتوصل الى المرغوب ، ونذكر بعد ذلك بابا شافيا في فصاحة القرءان وبلاغته وجزالته ــ ان شاء الله) .

والاسف انه قد ضاعت أوراق منــه ، وربما تضمنت المقدمة التي يمكن ان يكون تحدث فيها المؤلف عن منهجه في الكتاب ، والاجزاء التي ضمنه، وما تخلل ذلك من ابواب وفصول ... وقد جعل عوضا عنها ــ الناسخ بعض ابواب من كتاب آخر ، لا صلة له بكتاب شفاء الصدور ، استغرقت (39) صفحة ؛ وقد ابتدأ المجلد هكذا : (الباب الخمسون في الاسفار والاغتراب ، وما قيل في الوداع والفراق، والحث على ترك الاقامة بدار الهوان) ــ وتنتهي الصفحات المدرجة في الكتاب ــ (بالباب الخامس والخمسين في العمل والكسب والصناعات ... (15)) وهي ــ كما يبدو من صنيعها وترتيبها ــ أبواب من كتاب « المستطرف » للاشبيهي ، ألصقها الناسخ ــ خطأ ــ بالمجلد الاول من كتاب ابن سبع ــ ظانا أنها منــه .

والمخطوطة تقع في (334) صفحة من القطع الكبير ، كتبت بخط مغربي غليظ ، واضح للغاية ، الا ان ناسخها قليل الحظ من المعرفة ، فقد وقع في اخطاء كثيرة ، شكلية ونحوية ، وهو نفسه يعتذر عن ذلك :

بالله يا ناظر ذي التأليف
اصفح لما فيه من التحريف
واعلم باني قليل السماع
في النحو لست منه بذي الباع

وجاء على ظهر الورقة الاخيرة ما يلي :

(... تم الجزء الحادي عشر ــ بحمد الله وحسن عونه ــ ، وصلى الله على محمد نبيه ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، والحمد لله رب العالمين ــ كمل الجزء الاول ــ يعني المجلد الاول ــ من كتاب (شفاءا لصدور) .

فالمخطوطة ــ كما نرى ــ تضمنت المجلد الاول من كتاب « شفاء الصدور » وهو يحوي أحد عشر جزءا ، تتخلل كل جزء منها أبواب وفصول ، سنتحدث عنها ــ بشيء من التفصيل ــ في عدد قادم ــ أن شاء اللــه .

اما القطعة الثانية من الكتاب ، فتوجد بالخزانة الملكية تحت رقم (5733) وقد كتب على راس الصفحة الاولى منها ما يلي :

(بسم الله الرحمن الرحيم

النصف الثاني من شفاء الصدور لابن سبع في فضل الامة والصحابة ، وآل البيت وغير ذلك) .

وقد رتبه على ابواب ، تحدث في الباب الاول عن فضل أمة محمد ، واورد في ذلك آثارا ، ثم اعقبه بعنوان هكذا :

(بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني من كتاب الصحابة ــ وكانه جزء خاص) ،

ــ وقد ادرج فيه عدة ابواب :

باب فضل المهاجرين ، تحدث فيه عن مناقب ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ، ثم مناقب العشرة المشهود لهم بالجنة ، ثم مناقب السبطين الحسن والحسين ، ثم مناقب أمهما فاطمة بنت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، ومناقب أزواجه أمهات المومنين، جماعة من الصحابة كعبد الله بن عمر ، وابن مسعود، وجرير بن عبد الله البجلي ، وصهيب الرومي ، وحذيفة اليماني ، وسعد بن معاذ ، وابي بن كعب ، وعبد الله بن سلام ، وابو طلحة ، ومعاذ بن جبل ،

---

(13) انظر مخطوط الخزانة العامة رقم 21 ق .
(14) نفس المصدر .
(15) انظر ج 2 ص 37 ــ 55 ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

واسيد بن خضير ، وابو دجانة ، وعمار بن ياسر ، والعلاء بن الحضرمي ، وتميم الداري ، وانس بن مالك ، وخزيمة بن ثابت الانصاري ، وسلمان الفارسي ، وعثمان بن مضعون ، وبلال بن حمامة وهي أمه ، ثم ذكر مناقب الانصار ...

وختم الكتاب بباب في عقوبة من سب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ او انتقصه ، وهنا ينقل عن ابن القاسم ان من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا به ضربت عنقه ...

وجاء في نهاية الكتاب قوله : (وقد اتينا ـ بحمد الله ـ في هذا الكتاب بما فيه غنية وكفاية ، وشفاء وموعظة ، وفرعنا ابوابه وفصوله بابلغ ما وصل الينا ، والله نسال التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ...)

قال الناسخ : نجز الكتاب ـ (بحمد الله) وحسن عونه وتأييده تاليف الشيخ الامام ، العالم العلامة الحافظ ابي مهدي عيسى بن سبع ... (16)

ويلاحظ ان هذه القطعة يمكن ان تعتبر المجلد الاخير من كتاب « شفاء الصدور » ، ولا يجوز ان تكون النصف الثاني ـ كما عند الناسخ ـ اذا صح ما ذكره المؤلف في مقدمة الكتاب من انه جمعه في قرابة ثلاثين عاما ، واخرجه من خمسة عشر مجلدا ، على انه وعد في المجلد الاول بأشياء ذكر انها ستأتي في موضعها من الكتاب ، مثل باب فضل القرءان وغيره ، ولا وجود لها ـ البتة ـ في النصف الثاني هذا .

كما لم يذكر فيه خصائصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما يدل على ان القسم الاكبر من الكتاب قد ضاع .

ويلاحظ أيضا ان الناسخ اخطا في اسم المؤلف وكنيته فذكره هكذا ابو مهدي عيسى بن سبع .. والصواب انه ابو الربيع سليمان بن سبع .

2 ـ والكتاب الثاني من كتب ابن سبع ـ « الخصائص » وكان قد ادرجه ضمن كتاب شفاء الصدور ـ كما اشرنا الى ذلك آنفا ، ثم افرده بالتاليف ، فاختصره في مجلد لطيف ، جاء في مقدمته :

« الحمد لله الواحد لا يتبعض من الاعداد ، الدائم الذي لا يدخل بغاية ولا نفاذ .. قال عبد الله ـ يعني المؤلف نفسه ـ : لما اكملت ـ بحمد الله وعونه ـ كتابي الذي سميته شفاء الصدور ... »(17) وقد لخصه في عشرة ابواب ، وتوجد نسخة منه بمكتبة الاوقاف ببغداد (18) تحت رقم (2842) .

وينقل عنه صاحب المواهب اللدنية بعض الخصائص (19) .

3 ـ والكتاب الثالث هو كتاب « الحجة في اثبات كرامات الاولياء ، وايضاح البراهين من صحة وقوعها من الكتاب والسنة ، واجماع الامة » .

افتتحه بقوله : (الحمد لله الذي اقام البراهين بوحدانيته ، ودل العباد على ربوبيته ، ... نبه ـ سبحانه ـ بنقض عزائم بريته ، على انفاذ قدرته ، وكشف لابصار الفكر عن ثبات مشيئته ، واسلك كل شيء مسلك ارادته ، والسماوات والاراضي ومن فيهن ، والليل والنهار ، والفلك الدوار ـ في قبضته ، سبحان من لا تقع بذاته العبارات ، ولا تلوح بكيفيته الاشارات ، ولا تدل على الهيته الامارات ، ولا تكشف حجاب الوهيته الامثال المتعارات ، سبحانه من اله قادر ، وجبار قاهر ، احمده حمد خاضع لجلاله ، متواضع لعظمته وكماله ، واشهد ان لا اله الا الله ـ وحده لا شريك له ، شهادة من ايقن انه المنفرد ...)

وبعد مقدمة طويلة قال : (اعلموا ـ رحمكم الله ـ ان الايمان بالكرامات ، موجود في الصالحين المخلصين في كل زمن وأوان ، لمن اراد الله ان يكشف له قدرته ، وقد روى ذلك اهل الحديث ، من طي البعيد

(16) انظر ص 85 ـ من مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (1383 ك) .
(17) انظر مكتبة الاوقاف ببغداد رقم (2842) .
(18) انظر الكشاف في مخطوطات الاوقاف ـ لاسعد طلس ص 54 .
(19) انظر المواهب بشرح الزرقاني ج 148/1 .

فى الامد اليسير ، والمشى على الماء ، وفى الهواء ، وقلب الجمادات الى الذهب والفضة ... واجابة الدعاء على الوقت ، وغير ذلك من وجوهها ، ولك موجود فى امهات الكتب الصحاح ، برواية أهل الثبت والفضل ، الذين لهم الحجة فى اثبات السنن ، وحراسة الاثار ، وذلك اجماع من جميع المسلمين ، من الصحابة والتابعين ، والفقهاء والمحدثين ... وهم الناقلون للشرع، وعنهم اخذها الثقات المشهورون اعلام المسلمين ، امثال مالك بن انس ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والاوزاعي ، وأيوب السختياني ، وعبد الله بن المبارك ، وأحمد بن حنبل، وأسد بن موسى ، ومعمر بن راشد امام عظيم قد صنفها ، وذكرها يحيى بن معين ، وخرجها البخاري ومسلم ، وجماعة أهل الحديث قاطبة ، وجميع النساك والزهاد والعباد والمنقطعين ... وقد سئل يحيى بن معين عن هذه الكرامات والاجابات هل صحت ؟ فقال : صحاح لا ينكرها الا أهل البدع ؛ وقد صنف فيها أهل العلم من متقدم ومتأخر ، ونصرها وأثبتها ، مثل ابي الحسن الاشعري ، وابي بكر بن الطيب قاضي القضاة ببغداد ، صنف فيها ستة اجزاء ، ونقض فيها ما تعلق به المعتزلة ...)

قال ابن سبع : (ونحن نورد — ان شاء الله — من الادلة الثابتة ، والحجج القاطعة ، على اثبات الكرامات من الكتاب والسنة ، واجماع الامة ، — ما ينفي الشكوك من قلوب المنكرين لها ، ويبين لهم من الحقائق والتصديق بها ...) .

قال : (ولو تدبر هذا المنكر لها كتاب الله ، وسنة رسول الله ، لوجدها منصوصة بينة ؛ فمن ذلك قصة عيسى ومريم — عليهما السلام ، وقد اجمع المسلمون على انها غير نبية ، الا قول شاذ حكي عمن لا يوثق به ، والنبوة لا تثبت الا بالكتاب والسنة ، والاجماع .

ومنها قصة أهل الكهف ، وقصة أم عيسى ، وقصة أصحاب الخضر ، وقصة الذي عنده علم من الكتاب ، ولا شيء يعتمد عليه ان هذه الطبقة أنبياء الله — عز وجل .

وأما السنة فكثير ، فمنها ما خرجه أهل الصحيح فى الموطأ ، والبخاري ، ومسلم ، وغيرهم، فمن ذلك قوله — صلى الله عليه وسلم — : رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه ، لو اقسم على الله الفا لابر قسمه ، أو لابره — فى لفظ آخر .

ومنها قصة انس بن النضر — اذ اقسم ان لا تكسر ثنية الربيع ، فرضي بالارش القوم .

ومنها حديث جريج حيث انطلق له الطفل ،

ومنها حديث خبيب فى القطف ، ومنها قوله — صلى الله عليه وسلم — : اتقو فراسة المومن ، فانه ينظر بنور الله .

ومنها قوله — صلى الله عليه وسلم — : بينما رجل فى فلاة من الارض ، اذ سمع صوتا فى سحابة: اسق حديقة فلان — الحديث .

ومنها قصة عمر فى الاستسقا ، قال ابن جبير: اصاب الناس قحط شديد على عهد عمر بن الخطاب، فخرج فصلى بالناس ركعتين ، وخالف بين طرفي ردائه ، ثم بسط يديه وقال : اللهم انا نستغفرك ونستسقيك ، فما برح مكانه حتى مطروا ، فبينما هم كذلك ، اذا اعراب قدموا على عمر وقالوا : يا امير المومنين ، بينا نحن بوادينا يوم كذا ، فى ساعة كذا ، اذ اظلتنا غمامة ، فسمعنا منها صوتا : اتاك الغوث ابا حفص ، أتاك الغوث ...

ومنها حديث سارية ...

ومنها قصة عمر ايضا حيث كتب الى نيل مصر : ان كنت تخرج بحولك وقوتك ، فلا حاجة لنا فى خروجك ، وان كنت تخرج بحول الله وقوته ، فاخرج — والسلام .

وكتب الى عمرو بن العاص — وهو اميره بمصر — يلقيه فى جوف النيل ، فالقاه ، فخرج النيل خروجا لم يخرج قط مثله .

ومنها ما رواه مالك بن انس من قصة يونس بن يوسف ، وكان يونس هذا من عباد الناس ، فخرج الى المسجد ذات يوم ، فلقيته امراة ، فوقع فى نفسه منها شيء ، فقال : اللهم انك جعلت لي بصري نعمة ،

وقد خشيت ان يكون علي نقمة ، فاقبضه اليك فعمي ، فكان يروح الى المسجد ، ويقوده ابن اخ له، فاذا استقبل به الاسطوانة ، وراى انه يصلي ، ذهب واشتغل مع الصبيان باللعب ؛ فان نابته حاجة ، حصبه فاقبل عليه ؛ فبينا هو ذات يوم يصلي ، اذ احس من بطنه شيئا ، فحصب ابن اخيه ، فانشغل مع الصبيان ولم ياتيه ، فلما خاف على نفسه قال : اللهم انك جعلت لي بصري نعمة ، وخشيت ان يكون علي نقمة فقبضته ، اللهم اني خشيت الفضيحة ، فارجعه الي . قال : فانصرف الى منزله ــ وهو يبصر ، فرأيته أعمى ، ورأيته بصيراً .

وبعد أن اجمل القول فى هذا ، عقد فصولا فى اثبات المشي على الماء ، وطي الارض ، وما الى ذلك ، واورد آثارا فى هذا الصدد ، قال : وهذه الاخبار نومن بها ، ونعتقد صحتها ؛ وقد ذكر بعض المتكلمين ان الطى للنبي والولي ، انما معناه أن يخلق الله سرعة حركات ، وقلة لبث فى الاماكن ،

قال المؤلف : وهذا قد سلط حكم عقله ... ثم ناقش رايه .

واتسياقا مع روحه الصوفية ، نجده يعقد فصلا مطولا عن الابدال ، والزهاد المنقطعين ، وربما عاد فى كثير من رواياته واخباره الى مسند الامام احمد ابن حنبل .

وختم كتابه ببعض أخبار المتعبدات الزاهدات الوالهات ...

وجاء فى نهاية النسخة :

(تم كتاب الحجة فى أثبات كرامات الاولياء ، وايضاح البراهين فى صحة وقوعها على ايديهم من الكتاب ، والسنة ، واجماع الامة ؛ ــ تصنيف الشيخ الامام .. ابى الربيع سليمان بن سبع ــ نضر الله وجهه ، ورحمه آمين) .

والمخطوطة تقع فى (200) صفحة من القطع الوسط ، كتبت بخط مشرقي دقيق .

ولعله أوسع كتاب فى الموضوع ، وقد عاد فيه المؤلف الى عشرات المصادر فى التفسير ، والحديث ، والاصول ، والكلام ، والتصوف ... وكان معتدلا فى كثير من مباحثه ومسائله ، مثل مسألة قلب الجمادات الى ذهب وفضة ، ولم يقل الى حيوان ؛ وهو المذهب السديد ، وقد اختاره الحافظ ابن حجر وغيره من المحققين ، وهو ما ذهب اليه ابن السبكي فى جمع الجوامع : (وكرامات الاولياء حق ، قال القشيري : ولا ينتهون الى نحو ولد دون والد) (20) .

اما عن منهج ابن سبع فى كتاب «شفاء الصدور»، والاهمية التي يحظى بها عند كثير من المؤلفين ، والمآخذ التي اخذت عليه ... فذلك ما سنتحدث عنه فى عدد قادم ــ بحول الله .

تطوان : سعيد أعراب

---

(20) انظر جمع الجوامع بشرح المحلى ، وحاشية البناني ج 420/2 . ورسالة القشيري ص 160 ــ طبع مصر .

في أن رسالة المعلم

رسالة إنسانية بالطبع

للأستاذ محمد محيي الدين المشرفي

« نحن على يقين ان العلم وحده ، منفصلا عن الايمان والوعي والشعور خراب للروح ، لذلك فان رسالة الجيل الصاعد تكمن فى التكوين الروحي بعد التكوين الجسمي ، لانها رسالة انسانية قبل كل شيء ، وهذا التكوين الروحي يتم عن طريق تلقي وتنمية القيم الروحية التي يتميز بها ديننا الحنيف ، ويزخر بهـا ماضينا الذهبي . فالاسلام يجعل منا نحن المؤمنين بنيانا مرصوصا يشد بعضه بعضـا » .

جلالة الملك الحسن الثاني

يتعين علينا بالضرورة ، نحن المربين ، ان نتساءل ، والعالم اجمع يستعد للاحتفال بالسنة العالمية للطفل عن الدور الذي يقع على كاهل الذين تصدوا لتوجيه نشاط الاحداث فى المؤسسات التعليمية هنا وهناك ، واعدادهم أتم اعداد واشمله لتحمل المسؤولية الضخمة التي ستقع عليهم فى المستقبل البعيد ، هذا الدور هو ما نسميه برسالة المعلم ، وهي رسالة فطيرة ثقيلة قد لا يتبين الناس اهميتها بكل ما تستحق من الجلاء والوضوح . ولذا اردنا ان نرسم للقارىء الكريم فيما يلي معالمها الكبرى كي تكون للقائمين على شؤون الشباب فى كل مكان عبرة وذكرى .

* * *

وقد يتبادر الى الاذهان ان مهمة المعلمين تنحصر فى ايصال المعلومات الى عقول الصغار ومساعدتهم على حفظها ، ثم تدريبهم على الاجابة عنها استعدادا للامتحان ، وقد يظن بعضهم ان نجاح هذا المعلم فى عمله اليومي قد يقاس بمقدار سيطرته على الفصل ، والواقع ان مهمة المربين تصبح تافهة جدا اذا اقتصرت على ما تقدم ، واذا كانت عملية تلقي الحقائق والعمل على تخزينها فى أذهان الصغار لا تحقق بالفعل الهدف من التربية الكاملة ، فما هو معنى التربية الكاملة يا ترى ؟

الجواب هو ان التربية بمعناها الواسع الشامل تعني احداث تغيير له قيمته وابعاده فى شخصية الطفل كلها من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية

والاجتماعية والجمالية ، فى اتجاه مرغوب فيه من المجتمع . فهناك الناحية الخلقية من الشخصية التي تاتي فى طليعة اهتمامات المربين وذوي الاختصاص فى التربية والتعليم الذين يرون من واجبات المعلمين تعديد تلامذتهم على التقيد بمعايير السلوك الصالحة والتحلي قبل كل شيء آخر بالاخلاق الفاضلة ، ولا يكون ذلك طبعا بتحفيظهم القوانين الاخلاقية ، انما يتحقق ذلك بحملهم على الممارسة الفعلية لاساليب السلوك والفضائل الخلقية فى حياتهم المدرسية بما يسود فيها من علاقات طيبة بين الافراد ونماذج صالحة للسلوك تطبع سيرة الكبار والصغار على السواء . وهناك الناحية العقلية من الشخصية الهادفة الى تنمية المعرفة لدى الاطفال ، شريطة ان تكون معرفة قابلة للاستعمال فى حياة الاشخاص ، اذ لا فائدة من تحفيظ الاطفال قواعد النحو مثلا اذا كانت هذه القواعد لا تؤدي الى تقويم السنتهم ، وبشرط ان تعمل هذه المعرفة ايضا على تقوية قوة التحصيل فيهم بما تعودهم عليه من قدرة على التفكير السليم ، ومن الخير أن يحصلوا على هذه المعرفة عن طريق نشاطهم الخاص ومشاهدتهم الشخصية وما يقومون من نقد او يلقونه من أسئلة او يقدمونه من اقتراحات كجمعهم بانفسهم للمعلومات وتنظيم للحقائق ومواجهة المشكلات راسا ومحاولاتهم ايجاد الحلول المناسبة لها ، كل ذلك يحملهم على التفكير السليم ، وفى ذلك ما يكسبهم كثيرا من الخبرات التي قد تنفعهم اثناء الدرس والتحصيل كما تعينهم على قهر المشاكل التي قد تعترضهم طوال الحياة .

وهناك الناحية الوطنية من الشخصية ، ذلك ان الوطنية اليوم لم تعد مجرد التعصب للوطن او التفاخر بماضيه ، بل الوطنية الحق هي فهم حاجات الوطن وادراك الغايات العليا للمجتمع الذي تنتسب اليه ، وهناك الناحية الجسمية من الشخصية التي بامكان المعلم العمل على ابرازها فى استغلاله للفرص المواتية واستخدامه للحصص المخصصة للتربية البدنية لغاية المحافظة على صحة الاطفال وتعددهم على التمسك بنظافة الثياب والابدان .

ثم على المعلم أن يعني مع تلاميذه بدراسة المجتمع الذي يعيشون فيه ويطلعهم على ما يحمله فى طيه من مشاكل اقتصادية واجتماعية وثقافية وصحية ويعودهم فى نفس الوقت على ضرورة الاشتراك فى حل تلك المشاكل . والمعلم بعد ذلك مسؤول عن تنمية قدرة الطفل عن الانتاج سواء كان هذا الانتاج عقليا او اجتماعيا او ثقافيا ، وبذلك تتجسم فى عينه يوما بعد يوم المسؤولية التي سيحملها اياه هذا المجتمع الذي ينتسب اليه ، ومعلوم أن هذا السلوك لما يحقق للطفل حاجته الى تقدير الامور وحاجته الى النجاح ، كما ان المعلم مطالب بتعويد تلامذته الاتقان فى كل عمل يقومون به ، والاتقان ضروري ، فهو يسير جنبا الى جنب مع الانتاج ، وهو الى جانب هذا وذاك مطالب بتهذيب اذواق التلاميذ حتى يعودوا يقدرون الجمال فى كل شيء ، وذلك بطرق عديدة ، منها الرسم والغناء والتمثيل الى غير ذلك من النشاطات الفنية .

ولكي يتمكن من اكمال تربيتهم يتعين عليه ان يفسح أمامهم مجال الحرية فى العمل والكلام والمناقشة ويعودهم فى نفس الوقت الاستماع الى الآراء المعارضة كما يقع عليه عبء ترويضهم على الاستقلال بآرائهم عند الحاجة تحملا للمسؤولية والمعلم مسؤول بالطبع عن تنمية قدرات الاطفال بصفة عامة وميولهم الصالحة واستعداداتهم الطيبة الى اقصى حد ممكن ، وهنا يطلب منه فهم طبيعة الاطفال فهما دقيقا مع الالمام بخصائصهم ، ولا يتم ذلك طبعا الا باطلاعه على مراحل نمو الطفل المختلفة .

هذا وعليك ، ايها المعلم انت الذي اقبلت عن طيب خاطر على هذه المهنة الصعبة الشاقة الشريفة أن تشيع الحماس العملي الجاد بين تلامذتك . وهو حماس يجب ان يستمر حتى النهاية ، ولا يتلاشى بعد قليل ، ومعنى ذلك انه يجب تعويدهم الصبر والمثابرة واحتمال المتاعب مع الابتعاد عن روح اليأس والتردد والتراجع ... واذا ما اردت ان تنجح بالفعل فى هذا الاتجاه كان عليك ان تفكر مليا فيما ينبغي ان تقدمه للاطفال من عمل يشعرون حقيقة بحاجتهم للقيام به لانه عمل ينبع فعلا عن رغبة صادقة كامنة فى نفوسهم ...

فانت ترى ان رسالة المعلم باعتباره مربيا قبل كل شيء وبعد كل شيء هي احداث تغيير جوهري فى عقول الاحداث بتغيير

اسلوبهم فى التفكير واثارة الحماس فيهم ، وترهيف اذواقهم وتقوية اجسامهم وتلطيف اتجاهاتهم والعمل جملة على كل ما يتعلق بتكليفهم تكيفا يمكنهم من النجاح فى الحياة بما فى ذلك رعاية الاسرة التي هي الخلية الاولى فى المجتمع ، لان مفهوم النجاح الشامل فى هذه الحياة هو الذي يشمل الفرد بقدر ما يشمل بقية افراد المجتمع .

ونتيجة لاهمية الرسالة التي يضطلع بها المعلمون وخطورة المهمة التي اختاروها لانفسهم عن طواعية ، دون اكراه ، فقد أصبح الناس اليوم ينظرون اليهم كرواد للنشأ الصاعد ، وقدوة حسنة للصغار والكبار فى سائر المجتمعات ، كانت كمجتمعات متقدمة او مختلفة ، شرقية ام غربية ، ومن اجل ذلك أصبح الصغار على الاخص معجبين بمعلميهم ، يتأثرون بهم الي حد بعيد ، اذ يعتبرونهم مثلهم الاعلى فى كل شيء ، وليس هناك على الاستغراب حيث ان الطفل يقضي معظم اوقاته فى المدرسة تحت تأثير المعلم ؛ فلا مناص من ان يتأثر به ويحذو حذوه ، فتنعكس عليه سيرة المعلم بمحاسنها ومساوئها ، ولهذا يطلب منا لمعلمين أن تكون تعرفاتهم خير ما يمكن ان تكون ، وقد علمتنا التجارب ان الاطفال يقلدون معلميهم فى كل شيء ، فى تعابيرهم ، واحاديثهم وحركاتهم وغير ذلك مما ينسب اليهم ، ومن هنا نخشى ان تكون أساليب المعلم ركيكة بالية وان يكثر فى الفاظه من اللغو ، فينتقل كل ذلك الى الطفل عن طريق المحاكاة و التقليد ، وعليه فتعود الطفل التفكير السليم يكون طبعا من اختصاص المعلم ، بحيث اذا لم يكن تفكيره رشيداً ، رزينا فاغلب الظن ان هذا الطفل لن يستطيع الموافاة بالعلل الصحيحة للاشياء ، فان كان تصرف المعلم حسنا مقبولا فى سلوكه وتعبيره وتفكيره وما الى ذلك جاز ان نقول ان ذلك سينتقل الى المتعلم بالمشاهدة اولا ثم عن طريق المحاكاة وممارسته هذه الصفات الحسنة ثانيا ، اما اذا لم يكن المعلم متصفا بهذه الصفات الحميدة ، فسوف يكون الطفل شيئا فى سلوكه ، ركيكا فى تعابيره ، مضطربا بصفة عامة فى تفكيره .

يستنتج اذن من كل ما سبق ان للمعلم منزلة مرموقة فى المجتمع نظراً لرسالة السامية التي يتحملها ، والواجبات الضخمة التي تقع بالتالي على كاهله ، ومن هنا نتصور خطورة الدور الاجتماعي الذي يضطلع به ، ونقدر الشروط التي يتعين ان يتحلى بها كي يتمكن من اداء رسالته على الوجه الاكمل . واول ما يجب فى حق المعلمين من شروط لا بد منها صحة جيدة ، اذ من كان مريضا او ضعيف البنية يكون بالطبع قليل المقاومة ، لا يستطيع ان يجعل جو التعليم فى الفصل يفيض بالحرية المطلوبة والنشاط المنشود ، ذلك ان التعليم عملية شاقة تستلزم من صاحبها جهودا كبيرة مستمرة لا يقدر عليها معلم عين قليل الاحتمال ، بل بالامكان ان نقول بأن من ابرز الصفات التي ينبغي ان تتوفر فى المعلمين النشاط والحيوية اللذان من شأنهما ان يستثيرا التلاميذ الى العمل المجدي ويدفع بهم الى الحياة النابضة ، وغني عن البيان انه مما يشترط فى حق هذا المعلم ايضا ان يكون سليما من كل عاهة او تشويه يحمل على السخرية الامر الذي يعوقه التأكيد عن مواصلة عملية التدريس ، بدون عناء كما يجدر ان تكون حواسه سليمة وصوته معتدلا ولسانه طلقا ، لا عيب فيه ولا اعوجاج . اما المظهر الشخصي للمعلم فشيء فشيء له قيمته وأثره فى نجاح المهمة التي قوم بها ، ومن أجل ذلك وجب أن يكون مظهره الخارجي محل عناية منه من غير أن يخرج به عن حد الإعتدال المعقول .

ومن اظهر شروط المدرس المستنير ان يكون واسع الثقافة ، ملما تمام الالمام بالمواد التي يقوم بتدريسها ، على علم وثيق ايضا بالمواضيع التي لها علاقة بتلك المواد ، فذلك ادعى لان يختار من مسائلها وحقائقها ما هو أكثر قيمة ونفعا ، وانسب لمدارك التلاميذ . ثم ان المعلم الحاصل على قدر كاف من الثقافة والمادة العلمية يكون واثقا كل الثوق من نفسه ، قادرا على اجتذاب انتباه التلاميذ وثقتهم به ، اما اذا كان ضعيف الزاد فان ذلك يشككهم فى قدرته على القيام بمهمته على الوجه المطلوب ، ومن ثم يتزعزع مركزه عندهم ويكون من حظهم تبعا لذلك قصور فى التحصيل بما يشيع فى عقولهم من الاخطاء .

ومن هنا يتعين التنبيه الى صفة اساسية يتحتم على المعلمين كافة التمسك بها هي الاقبال على المطالعة والبحث ، فكم من معلم يقف بمعلوماته عند

المستوى الذي ترك به مدرسة المعلمين ، فياخذ هذا المستوى في الهبوط تدريجيا حتى يصير قريبا من مستوى الاطفال انفسهم ، ولا عجب اذ يصبح هذا النوع من المعلمين بعد قليل محدود المعارف ، ضيق الافق ، عرضة للاخطاء والهفوات متى ساله تلميذ مطلع نبيه ، ثم يصبح تعليمه جافا ، قليل الفائدة . ولا يبعد ان يعود كارها ما يتصل بهذه المهنة التي اختارها لنفسه ولا ينظر لها الا كمجرد وسيلة لكسب معيشته اليومية ، وكفى . وقد ثبت بالتجربة ان المعلم الذي يسعى في توسيع معلوماته لا يستطيع ان يختار لتلاميذه ما يناسب عقليتهم ، ولا يكون في متناوله ان يجعل من تعليمه تعليما مفيدا نافعا ، وعليه فمن واجب الواجبات الا ينقطع المعلمون عن التحصيل والمطالعة والبحث ، مضيفين الى ما تعلموه سابقا اهتمامات أخرى يتعلق بما هو جدير بأن ينمي قدراتهم الشخصية كالاشغال اليدوية والرسم والالعاب الرياضية مع دراسة نفسية الاطفال في المقام الاول ، ذلك ان التربية لم تعد قائمة على الكتب وحدها وحشد الاذهان بالمعلومات ، بل أصبح أساسها لها النشاط والعمل والاشتراك في مظاهر الحياة وبخاصة الناحية الفنية منها التي تعطي للحياة قيمة ومعنى .

وغني عن البيان ان عملية التربية تقتضي من صاحبها سرعة الفهم وحسن التصرف وصفات أخرى كاللباقة والمرونة ، وهذا كله يحتاج الى درجة لا بأس بها من الذكاء ، وقد دلت الابحاث على أن المعلم القليل الحظ من الذكاء لا يمكن ان ينجح في عمله ، ولهذا نعتقد انه من المرغوب فيه جدا ان تجري من الآن امتحانات القبول في مدارس المعلمين والمعلمات وكذا مراكز التكوين لا على اساس اختبار معلومات المرشحين فحسب ، بل كذلك على اساس معرفة قدرتهم على استيعاب المشاكل وتفهمها قصد ايجاد الحلول المناسبة لها .

وهناك ناحية أخرى من شخصية المعلم يتعين الاهتمام بها ، فهي الذاكرة القوية التي تساعده ، ما في ذلك شك ، على تذكر كل ما يتصل بالموضوع الذي يكون بصدد شرحه ، بخلاف الذاكرة ، الضعيفة التي تورث النسيان وتؤدي بالمعلم الى اغفال بعض المسائل المطروحة امام التلاميذ ، مما يترتب عنه تفكك من الشرح وارتباك عام يجعل هذا المعلم بالذات قليل الحظ من النجاح .

هذا ومن الخصال العقلية التي يجب ان تتوفر في المعلم الاستعداد الطبيعي لمزاولة هذه المهمة وقدرته على اجتذاب انتباه التلاميذ بما يضيفه على دروسه من وسائل حسية مشوقة من شانها ان تستهوى الاطفال وترغبهم في الاستماع اليه ، كما ينتظر منه ان ينزل - ان اقتضى الحال الى مستوى الاطفال ليعيش معهم ويتفهم عالمهم الخاص ويشعر بانفعالاتهم وأحاسيسهم ، ذلك ان التعليم الحديث يحتاج الى تكييف المعلومات والخبرات طبقا لحاجات الصغار وقدراتهم ، وهذا يتطلب مهارة خاصة وقدرة على الخلق والابتكار . ثم ان التربية الحديثة لا تقوم فقط على تلقين المدرس لمادة الدرس ، وانما هي تقوم قبل كل شيء على خلق المواقف التعليمية التي توحي الى الاطفال بالنشاط والفعالية وذلك عن طريق المساهمة عن رضى وطيب خاطر في العملية المدرسية .

هذا وبما ان الاخلاق تغرس في النفوس بطريق غير مباشر اكثر مما تعلم بطريق التلقين والوعظ والارشاد وجب أن تتوفر في المعلم صفات خلقية طيبة نظرا لانه مؤثر فعال في نفوس تلامذته . وهي صفات يمكن حصرها بالخصوص وفي محبة الاطفال والتحلي بالكياسة وسعة الصدر ، فلا يقسو عليهم فينفرهم منه ولا يتهاون معهم الى حد بعيد ، فيندفعوا الى الاستخفاف بما يقدمه لهم من دروس وواجبات ، ثم ينبغي بالاضافة الى ذلك متصفا بالاناة والتحمل ، متمسكا بتعاليم ديننا الحنيف حتى يكبر في اعينهم واوليائهم على السواء ، وتقوى وتتميز مكانته في المجتمع . فاذا كانت المدرسة بحق هي خير مكان لتربية الاطفال الذين هم عماد هذا المجتمع في الحال والاستقبال كان من احسن الصفات التي يتحلى بها هذا المعلم الجد في كل عمل يتعاطيه احترام شخصية التلاميذ لكي يهيىء لها الفرص لتنمو في الاتجاه السليم ، وذلك لا يتم طبعا الا اذا كان المعلمون مؤمنون بقداسة الرسالة التي يتحملون ، متفانين في القيام بهذه المهمة التعليمية باعتبارها خدمة وطنية تبرر كل ما يكتنفها من متاعب وارهاق .

* * *

وختاما ، فعلى المعلم ان يدرك جيدا ان لهذه الحياة مطالبها . وعليه كذلك ان يعد هؤلاء الاحداث الذين أؤتمن عليهم لان ينضموا فى انسجام الى هذا المجتمع الحديث ، وهو مجتمع ، كما تعلمون ، لا ينفك يتطور ويتغير مع مر الايام ، لذلك بات من واجبه ايضا ان يلم هو الآخر بمطالب هذا المجتمع ومشاكله، ويميل الى الاختلاط بأفراده والعناية بأمورهم ، وفهم الاحداث الجادية هنا وهناك حتى يستطيع ارشاد الصغار الى ان يسلكوا سلوكا اجتماعيا يعود عليهم وعلى عشيرتهم بكل خير ، وتلك ، لعمري ، هي الصفات الاساسية التي يتمكن المعلمون بفضلها من تبليغ رسالتهم على الوجه المطلوب ، واعداد جيل من المواطنين ، واعين حق الوعي ، مستعدين لاداء ما عليهم من واجبات مهما كانت الظروف ، حرصا على تحقيق السعادة المنشودة لفائدة الفرد والمجتمع .

الرباط : محمد محيي الدين المشرفي

إقرأ في العدد التاسع

- الرؤية المستقبلية الإسلامية — للأستاذ الحسن السائح
- العالم العربي متجه نحو الأرقام المغربية — للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- جولة في كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى — للمرحوم محمد بن العباس القباج

طنطان البطلة

للشاعر الأستاذ شهاب جنبكلي

جادت على سمع الزمان سفاحا ... واستمطرت ماء العيون نواحا

وتضافرت ايدي البغاة وقد رمت ... بسعيرها دار الامان سلاحا

داسوا طهوراً وانحنوا بقساوة ... واستنزفوا زهر الحياة جراحا

فلذات اكباد تهاوت ريحهم ... فتعفر الوجه البريء وصاح

طنطان ديست واستبيحت عنوة ... وجرى دم للابرياء وساح

تبا لهم ما أردعتهم حرمة ... ما وقروا طفلا ، فكان مباحا

ما وقروا شيخا كبيرا طاعنا ... حتى الحرائر قد طعن رماحا

عبث الفسوق على الديار معلل ... بعقيدة نكراء لن تتلاحى ... ! (1)

حتى اذا حطت بهم ارحالهم ... واستغرقوا فتكا روى واطاح

بانت عليهم بالسعير جحافل ... أمسوا يبابا ـ في الفلاة ـ صباحا

---

(1) المقصود أصحاب العقائد المضللة من غير الاسلام .

تاهت بهم صحراؤنا فتفرقوا ... رعبا رماهم فى الجحيم رزاحا (2)

فتكت بهم ارتالنا حتى غدوا ... فى الخافقين شواردا وضراحا

طمحوا بغزو الارض جهرا فارتوت ... صحراؤنا منهم دما وضباحا (3)

عرف العدو وان طالت سلا ... متـه ليوم لا يرد سماحا (4)

للارض ابد لتقنوا اعداءها ... درسا مربعا فى الحياة طفاحا

جيش هزبر مغربي قاده ... بطل همام للعلاء ولاح

هبت جحافله تلبي هاتفا ... وعلى الغزاة يوجهون صداحا (5)

المغرب الفيحاء اضحى آية ... والوحدة الكبرى تمد وشاحا

ومدينة الصحراء عادت قوة ... للصامدين تحديا وصراحا (6)

والمغرب المغوار حصن شامخ ... ترعاه عين للمليك كفاحا

والقائد الموهوب يرعى امة ... تبقى على الدهر المدبد فلاحا

حسن حبيب للملا قد ساقه ... الله نورا فى الغسا وصلاحا (7)

الدار البيضاء : شهاب جنبكلي

---

(2) الرزاح : رزحت رزحا ، سقطت اعياء .

(3) ضباح : الصوت المرتفع .

(4) طفاح : الارض ملؤها .

(5) صداح : الصوت المرتفع بالغناء .

(6) صراح : مواجهة .

(7) الغسا : ظلام الليل .

ملامح من حياة الفقيه المؤرخ

محمد بن أحمد العبدي الكانوني

(1311 / 1357)هـ - (1893 / 1938)م

للأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

من القصص الطريفة التي يجب أن تسجل في سجل التاريخ قصة هذه الملامح التي ندونها للقراء ونجعلها مدخلا للدراسة التي سنخصصها لهذا العالم المؤرخ الاديب .

انها قصة حياة انسان كافح من اجل وطنه وآمن بأن العلم سبيل من سبل اقرار الشخصية المغربية وأن التربية وسيلة من وسائل انقاذ الانسان وأن العناية بالصناعة والتجارة والزراعة على الشكل الذي يخرجها من اطارها التقليدي ويجعلها تستمد ما يقويها من مظاهر التطور المعاصر ستفيد الفائدة المرجوة خصوصا اذا التحمت بمبادىء الاسلام وامتزجت بالقيم المثلى التي تحمي كيان الفرد والمجتمع وتخلق التواصل الضروري للحياة الشريفة الآمنة النافعة .

ملامح حياة استمددتها أولا من كتبه ومن اهتماماته بالموضوعات التي تطرأ اليها وجعلها منطلقا للشرح والتقرير حينا وللنقد والمواجهة حينا آخر . ثم شاءت الصدفة بعد أن خصصت حديثا اذاعيا لجزئيتين من جزئيات كتابه (آسفي وما اليه قديما وحديثا) تتعلقان بمغربة الصحراء وباثبات الاخوة بين البربر والعرب أن وردت علي رسالة من سيدة تسكن مدينة فاس اسمها غطاس أمينة وذكرت انها حفيدة الفقيه الكانوني من احدى بنتيه وأنها ترجو أن تعرف عن حياة جدها وعن ثقافته وعن كتبه ما يجعلها تحقق تلك الصورة الرائعة التي تتخيل بها جدها حسب ما سمعت عن والدتها وعن أسرتها .

وكانت هاته الرسالة بداية الانطلاق لكتابة هاته الملامح وللاستفادة من الذين استمعوا الى الرسالة عبر الاثير فاستجابوا مشكورين لندائها . وعملوا على تزويدنا بمعلومات مفيدة سنجعلها مشاعة بين القراء ليضعوها في محك التاريخ وليربطوا بينها وبين ما يمكن أن نستنتجه من مؤلفاته وأن نستخلصه من معطيات حياته .

فبداية الطريق اذن كانت وليدة حلقة اذاعية من برنامج ثقافي أعده أسبوعيا تحت شعار شاهد اثبات كان يذاع من مدينة فاس على الامواج الوطنية صباح كل يوم جمعة فصار يذاع الآن صباح كل يوم سبت وهو برنامج يعنى بالتاريخ الفكري والحضاري ويعمل على خلق التواصل بين المواطنين عن طريق الثقافة المشتركة والشعور الديني العام .

وجهت هاته الحلقة المقصودة بالذكر يوم 24 نونبر 1978 م وكان الغرض منها تذكير المواطنين بوثيقة قيمة تتحدث عن الصحراء المغربية وتؤكد ارتباطها بالمغرب ، وتذكيرهم أيضا بالوحدة السلالية لكثير من القبائل العربية والبربرية .

وكانت الوثيقتان ماخوذتين من مقدمة كتـــاب (آسفي وما اليه قديما وحديثا) تأليف العلامة القدير والمؤرخ الجليل السيد محمد بن احمـــد العبـــدي الكانوني رحمه الله .

لم أكن أعرف عن هذا العالم شيئا ولم اكـــن بعد قد كلفت نفسي لابحث عنه ولاعـــرف حياتـــه وسلوكه ودراسته وتأثره وتأثيره بل كدت اكتفي يوم تحدثت عنه بما ورد فى كتبه من أخبار وبما سجلـه من مواقف تدل على وطنيته وأريحيته وتجسم مع ما ربينا عليه آنذاك .

الشيء الذي كان يربطني بهذا المؤرخ انما هو شعور مشترك يربط بين انسانين وقع بينهما تجاوب فى كثير من الموضوعات أو بتعبير آخر هو ذلـــك الاسقاط الذي يحس به شخص ظامىء الى المعرفة يجد أمامه انسانا كان له نفس الظما ولكنـــه وجـــد السبيل الى اطفاء غلتـــه بالخزانـــات المختلفـــة وبالدراسات القيمة وبالاطلاع على عدد من الكتـــب المطبوعة والمخطوطة وكان يملك من الذكاء قـــدرا يجعله يستفيد من تلك الكتب التي يدرسها ويملـــك من الشخصية ما يجعله يجهر بالحق فى كل مناسبة ومن سعة الخاطر والصبر على الطلب ما يجعلـــه يستفيد من شيوخه وأصدقائه ويستفيد حتى مـــن الظواهر الاجتماعية العاديـــة .

تلك هي الرابطة التي كانت تجمعني بالفقيـــه الكانوني ولم اكن اظن حينما كنت القي حديثي عبـــر الاثير ان اشخاصا ثلاثة جمعتهم الاقدار رغم اختلاف مواقعهم ان يستمعوا الي وأن يكون لهم تاثير فعال فى كتابة هذا البحث عن حياة الفقيه الكانوني رحمه الله.

اما الشخص الاول فهو حفيدته مـــن بنتـــه الساكنة بفاس وقد اشرنا اليها من قبل .

وأما الشخص الثاني فابنه الوحيد وهو المسمى جمالي محمد مدير مدرسة حرة بالدار البيضاء .

وأما الشخص الثالث فهو السيد ابن الشيـــخ عبد الرحمن من مدينة آسفي .

هؤلاء الثلاثة كان لهم فضل فى فتح الطريـــق أمام الذين سيبحثون فيما بعد عن سيرة الفقيه لانهم زودونا ببعض المعلومات المفيدة التي سننشرها ان شاء الله .

ولعلني وأنا أكتب للقراء عن هؤلاء الثلاثـــة ان اخبرهم بأن السيدة غطاس امينة كانت هي المبادرة الاولى بالتساؤل عن جدها ولكن ذلك لم يمنعنا من ان نستفسرها بواسطة الاذاعة عن بعض الجزئيـــات فأجابتنا برسائل كان لها دور فى الكشف عن بعض ملامح شخصية جدها وقد استمدت هاته الملامح من اسرتها واقاربها ومن خالها ابن الكانوني رحمـــه الله الذي كتب الينا هو بدوره الرسالة التالية بتاريخ 25 دجنبر 1978 . قال فيها :

من جمالي محمد بن المرحوم الفقيه سيـــدي محمد بن أحمد العبدي الكانوني مدير مدرسة حرة بحي القريعة زنقة 57 مكرر الدار البيضا .

الى السيد المحترم المشرف على برنامـــج شاهد اثبات ـ الاذاعة والتلفزة المغربية بمدينة فاس

حياكم الله ورعاكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاتـــــه .

بوجود مولانا المنصور بالله دام عزه وعلاه .

وبعد ، سيدي الكريم ، يسعدني ويثلج صدري ان أ طلع بكل سرور وانشراح على ما أذيع بأحـــد برامجكم شاهد اثبات يوم الجمعة 23 ذو الحجـــة 1398 هـ موافق 24 نونبر 1978 م صبـــا حوالـــي الساعة التاسعة والنصف حول المرحـــوم والدي الفقيه سيدي محمد بن أحمد العبـــدي الكانونـــي صاحب كتاب (آسفي وما اليه قديما وحديثا) واذا كان ابرازكم سيدي للشخصيات المغمورة من أعلام الفكر والتاريخ والفقه والادب فى بلدنا هذا يعد من لدن سيادتكم بمثابة الحفريات الاثرية التي تكشف عن مدى تقدم الامم وبلوغها أوج الحضارة والرقي ، فاسمحوا لي سيدي أن اتقدم اليكم بصفتي الابـــن الاوحد للفقيه الكانوني ونيابة عن اخواتي ووالدتـــي وبقية افراد الاسرة الكانونية باصدق عبارات الشكر والامتنان على عنايتكم بشخصية مغربية كان حافزكم الى احياء تراثها واظهار أياديها فى ميدان التأليـــف والتصنيف حبكم للبحث والتنقيب وخدمتكم للثقافة المغربية التي لم تكتفوا ازاءها أثناء تحدثكـــم عـــن

الفقيه الكانوني رحمه الله باظهار بصماته على تاريخ المغرب الحبيب فحسب ، بل لقد استهدفتم أكثر من ذلك الى اثبات مغربية الصحراء وابطال حجج المتواطئين على خلق كيان مصطنع في جزء أصيل من التراب الوطني الذي يتهيأ المغاربة قاطبة للدفاع عن آخر شبر منه بآخر قطرة من دمائهم .

فشكرا لسيادتكم على هذه الالتفاتة الكريمة وعلى كل من مد لكم يد العون في هذا البرنامج القيم والله لا يضيع اجر من احسن عملا .. » .

ولم يكتف هذا الابن برسالته بل حاول ان يزورني بمدينة فاس ولكنه وجدني مسافرا واستطاع ان يتوصل في مدينة فاس برقم تلفوني لمنزل يستضيفني بالدار البيضاء وهو منزل صهرنا الفاضل الاديب سيدي عبد الكريم بن المرحوم سيدي احمد سكيرج .

وفي منزل الصهر دق الجرس وكانت الصدفة انني الذي اخذت سماعة الهاتف فاذا بي اسمع صوتا يسال عني بالذات فقلت من السائل ؟ قال انا السيد جمالي محمد بن الفقيه الكانوني الذي يتحدث عنه الاستاذ الدباغ بالاذاعة واريد ان اتعرف على الاستاذ لاجدد له شكري ولاقدم له بعض المعلومات عن والدي . فاذا بي أقول له سبحان الله ! ان الذي يستمع اليك الآن هو الاستاذ الدباغ نفسه .

وحيث انني لم ادر كيف احدد له عنوان المنزل فقد اتفقت معه على ان نلتقي بمقهى فرنسا بساحة محمد الخامس يوم الجمعة 23 مارس 1979 على الساعة التاسعة صباحا وان يكون شعار التعارف احمله بيدي ومكانا خاصا يجلس به . وبالفعل لما وصلت الى المقهى شعرت بانجذاب الى شخص يجلس بزاوية منها وبيده ملف ضخم يحتوي على كثير من الوثائق المتعلقة بوالده فقام الي مبتهجا والدموع تنصب من عينيه وصافحني مصافحة حارة واستمر الحديث دقائق كانت كافية للتعرف عليه وعلى احواله وعلى ما يكنه نحو والده من تقدير واعزاز .

واثناء لقائنا هذا قدم الي عددا من جريدة الانباء تحدث فيه الاستاذ زين العابدين الكتاني عن اثبات صحراء المغرب من كتاب (آسفي وما اليه قديما وحديثا) وهو العدد الاسبوعي رقم 1374 الصادر يوم الاثنين 25 رجب 1395 هـ موافق 4 غشت 1975 م .

وقدم الي لائحة بمظان الخزانات التي يمكن ان توجد بها كتب والده كما قدم الي ترجمة وجيزة كتبها الاستاذ عبد السلام ابن سودة تحدث فيها عن الفقيه الكانوني وعن كيفية تلقيه لدروسه بآسفي والرباط وسلا وفاس .

وعبد السلام ابن سودة هذا هو الذي اخرج كتابا من كتب الكانوني ونسقه واعتني به كتابا يتعلق بتاريخ الطب في المغرب الاقصى وقد قدم الي ابن المؤلف قائمة بمؤلفات ابن سودة وفيها ذكر لهذا الكتاب الذي يشتمل على مائة وخمسين صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة ومحتفظ بها في الخزانة الاحمدية .

وبعد تجاذب كثير من اطراف الحديث توجهنا للترحم على قبر والده وهو يوجد بمقبرة بسيطة عليها مسحة من جلال الفقيه ومن ورعه .

وقبره بهذه ا لمقبرة طارىء لانه كان قد دفن قبل نقله الى القبر الجديد بمقبرة اخرى ولكن ابنه سعى في نقله الى مزاره الاخير خوفا من اندثار رفاته بسبب توسيع طريق أولاد زيان الذي شمل طرفا من المقبرة التي كان قد دفن بها الفقيه الكانوني أولا .

ولقد ذكر لي ابن الفقيه انه يملك الحزام الاسود في المصارعة اليابانية وان اهتمامه بالرياضة انما كان استجابة لروح والده الذي ألف كتابا خاصا بالرياضة في الاسلام . كما ذكر لي انه يحمل ورقة المقاومة وانها هي أيضا استمداد من روح والده الذي كان يقاوم الاستعمار بكل قواه بل انه يرى ان اهتمامه بالتعليم الحر قد يكون ايضا من وحي والده الذي كان يدعو في حياته الى التعليم ويهيب بالمواطنين ان يؤسسوا المؤسسات التعليمية الحرة التي تساعد على النهضة الوطنية وعلى الرقي والازدهار .

وهكذا احسست أنني امام ابن بـــار بوالــــده يحرص تمام الحرص على الاتصال بمن يحيي آثـــار هذا الوالد لتصير فى متناول الجميع .

هذا هو الشخص الثاني الذي قلت انه من بين الاشخاص الذين كان لهم تأثير فعال فى كتابة هـذا البحــــث .

واما الشخص الثالث وهو السيد بن الشيخ عبد الرحمن (الحفيد) الذي توالت رسائله وتتابعت، فسيلاحظ كل من يقرأ رسائله انه يحمل فى نفسه حبا كبيرا لهذا العالم الجليل ويقدره تقديرا تجاوز الحدود العادية فهو يتعشقه تعشقا صوفيا ويرى فيه زعيما دينيا من الزعماء الذين يحملون لواء السلفية وينشرون مبادىء جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ورشيـــد رضـــا .

ويعتذر الكاتب فى رسائله عن بعض الاخطـــاء التي قد تقع في كتابته فهو بحكم مهنته تاجر وليس بكاتب ، والواقع ان هذا الاعتذار مقبول بالنسبـــة لبعض الاخطاء البسيطة . واما بالنسبة الى المنهجية والى المعلومات والى الاسلوب فان ابن الشيخ عبد الرحمن يعد كاتبا بارعا وقديرا . والغالب انه استفاد من عشرة الكانوني رحمه الله فهو كان يحضر دروسه بآسفي وكان يفد عليه فى مراكش وكان يزوره بالدار البيضاء ويحضر دروسه ببعض مساجدها .

وما كتبه ابن الشيخ يعد لبنة أساسية فى كتابة تاريخ الكانوني ودراسة حياته ، وسنوافي القراء ان شاء الله فى بعض منشوراتنا ببعض هاته الرسائل ليطلعوا من خلالها على ما كان للكانوني من فضل فى الحركة السلفية وما كان له من يـــد فى الحركـــة الوطنيـــة .

هذه النبذة التي قدمت أرى انها ضروريـــة لتمهيد الحديث عن حياة الكانوني وللتعريف به قبل الشروع فى دراسة بعض كتبه وتحليلها ونحن بحول الله سنعمل ما فى وسعنا للقيام بهذا العبء الجسم الذي يعد واجبا وطنيا وثقافيا فى آن واحد .

وذلك هو موضوع مقالاتنا المقبلة التي نأمل ان ننشرها بالتوالي حول الكانوني وحول دوره الثقافي والفكري في بلادنا وستستعين فيها بما كنا قد اذعناه فى برنامجنا الثقافي الاسبوعي الحامـــل لشعـــار شاهد اثبات وبما توصلنا اليه من دراسات عامة حول هذا الكاتب القدير رحمه الله فالى ذلـــك الحيـــن والـــى اللقـــاء .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ



فتنة سليمان

للدكتور عبد الله بن الصديق

قال الله تعالى (ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب) سورة ص ، آية 34 . اخبرت الآية الكريمة أن سليمان فتن ، فما هي فتنته ؟

قال كثير من المفسرين : كانت فتنته بسبب خاتمه ، ثم اختلفوا في كيفيتها على جهات ، مأخوذة من الاسرائيليات ، وبيانها على الوجه الآتي :

1 ـ قال ابو جعفر بن المنادي : حدثنا ابو خالد القرشي حدثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن عمارة بن عبد ، عن علي عليه السلام ، قال : بينما سليمان عليه السلام جالس على شط البحر وهو يلعب بخاتمه فوقع ، وكان ملكه في خاتمه ، فانطلق فأتى عجوزا فأوى اليها ، وخلفه الشيطان ، فقالت العجوز : اذهب فاطلب ، وانا اكفيك عمل البيت ، فذهب فانتهى الى صيادين فنبذوا اليه سمكات ، فأتى بهن ، فشقت العجوز سمكة ، فاذا الخاتم ، فأخذه فقلبه ، فأقبلت اليه الجن والطير والوحش ، وفر الشيطان الى جزيرة ، فقال سليمان : ائتوني به ، قالوا : لا نقدر عليه ، الا انه يرد علينا في كل اسبوع ، قال : فصبوا له خمرا ، فلما شرب سكر ، فأروه الخاتم ، فقال سمعا وطاعة . فأتوا به سليمان فأوثقه ، وأمر به الى جبل الدخان ، فما ترون من الدخان فذاك .

هذا لا يصح عن علي عليه السلام ، وما نطق به قط . ابو خالد القرشي متروك ، قال يحيى بن معين . كذاب خبيث ، حدث بأحاديث موضوعة .

2 ـ قال ابن ابي حاتم في تفسيره : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن ابي شيبة ، وعلي بن محمد قالوا : حدثنا ابو معاوية اخبرنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، في قوله تعالى : (والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) .

قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام ان يدخل الخلاء ، فأعطى الجرادة خاتمه ، وكانت الجرادة امرأته ، وكانت أحب نسائه اليه . فجاء الشيطان في صورة سليمان ، فقال لها : هاتي خاتمي ، فأعطته اياه ، فلما لبسه ، دانت له الانس والجن والشياطين . فلما خرج سليمان من الخلاء ، قال لها : هاتي خاتمي ، قالت : قد اعطيته سليمان ، قال : انا سليمان ، قالت : كذبت ما انت بسليمان ، فجعل لا يأتي أحدا يقول له : انا سليمان ، الا كذبه ، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة ، فلما رأى ذلك سليمان ، عرف انه من أمر الله تعالى . قال : وقام الشيطان يحكم بين الناس ، فلما أراد الله ان يرد على سليمان سلطانه ، ألقى في قلوب الناس انكار ذلك الشيطان قال : فأرسلوا الى نساء سليمان،

فقالوا لهن : تنكرن من سليمان شيئا ؟ قلن نعم انه يأتينا ونحن حيض ، وما كان يأتينا قبل ذلك . فلما راى الشيطان انه قد فطن له ، ظن ان امره قد انقطع، فكتبوا كتبا فيها سحر وكفر ، فدفنوها تحت كرسي سليمان ، ثم اثاروها وقراوها على الناس ، وقالوا : بهذا كان سليمان يظهر على الناس ويغلبهم . فأكفر الناس سليمان عليه السلام ، فلم يزالوا يكفرونه . وبعث ذلك الشيطان بالخاتم ، فطرحه فى البحر . فتلقته سمكة ، وكان سليمان يحمل على شط البحر بالاجر ، فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التي فى بطنها الخاتم . فدعا سليمان ، فقال : تحمل لي هذا السمك ؟ قال نعم ، قال بكم ؟ قال : بسمكة من هذا السمك : قال فحمل سليمان السمك ، الى منزل الرجل ، فلما انتهى الى بابه ، اعطاه تلك السمكة التي فى بطنها الخاتم . فأخذها سليمان ، فشق بطنها ، فاذا الخاتم فى جوفها . فأخذه فلبسه، فدانت له الجن والانس والشياطين ، وعاد الى حاله. وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان فى طلبه ، وكان شيطانا مريدا ، فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه ، حتى وجدوه يوما نائما ، فبنوا عليه بنيانا من رصاص، فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب فى مكان من البيت الا اغاظ معه من الرصاص . قال : فأخذوه فأوثقوه فجاؤوا به الى سليمان ، فأمر به فنقر له نحت من رخام ، ثم ادخل فى جوفه ، ثم سد بالنحاس ، ثم أمر به فطرح فى البحر . فذلك قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان على كرسيه جسدا ثم أناب) يعني الشيطان الذي كان سلط عليه .

قال ابن كثير : اسناده الى ابن عباس قوي ، ولكن الظاهر انه انما تلقاه ابن عباس – ان صح عنه – من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام ، فالظاهر انهم يكذبون عليه . ولهذا كان فى هذا السياق منكرات ، من اشدها ذكر النساء، فان المشهور عن مجاهد وغير واحد من ائمة السلف ان ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله منه ، تشريفا وتكريما النبه عليه السلام اه كلامه .

قلت : لم يصح هذا الاثر عن ابن عباس ، لان فى سنده عنعنة الاعمش ، وهو مدلس ، قال الذهبي: وربما دلس عن ضعيف ، وهو لا يدري به .

ويظهر من كلام ابن كثير : انه مقتنع بأن الجني سلط على ملك سليمان ، وانما استنكر هذا السياق، خصوصا تسليط الجني على نساء سليمان عليه السلام ، ولم ينكر القصة من اصلها مع انها باطلة ، لانه وجد كثيرا من التابعين اعتمدها كمجاهد وسعيد ابن جبير وسعيد بن المسيب والحسن البصري ، ولا ينقضي عجبي من هؤلاء وغيرهم من التابعين ، بل وبعض الصحابة الذين يعتمدون روايات أهل الكتاب، فى تفسير آيات القرءان الكريم ، رغم ورود النهى عن ذلك ، ورغم مخالفة تلك الروايات لالفاظ القرءان وسياقه !!

فلفظ (والقينا على كرسيه جسدا) ينفي ان يكون بطل القصة جنيا سرق الخاتم وجلس على الكرسي ، وصرف الملك مختارا مدة أربعين يوما ، لان الالقاء ، والجسد ، ينفيان ان يكون الملقى (1) حيا مختارا كما يتبين مما يأتي :

3 – روى الفريابي والحكيم الترمذي من طريق الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قول الله تعالى : (والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) قال : هو الشيطان الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس أربعين يوما ، وكان لسليمان عليه السلام امراة يقال لها : جرداة ، وكان بين بعض اهلها ، وبين قوم خصومة ، فقضى بينهم بالحق الا انه ود : أن الحق كان لاهلها ، فأوحى الله اليه : انه سيصيبك بلاء ، فكان لا يدري يأتيه من السماء أم من الارض ؟

صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، مع أن فيه عنعنة الاعمش ، على أن الحاكم علقه عنه .

ومن أين علم لنا أن سليمان تمنى أن يكون الحق مع اهل زوجه ؟ واذا حكم بالحق فلا عتب عليه أن يتمنى خلاف ما حكم به . ولو فرض انه عوقب ، فكيف يعاقب بتسليط شيطان يحكم فى الرعية

(1) بفتح القاف .

بخلاف الحق اربعين يوما حتى انكروا عليه !! فهذه عقوبة للرعية أكثر منها لسليمان عليه السلام ، وما ذنبهم أن يصيبهم هذا البلاء ؟ ! وصرح ابن عباس بانه تلقى تفسير هذه الآية عن كعب الاحبار ، حيث سأله عنها وعن قصة تبع ، رواه عنه عبد الرزاق في تفسيره .

4 – روى ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قوله (على كرسيه جسدا) قال : شيطان يقال له : آصف ، قال له سليمان : كيف تفتنون الناس ؟ قال : ارني خاتمك اخبرك ، فلما اعطاه اياه ، رماه آصف في البحر ، فساح سليمان ، وذهب ملكه ، وقعد آصف على كرسيه ، ومنعه الله نساء سليمان ، فلم يقربهن وانكرنه .

قال : فكان سليمان يستطعمه ، فيقول : اتعرفوني ؟ اطعموني أنا سليمان . فيكذبونه حتى اعطته امرأة يوما حوتا ، فوجد خاتمه في بطنه . وهذه قصة باطلة أيضا ، وفيها امور لا تليق بمقام النبوة .

وجاء عن قتادة والحسن وسعيد بن المسيب حكايات في قصة الجني الذي قام بانقلاب ضد سليمان عليه السلام ، بواسطة سرقة خاتمه ، واضطربوا في اسمه ، فقيل : صخر او آصف ، او آصر ، أو حبقيق ، وتلك الحكايات منتشرة في كتب التفسير .

5 – روى الطبراني في الاوسط وابن رودية في التفسير عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولد لسليمان بن داود ولد ، فقال للشيطاطين : اين نواريه من الموت ؟ قالوا : نذهب به المشرق ، قال : يصل اليه الموت ، قالوا : فالى المغرب ، قال : يصل اليه ، قالوا : فالى البحار قال : يصل اليه . قالوا : نضعه بين السماء والارض» ونزل عليه ملك الموت ، فقال : يا ابن داود أني أمرت بقبض نسمة طلبتها بالمشرق فلم اصبها ، فطلبتها في المغرب فلم اصبها ، وطلبتها في البحار وفي تخوم الارض فلم اصبها فبينا انا اصعد اذ اصبتها فقبضتها . وجاء جسده حتى وقع على كرسيه فهو قول الله عز وجل (ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب) » .

في سنده يحيى بن كثير صاحب البصري ، قال النسائي : ليس بثقة ، وقال الدارقطني متروك، وقال ابن حبان : يروى عن الثقات ما ليس من حديثهم ، فالحديث موضوع . واقتصار السيوطي على تضعيفه ، قصور .

ويعجبني موقف أبي حيان من هذه القصة حيث قال : نقل المفسرون في هذه الفتنة والقاء الجسد اتوا لا يجب براءة الانبياء منها ، يوقف عليها في كتبهم وهي مما لا يحل نقلها ، وهي من اوضاع اليهود والزنادقة ا هـ كلامه .

وفتنة سليمان عليه السلام ، لم يعينها الله تعالى بصريح القول ، لكن يمكن ادراك تعيينها بتدبر الآيات ، ومراعاة السياق التي يغفل عنها معظم المفسرون .

واذا رجعنا الى اول السورة ، نجد الله تعالى يحكي تكذيب الكفار لنبيه ، ويصفونه بانه ساحر كاذب وبأن ما جاء به اختلاق وافتراء ، ثم امره بالصبر ، وبذكر الانبياء الذين ابتلوا فصبروا ونالوا الرفعة والمنزلة العظيمة ، فبدا بداود وابنه سليمان، ثم قال : (واذكر عبدنا أيوب .. واذكر عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب .. واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل) .

ومهد لذكر فتنة سليمان بتزكيته فقال تعالى : (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب) . ومن يزكيه الله بهذا المدح المؤكد ، كيف يصح عنه ما جاء في تلك الحكايات المكذوبة ؟ ! وأي علاقة بل اي عبرة في استيلاء الشيطان على ملكه ؟ ! ارأيت كيف يسقط المفسرون بغفلتهم عن سياق الآيات ، واسلوبها البديع النظام ؟ !

وفتنة سليمان ، ثبتت فيما رواه الشيخان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه : ان شاء الله ، فلم يقل ، فلم تحمل منهن امرأة الا واحدة جاءت بشق غلام » فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون » فذلك الشق ، هو الجسد الذي ألقي على كرسيه ، أتوابه

فرآه سليمان ، وعلم ان امنيته لم تتحقق ، لانه لـم يقل : ان شاء الله ، وأناب أي رجع الى تعليق أموره كلها على المشيئة الالهيـــة .

ووقع نظير هذا النبي صلى الله عليه وسلم :

بعثت قريش الى اليهود بالمدينة يطلبون منهم يبعثوا اليهم باسئلة يمتحنون بها النبـــي صلى الله عليه وسلم ، فارسلت اليهم يهود : أن سلوه عن أمر اصحاب الكهف ؟ وعن ذي القرنين ، وعن الروح ؟ فجاءت قريش الى النبي صلى الله عليـــه وسلـــم ، وسألوه عن هذه الاشياء ؟ فقال : « ائتوني غدا » ، ولم يستثن اى لم يقل : ان شاء الله ، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلـــة ، لا يحدث الله في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل ، حتى ارجف اهل مكة ، وحتى احزن النبي صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة . ثم جاءه جبريل بجواب ما سئل عنه ، وبقوله تعالى : (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) الآية .

فأدبه الله على ترك المشيئة ، كما أدب سليمان عليها من قبله . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم عن سليمان : « لو قال ان شاء الله لجاهدوا كلهم » اي لرزقه الله الاولاد وكبروا وجاهدوا .

والحكمة فى ذكر فتنة سليمان عليـــه السلام تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما حصل له من ترك المشيئة والتأديب عليها ، بأن مثله حصل لنبي كريم أواب .

ومن تمام المناسبة بينهما : أن سليمان سخر الله له الجن ، رعايا فى مملكته ، والنبي صلى الله عليه وسلم صرف الله اليه الجن ليكونوا من جملـــة امتـــــه .

وترك التعليق بالمشيئة ، ليس بمعصية ، بل غايته أن يكون مكروها أو خلاف الاولى . والمقرر فى علم الاصول : أن النبي صلى الله عليه وسلم يفعل المكروه للتشريع كما هنا .

فقد ترتب على تأديب الله عليها ، الحض على سلوك الاولى والافضل دائما ، اقتداء بصنيـــع الله تعالى حيث يقول : (لقد صدق الله رسوله الرؤيـــا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وهذه الآية نزلت بعد آية الكهف .

وبهذا يكون الله تعالى قد حض على التعليـــق بالمشيئة الالهية ، قولا فى آية الكهف ، وحض عليها عملا فى هذه الآيـــة .

وبعد هذا نرد المفاسد والمنكرات فى تلـك الاسرائيليات التي غفل عنها من فسر بهـــا فتنـــة سليمان عليه السلام ، ويتلخص الرد فيما يلي :

1 ــ المقرر فى علم اصول الدين أن الشيطان لا يقدر ان يتمثل فى صورة نبي ابدا ، ولا يقدره الله على ذلك . وصح فى الحديـــث المستفيـــض : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فمن رآنـــي فى المنام فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي » . وفى رواية « فان الشيطان لا يتكونني » أي لا يتكون على صورتي .. هذا فى المنام ، فكيف باليقظة ؟!!

2 ــ من المقرر كذلك : أن الشيطان لا يقدر على الاتصال بنساء نبي والزنا بهن . بل صرحوا بان نساء الانبياء لا يزنين ، وان كن كافرات ، لان الكفر ينشأ عن تقليد الآباء ، بخلاف الزنا فان منشاه خسة الطبع ، ودناءة النفس ، وشدة الضلمة .

ولما جاءت هند ام معاوية وهي مشركـــة الى النبي لتبايعه على الاسلام ، وعرض عليها فى البيعة : ولا تزنين ، قالت مستنكرة : او تزني الحـــرة ؟ ! مع انها كانت معتزة بشركها باعتباره دينا وجدت عليـــه اهلها وقومها . وقد زل زلة عظيمة من فـــر مـــن المعاصرين خيانة امراتي نوح ولوط بالزنا ، ومـــا خيانتهما الا ممالأة قومها على الكفر ، وايذاء زوجيهما. وحق هذا المفسر : أن يعزر تعزيرا بالغا .

3 ــ اخبر الله تعالى انه أعطى سليمان الملك الذي طلبه ، وقال له (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حســاب) ولم يعلقه بخاتم ولا غيره .

4 ــ واليهود لعنهم الله ينكرون نبوة سليمان ويعتبرونه ملكا حكيما ، يعنون بالحكمة السحـــر ، ويعتقدون انه نال الملك وتسخير الجن ، بالطلسمات

السحرية ، ولهذا قالوا : كان ملكه في خاتمه . . وما كان للمفسرين أن ينخدعوا بكذبهم ، ويدونـــوه في تفاسيرهـــم .

5 ـ من ابطل الباطل دعوى أن صورة سليمان كانت في خاتمه ايضا بحيث لما ذهب الخاتم ، ذهبت صورته معه ، وانكره الناس ، ولم تعد اليه صورته ، حتى عاد الخاتم . كيف ارتبطت صورته التي خلقه الله عليها ، بخاتم في يده ؟ ! واى عقل يصدق هذه الخرافـــة ؟ !

6 ـ لا يجوز في حق سليمان النبي عليـــه السلام أن يهرب بولده من المـــوت ، ويستعيـــن بالشياطين على ذلك ، وانهم وضعوه بين السمـــاء والارض ، هذه خرافة ايضا .

7 ـ الجسد جسم لا روح فيه ، ولذلك قال الله تعالى : (والقينا على كرسيه جسدا) وفي الحديث: « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد » اي حين كان ادم جسدا لا روح فيه . فاذا انضـــم الروح اليه . زال عنه اسم الجسد ، وسمى انسانا او ملكـــا او شيطانا ، لانه حي يعقل ويتحرك بارادته . فتفسير الجسد في الآية بالشيطان ، لا تساعد عليه اللغـــة العربية ، وينافى دقة التعبير القرآني ، اذ لو كان المراد شيطانا كما في الاسرائيليات ؛ لقيل : وسلطنا على كرسيه شيطانا .

8 ـ ما كان الله تعالى ليسلب نبيه ما اعطاه ، ويلجئه الى التكفف وسؤال الناس ، لا لذنـــب اتاه ، اذ هو معصوم ، ولكن لان الشيطان سرق خاتمه من زوجه . والله تعالى يكره لعبده أن يسأل غيـــره ، خصوصا من كان نبيا مرسلا جاء في بعض الآثار : ان الله أوحى الى موسى عليه السلام : سلني في كـــل شيء حتى في شسع نعلك ، وملح عجينك .

طنجة : عبد الله بن الصديق

الدفاع الشرعي في الشريعة الاسلامية

للأستاذ عبد الواحد الناصر

حرمت الشريعة الاسلامية القتال بين الجماعات والدل الاسلامية ، واعتبرت اللجوء الى القوة خلافا لما تقضي به أحكامها عدوانا على الانسانيـــة (1) .
والقتال المشروع فى الاسلام اربعة أنواع هي قتال اهل لاردة وقتال اهل البغي وقتال قطاع الطـرق والجهاد ضد غير المسلمين (2) .

وعلى ذلك فالحروب المشروعة فى الاسلام اما ان تكون حروبا بين الجماعات والدول الاسلامية واما ان تكون جهادا ضد غير المسلمين . فان وقع عدوان او نزاع مسلح بين المسلميـــن تعيـن على الجماعات أو الدول الاسلامية الاخرى ان تتدخل الى جانب الجماعة او الدولة المعتدى عليها تطبيقا لقوله تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما . فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحـوا بينهما بالعدل واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين »(3)
فهذا النص القرآني يلزم الجماعات والدول الاسلامية بحل منازعاتها بالوسائل السلمية قبل اللجـوء الى استخدام القوة . كما يجيز استخدام القوة بصورة جماعية ضد الجماعة او الدولة المعتديـة حتـى تتراجع عن عدوانها وتعود الى الامتثال الى قواعد الشرع الاسلامي الملزمة للجميع .

---

(1) قال تعالى فى كتابه العزيز : «من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتـل النـاس جميعا » . وعلى ذلك فالشريعة الاسلاميـــة اعتبرت العدوان جريمة دولية ، لانه يؤدي الى قتل النفوس بغير حق والى الاستعلاء فى الارض والفساد فيها : « تلك الدار الاخرة نجعلها للذيـن لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا » .

(2) انظر « الاحكام السلطانية » لابي الحسن الماوردي . وقد ذهب ابن تيمية الى ان القتال المشروع فى الاسلام هو « الجهاد الواجب للكفـار والممتنعين عن بعض الشرائع كمانعي الزكاة والخوارج» انظر السياسة الشرعية فى اصلاح الراعي والرعية ، نشر المكتبة العلمية بالمدينـة المنـورة ، ابريل 1960 ، ص. 119 . وقد اتفق علماء الشريعة على ان الجهاد لا يكون بالسيف وحده وانما يكون أيضا بالمال واللسان والقلب ، انظر ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد فى هدي خير العبـاد ، نشر مكتبة البابي الحلبي وأولاده بمصـر ، طبعة 1390 هـ ، الجزء الثاني ، ص. 42 ، وانظـر محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، نيل الاوطار ، نشر دار الجيل ، بيروت 1973 ، الجزء الثامن ، ص. 25 .

(3) سـورة الحجـرات : 9 .

وهكذا عرف الاسلام بفكرة الامن الجماعي التي تقوم على اساسها المنظمات الدولية المعاصرة (4) ، اذ اشترط قيام سلم حقيقي بين البلاد الاسلامية على اساس العدل واصلاح ذات البين ومنع العدوان (5)، كما وضع معيارا وقيودا لاستخدام القوة من اجل الدفاع الشرعي اخذ ميثاق الامم المتحدة بروحها كما سنبين في الفصل الثاني من الباب الاول .

اما الجهاد ضد غير المسلمين فقد اجازته الشريعة الاسلامية لصد العدوان الخارجي عن البلاد الاسلامية (6) ولرفع الظلم والفتنة عن المسلمين المقيمين في البلاد الاسلامية (7) ولكفالة حرية الدعوة وحرية الاعتقاد بها (8) .

---

(4) انظر الدكتور محمود خيري بنونة ، ضوابط العلاقات الدولية ، المنظمات الدولية ، الجزء الاول ، ص. 22 . وقد ذهب بعض الباحثين الى ان « المقارنة تبين ان التنظيم الدولي قد اخذ بما جاءت به الشريعة الاسلامية فحرم اللجوء الى القوة في المادة الثانية ، فقرة 4 من ميثاق الامم المتحدة واستثنى منهاج الة الدفاع الشرعي الفردي والجماعي في المادة 51 من الميثاق المذكور » ، انظر الدكتور محمد محمود خلف ، المرجع السابق ، ص. 254 . وانظر الدكتور حامد سلطان ، احكام القانون الدولي العام في الشريعة الاسلامية ، ص. 165 حيث يقول : « ان من يتأمل الاوضاعا لدولية المعاصرة ، ويتعمق في دراستها ، يرى ان الفكرة الاصلية التي قامت على اساسها الدولة الاسلامية هي الفكرة التي يعود اليها التنظيم الدولي المعاصر في خطوات بطيئة وثابتة » .

(5) النص القرآني المذكور يمكن ان يكون اساسا لمنظمة دولية اسلامية يكون من اختصاصها حسم المنازعات التي تثور بين الدول الاسلامية وتطبيق نظام للامن الجماعي . وهو يجيز بصورة ضمنية انشاء جهاز لتحديد الطرف المعتدي والطرفا لمعتدى عليه الموجود في حالةد فاع عن النفس .

(6) ذهب بعض المؤلفين الى ان الدولةالا سلاميةيجوز لها استخدام الجهاد لرد الاعتداء عن بلاد المسلمين ، ولا يحق لهاب دء الدول غير الاسلامية بالحرب مهما كانت الاعذار . وعلى ذلك فحروب الجهاد هي دفاع عن النفس وبقصد المحافظة على البقاء . انظر الدكتور محمد حافظ غانم ، مبادىء القانون الدولي العام ، الطبعة الاولى ، القاهرة 1956 ، ص. 434 وطبعة 1968 ، ص. 715 والدكتور محمد عبد اللهدراز ، نظرات في الاسلام ، القانون الدولي العام في الاسلام ، بيروت 1972 ، ص. 135 ، والدكتور محمد محمود خلف ، المرجع السابق ، ص. 152 ، والاستاذ اسد ، منهاج الحكم في الاسلام، نشر دار العلمللملايين ، بيروت 1964 ، ص. 137 حيث يقول ان الشريعة الاسلامية تنص على تجنب الحرب الا في حالة الدفاع عن الوطن .

(7) انظر تفسير المنار الجزء العاشر ، ص. 306 وانظر الشيخ محمد ابو زهرة ، العلاقات الدولية في الاسلام ، سلسلة التعريف بالشريعة الاسلامية، القاهرة 1964 ، ص. 49 و 50 و 92 . وانظر الدكتور حامد سلطان ، المرجع السابق ، ص. 112 و 113 ، والمستشار علي منصور في مؤلفه الشريعة الاسلامية والقانون الدولي العام ، القاهرة 1962 ، ص. 287 و 289 حيث يذكر ان حروب الجهاد كانت حروبا دفاعية بدأها الفرس والرومان والعرب الموالين لهم . وانظر الدكتور محمد كامل ياقوت الشخصية الدولية في القانون الدولي العام والشريعة الاسلامية ، القاهرة 1971 ، ص. 414 و 415 حيث يقول ان نصوص الشريعة الاسلامية تعتبر الدولة التي تعتدي على حرية العقيدة في حالة حرب مع الدولة الاسلامية اذا انصب عدوانها على مصادرة الدعوة الاسلامية واضطهاد دعاتها في اقليمها .

(8) انظر الدكتور عبد الحليم محمود في مؤلفه الجهاد والنصر ، القاهرة 1968 ، ص. 30 ، والاستاذ سيد قطب في كتابه « في ظلال القرآن » ، المجلد الثالث ، الطبعة السابعة ، بيروت 1971 ، تفسير سورة الانفال . وانظر رسالة الدكتور وهبة الزحيلي حول آثار الحرب في الفقه الاسلامي ، نشر دار الفكر بدمشق 1962 ، ص. 77 و 78

وقد تضمن القرءان الكريم عدة آيات تتعلق بحق الدولة الاسلامية فى الدفاع عن نفسها فى حالة وقوع عدوان خارجي عليها . واول هذه الآيات نزولا : « أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوي عزيز » (9) . وهذا يجيز للمسلمين استخدام القوة دفاعا عن النفس وعن عقيدتهم ضد هذا العدوان الذي يستهدف ارجاعهم عن دينهم بعد ما اخرجوا من ديارهم بغير حق ، وما ذلك الا تطبيق لحق الدفاع عن النفس من اجل رد العدوان الخارجي عن البلاد الاسلامية .

اما اذا وقع الاعتداء من احدى الدول على حرية العقيدة الاسلامية واضطهد فيها المسلمون بسبب دينهم سواء كانوا رعاياها او اجانب عنها ، اعتبرت دولة معتدية ، بمقتضى احكام الشرع الاسلامي ، مما يستوجب منعها عن هذا العدوان ، اذ قال تعالى : « وما لكم لا تقاتلوا فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا » (10) .

يتبين من هذا النص انه يجوز للدولة الاسلامية استخدام القوة دفاعا عن المسلمين المضطهدين فى اقليم دولة اخرى ، ولو كانوا رعايا للدولة التي تعتدي عليهم ، بشرط الا تكون هناك معاهدة دولية تمنعها من ذلك : « وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » (11) وكان هذا قيد آخر وضعه الاسلام على حق الدفاع عن النفس .

وقد ذهب بعض العلماء المستشرقين والباحثين المسلمين المتأثرين بهم الى أن الجهاد اداة لنشر تعاليم الاسلام واكراه الناس على اعتناقها وابادة من لا يقبلها (12) ؛ وان جميع الشعوب بحسب الشرع الاسلامي فى حالة حرب مع الاسلام لكون الجهاد لا يمنع اية دولة حصانة ضد الحرب ، وليس هناك فى الاسلام مكان للشعوب الراغبة فى الحياد (13) .

---

(9) سورة الحج : 39 ـ 40 .

(10) سورة النساء : 75 . وقد ذهب البعض الى ان هذا النص يشمل الدفاع عن حرية الدعوة الاسلامية وعقيدتها وحرية المؤمنين بها وكذلك الدفاع عن كل جماعة مستضعفة تعرضت للعدوان . انظر الدكتور محمد كامل ياقوت ، المرجع السابق ص. 394 لكن هذا النص يتعلق بحق الدولة الاسلامية فى استخدام القوة دفاعا عن المسلمين المضطهدين فى اقليم دولة غير اسلامية ؛ اما الدفاع عن معاهدة بين الطرفين تقضي بذلك .

(11) سورة الانفال : 72 . والشرط الذي تضمنته الآية الكريمة يبين ان احكام الشريعة الاسلامية تختلف عن القواعد والمبادىء التي كانت تجيز للدول الاستعمارية خلال القرن الماضي التدخل فى شؤون الاقاليم الاخرى تحت ستار حماية رعاياها وممتلكاتهم بهدف السيطرة على هذه الاقاليم واستعمارها واستغلال خيراتها .

(12) انظر جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة 1959 ، ص. 27 وما بعدها .
وقد اعترف المنصفون من المستشرقين بأن الاسلام كان فى غنى عن اللجوء الى القوة للاعتقاد به لما توافر له من قدوة طيبة من المسلمين، وبدليل وجود اكثر المسلمين فى بقاع لم تصل اليها حروب الجهاد . وقد قال تعالى فى كتابه العزيز : « لا اكراه فى الدين » ، وقال : « ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » سورة يونس : 99 ، وقال ايضا : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » سورة النحل : 125 .

(13) انظر الدكتور مجيد خدوري ، القانون الدولي الاسلامي ، تحقيق وتعليق على كتاب السير للامام الشيباني ، الطبعة الاولى ، نشر الدار المتحدة للنشر ، بيروت 1975 ، ص. 28 .

ومؤدى ذلك ان حروب الجهاد حروب عدوانيــة لا تتوافر فيها شروط الدفاع عن النفس ومقتضياته .

غير ان الجهاد ضد غير المسلمين ليس مطلقا وانما تقيده عدة قيود تجعل منه حرب دفاع عــن النفس . فقد اشترطت الشريعة الاسلامية استخدام القوة ضد من يستخدمها : « قاتلوا في سبيــل الله الذين يقاتلونكــم ولا تعتــدوا ، ان الله لا يحــب المعتدين » (14) . كما نهت ان تكون المظاهر غيــر الودية والاساءات الادبية ومقاومة الاماني المشروعة ذريعة لاستخدام القوة لقوله تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحــرام ، ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونــوا على الاثم والعدوان » (15) ، و « فمن اعتــدى عليكــم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (16) . والآية الاخيرة تقرر قاعدة استقر عليها العرف الدولي خلال القرن التاسع عشر وهي قاعدة تناســب اجراءات الدفاع الشرعي مع اعمال العدوان المسببة لها . وفي ذلك دليل على تقدم احكام الشريعــة الاسلاميــة وسموها وتقريرها لمبادىء واحكام وصل اليها القانون الدولي العام بعد تطوره خلال القرنين التاسع عشر والعشريــن .

نخلص مما تقدم الى ان الشريعة الاسلاميــة حرمت استخدام القوة بين الدول الاسلامية الا في حالات الدفاع عن النفس والتضامن الجماعي ضــد العدوان . كما اجازت للدولة الاسلامية اعمال حــق الدفاع عن النفس لرد العدوان الخارجي الواقع عليها، او لرد العدوان الواقع على المسلمين المقيمين في دار الحرب ، او لكفالة حرية الدعوة الاسلامية وحرية الاعتقاد بها اذا توافرت الشروط والقيــود التــي وضعتها لممارسة هذا الحق .

---

(14) سورة البقرة : 190 . وقد ذهب الاستاذ سيد قطب في تعليقه على هذه الآية الى ان « العدوان يكون بتجاوز المحاربين المعتدين الى غير المحاربين من الآمنين المسالمين ... كالنساء والاطفال والشيوخ والمنقطعين للعبادة من كل ملة ودين . كما يكون بتجاوز آداب القتال التي شرعهــا الاسلام » . انظر مؤلفه « في ظلال القرءان » ، المجلد الاول ، ص. 269 . غير ان هذه الآية وان كانت تقرر قاعدة من قواعد قانون الحرب في الاسلام وهي ضرورة التمييز بين المحاربين وغيــر المحاربين ، فانها تمنع العدوان سواء تم ضد غير المحاربين كالنساء والشيوخ والاطفال او ضد الشعوب والدول نفسها كالدول المحايدة او التي ترغب في الابقاء على علاقات سلمية مع الدول الاسلامية . ومما يدعم هذا الراي ان المسلمين الاولين طبقوا هذا المبدأ تجاه ثلاثة اقاليم هي بلاد الحبشة ، وبلاد النوبة ، وجزيرة قبرص التي كانت خاضعة لحكم البيزنطيين .

(15) ســورة المائــدة : 2

(16) سورة البقرة : 194 . وقد « سمي الرد على العدوان في هذه الآية عدوانا » من حيث هو جزاء عدوان ، اذ الظلم يتضمن العدوان ، فسمي جزاء العدوان عدوانا كقوله : « وجزاء سيئة سيئة مثلها »، انظر تفسير القرطبي : « الجامع لاحكام القرءان » ، نشر دار الكتب المصرية ، القاهرة 1954 ، الجزء الثاني ، ص. 354 . ومما يؤكد هذا التفسير قوله تعالى : « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » ، سورة النحل : 126 . وقد قال بعض العلماء في تفسير هذه الآية : « فمن اعتدى عليكم في الحرم فقاتلكم ، فاعتدوا عليه بالقتال نحو اعتدائه عليكم بقتاله اياكم » ، انظر تفسيــر الطبري « جامع البيان عن تأويل آي القرءان » ، نشر مصطفى الحلبي ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1954 ، الجزء الثاني ، ص. 199 . وانظر نفس الراي في « التفسير الكبير » للامام الفخــر الرازي ، نشر المطبعة البهية المصرية ، القاهرة 1938 ، الجزء الخامس ، ص. 147 .

مأساة القدس

للشاعر الاستاذ عبد الواحد اخريف

الدمع في العين دفاق ومنسكب ... والجرح من الم الاهوال ينتحب

والنفس من حر ما تلقى مولهة ... والفدر قام بساح الشر يصطخب

والشمس ما كست الآفاق بهجتها ... فذا الشعاع دم لا انه ذهب

سرى مع البدر حزن غال نشوتنا ... وارق الجفن من صيحاته لهب

ما عاد من سمر يحلو ولا سهر ... يهز ارواحنا من شدوه طرب

وكيف والقدس في بحران محنته ... يشكو دناءة من جاروا ومن نهبوا ؟ ؟

الجاثمون على ارض البراءة من ... ابناء « صهيون » يستهويهم الحرب

تشكو « فلسطين » من آثامهم حرقا ... بات الوجود لها يغلي ويضطرب

رمى بهم كل افق في مرابعها ... كان ما مزقوا يوما ولا تكبوا

« بلفور » يا وعد « بلفور » وقد ولدت ... به الخطيئة لا شرع ولا نسب

بنت الزنا قد عرفناها و « دولته » ... هي التي جاءنا من شرها العجب

اقامها هيكلا في دار غربتها ... بين العروبة ، لا قرب ولا سبب

عضو غريب ارادوا غرس بذرته ... وقد سقوه عسى ينمو ويستلب

« الغرب » قام عليها حارسا ومضى ... يساند الظلم لا يثنيه منقلب

متى تناد يجبها ماله غدقا ... اما العتاد فسيل ليس يحتجب

لولا هديته مشحونة لاتى ... على « فوارسها » في الساحة العرب

لكنها وحرابا حولها شمخت ... وسائل البغي والعدوان يرتكب

قد شردت من بني شعبي ومن وطني ... من ليس يسكته مال ولا رهب

الشيخ هام بعيدا عن مراتعه ... والطفل لم يدر ـ مثل النشء ـ ما اللعب

والام ما عرفت من بعد تكبتها ... هناءة ، والهوى من بعد مغترب

كل يعالج في ماساته المأ ... ما شاهدت مثله ـ مذ كانت ـ النوب

جرائم ما لها طول المدى مثل ... الله يشهد والتاريخ والادب

لم يكف طغمتها ما ناب امتنا ... واللص لا يرعوي ما دام ينتهب

قد استباحت حمى « القدس الشريف » لها ... وجاء « مسجدنا الاقصى » لها طلب

جاءت « تصلي » به من تحت اعيننا ... كان عاطفة الاسلام لا تثب

ففجرت غضبا من تحت ارجلها ... واوقدت شعلا بالغيظ تصطخب
وثار فى شعبنا بركان عاطفة ... وقودها الدم والاسلام والنسب
هل « لليهود » « صلاة » فى مساجدنا ؟! ... النار مسرحهم وهم لها حطب
اذا هم دخلوا « الاقصى » كأنهم ... « للمسجدين » غدوا يحدوهم الارب
لن يقبل المسلمون ــ الدهر ــ فعلتهم ... ولن يحقق ــ ما دمنا ــ لهم رغب
لا يقبل الطهر تدنيسا لساحته ... وقد علت فوقها من نوره قبب
مسرى الرسول عزيز فى ضمائرنا ... نفديه بالنفس وهو بعض ما يجب
تكاد نبصره والرسل قاطبة ... من خلفه والمصلى بالهدى طرب
والصلاة ضياء فى جوانبه ... علسال انغامها ما زال ينسكب
تلاوة من رسول الله تحفظها ... افياؤه فهي حتى اليوم تختضب
تعطرت مرة من طيب تربتها ... فاخضر من لحنها الانسان والعشب
سرت مع الليل نورا فاستضاء بها ... هذا الوجود ولو طالت به الحقب
قد كان فى ليلة الاسراء موعده ... مع السماء وقد حفت بها النخب
ملائك الله جاءت فى مواكبها ... تحية ، والسما بالنور تعتصب
حتى اذا نصب المعراج طار لها ... فلم يعد معه بدر ولا شهب
وسار يعلو الى ان نال منزلة ... لم تشرئب الى عليائها الرتب
وادرك الغاية القصوى وخاطبه ... صوت من الله ، لا غيب ولا حجب
وعاد والهدي يمشي في معيته ... ليستضيء به الاسلاف والعقب
«القدس» و «المسجد الاقصى» بنا ارتبطا ... كلاهما نحونا يرنو وينتسب
زيارة المصطفى كانت لنا سببا ... اليهما ، ثم فتح كان يرتقب
اتى به « عمر » الفاروق متضيلا ... وقام بالفتح « عمرو » مثلما يجب
فعاش لا ليموت الفتح منتحرا ... كلا فنحن على الاخلاص نصطحب

* * *

يا ايها المسجد الباكي سمعتك فى ... نفسي تردد شكوى لفها الغضب
بلواك تطلق عينا شح مدمعها ... والقلب من صدمة البلوى به عطب
« صهيون » جاءوا لكي يرضوا حماقتهم ... الى حماك ، وسخط الناس ما اكتسبوا
وما بهم من « صلاة » غير انهم ... راموا محارمنا بالسوء فانجذبوا
لعل عاقبة العدوان دانية ... ومصرع البغي لا يتغك يقترب
لا تاس يا مسجدا حب الوفاء له ... فرض فقد هز أركان العدا اللعب
ان كان للباطل المدعوم جولته ... فلن يدوم « نجاح » حشوه الكذب
تحيا « فلسطين » فى اعماقنا لهبا ... تزداد حدته ما ازدادت الكرب
تبقى « فلسطين » فى اعناقنا قسما ... حتى يعود الى جناتها العرب

الاسلام والتطور

-2-

للأستاذ احسن السائح

والاسلام الحق يحول بين التحريف والتضليل اللغوي ، سواء على طريقة الكهان الذين استخدموا الرموز للاستئثار بالمعرفة ، فظللوا بالسحر الذي هو تضليل الوعي الانساني وضللوا بالرموز والاشارة ... او الاحبار الذين حرفوا الكلم عن مواضعه فضللوا الانسانية واستغلوا الانسان وركزوا خضارة المادة ، او الرهبان الذين ضللوا بالعصمة والوارثة، والسيطرة على العلم وحدهم او الماركسيين الذين ضللوا بالايديولوجية المادية وحدها وفصل الانسان عن مسار الكون والفطرة .

وكما تتغير الامة وتضل فى متاهات الحياة اذا لم (تحافظ على سلامة اللغة والتعبير فانها تتغير كذلك عن طريق تغيير (المعرفة) ... والاسلام يرى وحدة المعرفة نتيجة وحدة الفطرة الانسانية فالنتائج تتفق مع المقدمات ولهذا فان الاسلام ناصر العلم وأيده واشاعه ونشره وكانت اول آية قرآنية داعية لنشر العلم ضد الكهانة التي تحتجز المعرفة لنفسها ، وضد التعاليم الكنسية التي ناصبت العداء للعلم فانتهى الصراع بتنحيتها عن الحياة العلمية والواضح ان المسلمين لم يشهدوا صراعا بين الدين والعلم ... فالكندي وابن الهيثم وغيرهم من علماء الاسلام لم يعترض احد عن نظرتهما ولم يعرف التاريخ الاسلامي طبقة رجال الدين وطبقة رجال العلم ولهذا (فالمعرفة) و (العلم) يتطوران دائما فى دائرة الدين الذي زاوج بين العقل والوجدان والفكر والعاطفة ، والمنطق والتجربة والفهم والذوق ...

والانسان ما يزال يلتقط الحكمة انى وجدها من مهده الى لحده لان الحكمة ضالة المومن ولهذا فهو لا يخشى التطور العلمي غير ان (التغيير) فى (المعرفة) لا يقع فى المعرفة نفسها ولكن فيما وراء المعرفة ، فاكتشاف (تحطم الذرة) حقيقة علمية قد تستخدم فى التعمير والتطور الانساني ، وقد تستعمل فى التخريب والدمار ، وفكرة (التطور) ، وصلة الانسان بسلالة القرد ، هي نظرية علمية وهي من طبيعتها لا تومن بحيوانية الانسان ولا بماديته ، ولا يستلزم اذا كان انسانا من اصل القردة أن يصبح مجرد حيوان منسلخ عن انسانيته ، وتبعا لذلك يعود لحيوانيته وشهواته البدائية ويتنكر لعقله ووجدانه ليكون فى صميم بيولوجيته وسيكولوجية جده القرد، فقد قال أرسطو بنفس الفكرة ورددها ابن خلدون فى المقدمة ولم يجعل أحد من هذه الفكرة انطلاقا للالحاد والكفر والفسوق وانما التحريف فرض على الفكرة ذاتها لاغراض سياسية اهمها تحريف الشعوب وتضليلها ومسخ ارادتها وعبقريتها ثم سقوطها فى دونية التغيير ... اي تغيير ما بعد المعرفة وقد جاء ماركس بنظرية اقتصادية جديدة ، وهي بحث فى بحوث العلماء لا يرى فيه الاسلام ما يعارض تطور الانسانية ولكن ربط الاقتصاد بتفسير مادي للتاريخ، واعتبار الانتاج الاجتماعي الذي يزاوله الناس بقيم

علاقات محدودة لا غنى عنها مستقلة عن الارادة الانسانية ، واعتبار أسلوب الانتاج فى الحياة المادية هو المحدد لصور العمليات الاجتماعية والسياسية فى الحياة ، وان الوجود الاقتصادي هو المحدد للمشاعر ، نهذا تحريف للمعرفة وتوجيهها وجهة خاصة لغرض خاص بخدم مصالح سياسية واجتماعية، ولا يخدم الانسانية بصفة عامة .

وتحليل النفس الانسانية على اساس الغرائز والعقل الواعي وربط العقل الباطني بالسلوك الانساني كما يرى (فرود) علمية ليس هناك ما يدعو لرفضها ولكن ربط العقل الباطني بالكبت الجنسي والدعوة الى الاباحية نظريات لا علاقة لها بالعلم ، ولا يتطور الانسان وهي تهدف الى التغيير لتفجير التفسخ ، وحل المجتمعات لاستغلالها والعبث باقتصادها واخلاقها .

وفلسفة الوجودية وسبق الوجود على المادة ، والتحليل الفلسفي لهذه النظرية ليس فيه مايعارض التطور الفكري للانسان ، ولكن الافضاء بهذه الفلسفة الى العبث والتمرد ، ومضايقة الغير هو انحراف عن خط المعرفة السليمة لغاية سياسية واجتماعية .

ان التغيير هو غير التطور ، والله تعالى كرم الانسان بالعقل والفطرة ، وفى وسع كل انسان ان يكون بصيرا على نفسه حارسا لشخصيته . وان الانسان لا يباع فى سوق العبودية الا برضاه ، وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ولن يقع التغيير الا الى الدونية والانحطاط لان الاسلام يقر قانون التطور ، كما قال تعالى « بل هم فى لبس من خلق جديد » ، والله خلقكم اطوارا وكان علماء الاسلام يقرون التطور ، ولكن ينكرون البدع ، التي استوفوها حقها من الدرس والتحليل ، والتي لا تعني الا التغيير والضلالات والتقليد ، وهي غير التطور والنماء والازدهار ... وما كان الاسلام ليقر (الجمود) وهو دين (الحركة) و (الحيوية) و (الاخذ والعطاء) والبحث عن المعرفة ، واعتبارها ضالة المومن يلتقطها انى وجدها ..

هذا هو مفهوم (التغير) والتطور فى الاسلام واصحاب مذهب التطور فى الغرب سواء الطبيعيون او الاجتماعيون لا يختلفون مع الاسلام فى (طبيعة النظرية) وانما يختلفون ضالين فيما وراء النظرية وكذلك يختلفون عن الطريقة الاسلامية فى اسباب التغيير ..

فالمذهب الماركسي يعتمد الشك الديكارتي الذي يطبع المزاج النقدي المعاصر فى كل شعب المعرفة والماركسيون يرون ان معظم المعتقدات والافكار هي ايديولوجيات وليست بواقع ، وعلى اساس ذلك يجب اتخاذ موقف نقدي اتجاه الايديولوجيات لانها فى الواقع تخفي امراضا اقتصادية خاصة ... فالحقيقة تنبثق من الواقع الذي يبدو واضحا فى التركيب الاقتصادي والذي ينعكس بدوره على المجتمع لا العكس . واعتبارا من ذلك فالانسان يستطيع ان يبدل الواقع عن طريق ازالة سلطة الاديولوجية ، ويرى ان الحقيقة تنكشف عن طريق الشك والتحليل ، والشك فى القيم وتحليل الواقع الذي يتغير تبعا له مستوى الفرد . ولكن مهما يحاول ماركس ان يبحث عن عالم واقعي فهو يبحث عن قيم ، واذا كانت الاديولوجيات قد حرفت فان الواقع سيكشف عن ايديولوجيات أخرى لربط الواقع وتلاحمه ، واية جامعة تنتظم البرولتاريا الا عن طريق الايديولوجيات التي مفاسدها ناتجة عن انحرافها وهو بهذا فى صميم الفكر الاسلامي ، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، فالقيم الاسلامية واضحة منطقية منتزعة من الواقع المعاش. وهي التي تشد المجتمع على اساس الحق والعدل . والانحراف فى المجتمع انحراف عن القيم ، لا نهاية القيم نفسها ... والايديولوجيات فى الاسلام لا تخفي وراءها مصالح اقتصادية بل ان المصالح الاقتصادية تخضع لتوجيه الايديولوجيات . فالزكاة والصدقة والوقف والارث احكام شرعية لاحداث تغييرات اقتصادية جذرية فى المجتمع ، والانحراف عن الايديولوجيات ليس نهاية كما قلنا ولكنه دعوة الى مناهضة الانحراف حتى لا تتغير تبعا لتغيير السلوك الانساني ، فالافلاس الاقتصادي نتيجة الانحراف العقائدي وهذا يؤكده تاريخ الماركسية نفسها فى الثورة الثقافية الصينية .

وكما نحافظ على العقيدة واللغة والمعرفة ، يجب ان نحافظ على التاريخ حتى لا يحرف ، فالاسلام يقر أن الانسانية مرت سليمة فى خط الوعي

الانساني ، عن طريق واقعه وواقع الانسانية وتسلسلها التاريخي ، لان التاريخ كما ترى الفلسفة المثالية (هيجل) يكشف عن ترقي المطلق وتحقيقه في الزمان ، ومن ثم فحقيقة الكون تنكشف خلال التاريخ ، ومن هذا التحديد للتاريخ يتخذ الواقع الوجهة السليمة ، من خلال ذاكرة الماضي السليمة ، وليس في ذلك ركود وجمود بل ذلك هو الحركة الهادفة ، والاسلام يحرص على التجديد الانساني من خلال (القرءان) الذي هو كتاب خالد من عند الله ، فهو وحي متجدد ، وما أصدق (اقبال) حين كان يقرأ القرءان وكأنه ينزل لاول مرة .. وهذا هو معنى التجدد وهو ايضا من اسباب الخلاف بين الفرق الاسلامية في قدم القرءان بكلماته ومعانيه وان الكلمة المتلوة قديمة عند بعض الغلاة من علماء الكلام ، فقدم الآيات هو تجديدها بالتلاوة .. ومن هنا فكلام الله قديم والتلفظ هو الحديث ...

اما التاريخ في المفهوم الانساني فهو كما عرفه القرءان الكريم بقوله (تلك امة قد خلت لها ما كسبت، وعليها ما اكتسبت ولا تسالون عما كانوا يعملون) . وغلو الفلسفة المثالية في فهم التاريخ دفع نقادها للرجوع الى الخط الاسلامي ، لان الاغراق في التاريخ هو ربط للماضي في حتمية جدلية افسدت على الانسان تطوره الكامل حتى صار معرفة لا تحرك الانسان نحو الامام بقدر ما تربطه بالماضي . ولهذا لم يحفل علماء المسلمين بالتاريخ كثيرا لانه يبعد عن المعايشة والحياة الواقعية ، ويقيد من مغامرات الانسان المتجددة نحو المجهول . ويؤيد بعض علماء النفس هذه النظرية معتمدين على ان كثرة الناس لا يستطيعون النهوض بالتبعات الا اذا استعانوا بالنسيان ، وعدم الاستغراق في الماضي فالسعادة تكمن في الشعور بالحالة (اللا تاريخية) فعلى كل جيل ان يصنع حاضره في وقته الراهن لان الماضي لا يتكرر أبدا ، ومن ثم فالتاريخ حصار للواقع ، كما يرى بعض علماء النفس ان الانسان بذاكرته التاريخية تتزايد عليه اثقال الماضي ، ولهذا فعليه ان يتحرر منها لان الفائدة في السيطرة عليها لا في سيطرتها هي ...

ان الاسلام (باعتداليته) يستمد من تاريخ الانبياء النماذج ، ومن تاريخ الشعوب العبرة والوعظة، ومن تاريخ المعاصرة توقع للمستقبل والاعداد له ، ولعل المؤرخ (كارلايل) اقرب فلاسفة التاريخ للنظرية الاسلامية في التاريخ ، فهو يومن بقداسة الكون الالاهية المتجلية في سير الحوادث .. ان التاريخ في الاسلام مجال للتجربة الماضية والحاضرة والاستقبالية لان الرؤية الدقيقة تتجاوز الزمان والمكان والحدث ، فهي تسلط الاضواء على مساحات الكائنات الشمولية ، دون تمايز قومي أو زمني او مكاني بل بالنظرة الواقعية التي تعطي للحدث حجمه الحقيقي ، والازمان الثلاث وحدات حيوية تحكمها قوانين واحدة تتهاوى فيها جدران الماضي والحاضر والمستقبل .

وقد نادى بعض فلاسفة الاغريق ، وفلاسفة الالمان بمدلول الآية القرآنية (لا تبديل لخلق الله) وعبروا عنها (بالعود الابدي) أي ان الوجود ليس ضرورة مستمرة لا نهائية ، وانما هو فكرة تنتهي عندها الصيرورة ، وتسمى السنة الكبرى ، وتبدا الصيرورة دورة جديدة وهكذا فكل شيء في الوجود يتكرر بلا انقطاع ، وهذا التكرار يتناول كل شيء ، ولا يفلت منه شيء او حدث من الاحداث ...

هذه هي حقيقة التاريخ في الاسلام ... ولكن المحرفين للتاريخ ، وما اكثرهم ، يحرفون الاحداث ، وعمل ابطال التاريخ المجسمين للقيم ، ويصنفون الامم والشعوب ، وذلك لتضليل الاجيال اللاحقة ، على اساس افساد ذاكرة الانسان التاريخية ، ومن ثم فالعنصرية والسدرمانية واللونية محض افتراءات علمية دلت فلسفتها على اهداف مصلحية ، فنظرية (السوبرمان) قادت الانسان الى حرب مدمرة وترهات واباطيل ما انزل الله بها من سلطان ..

ولهذا فان الامة التي تغير تاريخها ، تغير واقعها تبعا لذلك وتقطع أصول عروش شجراتها حتى تسقط أوراقها ، فتتساقط في الدونية والفناء، وهي مسؤولة عن تغيير حالتها من تطور الى تأخر ، ومن نماء الى ضعف ووناء ، والمسؤولية تقع على الامة نفسها لا على الاجانب المغيرين للتاريخ ، فالانسان يملك القدرة والقوة لمقاومة الزيف والانحراف ، والمحرف مسؤول قبل المنحرف ، فهو الخاسر على اية حال ...

وقد نسب الله تعالى التغيير الى ذات الجماعة ... بمعنى ان التغيير لا يفرض تماما من أمـــة على اخرى الا اذا استعدت واستسلمت لتقبل التغيير ، وقد فرضت البيئات الجغرافية صراعا بين الشعوب فى مظهر مد وجزر ... وربما كان نصيبا فى الصراع كبيرا لان افريقيا عاشت دائما ميدانا للمد الاستعماري ذلك لان بيئتنا غنية بما تحت الارض ومـــا فوقهـــا بثروتها البشرية والمعدنية والحيوانية وهذا الغنى جعلها مطمح المجاورين الذين تفتقت حيلهـــم فى ميدان التحريف والاستعمار ، فبيئتهم ابخل من ان تعطي بسخاء ، ومن هنا لم تكـــن مستعمريـــن ولا محرفين ، وانما كنا اوفياء للقيم الانسانية ملتزميـــن بالآية القرءانية (شعوبا وقبائل لتعارفوا) لا يستغل بعضنا بعضا سياسيا او اجتماعيا او اقتصاديا ومن هنا فلا سبيل لمقاومة الاستعمار الذي تختلف ازياؤه بين العصر والآخر ، الا بالتمسك بالعروة الوثقـــى وبالاصالة ، والتطور الاصيل .

ان التغيير الذي يفرض على الشعوب وصفه ابن خلدون بانه يبدأ فى المجتمع بموت روح الابتكار والتطور وبروز فكرة تقليد المغلوب للغالب فى لغته وآدابه ، ومن هذا التقليد يفقد المجتمع خصائصه الاصيلة ليتردى فى هوة الدونية والاستيلاب ، وبما ان الشعوب يعسر ان تفقد كل خصائصها الثقافية فان هذه الاصالة التعبيرية تصبح فلكلورا صالحـــا لتغذية الثقافة الاجنبية واثرائها لتنمية الاستغـــلال وتفويت الاصالة وبث الشعور بالضعة .

وتتعرض الشعوب للتغيير عن طريق تسرب العادات الاجنبية عنها بطريق المصاهرات والاندية والمآوي ... ولسنا دعاة القطعية ، ولكن دعاة التبصر فى الامور ، فلم تفقد امة لغتها وخصائصها فى هذه المجالات بقدر ما نفقد نحن المقومات الاساسيـــة التي ليست من الكماليات ولكنها ضرورة حيوية .

واني اعتقد ان التاريخ هو ما وراء الحضارة ، فالاجتماع واقع والتاريخ ميتافيزيقيـــا للظواهـــر الاجتماعية ، فكل وضعية اجتماعية تخضع لاسباب وتنتهي لترتبط بأسباب اخرى . وهكـــذا الحضارة تاريخ متجمد ، والاجتماع تاريخ متحرك ... ولهذا فالحضارة من عمل الشعوب ، والتاريخ من عمـــل الافراد ، والمجتمعات ، وهكذا نوفق بين نظريتيـــن متناقضتين ، أعني : هل التاريخ يصنعه الابطال او الشعوب ؟ والاسلام دين حركة يتطـــور باستمرار ، ولهذا فالتاريخ الاسلامي انطلق مندفعا من غار حراء يتحرك فى منهجية ثابتة تحوطه العناية الالاهية رغم ما صادف فى مساره من اشكالات وتحديات وهو فى هذه المنعرجات ليتجدد ليبتدىء سيره من جديد فسقوط غرناطة كان بدايـــة الانتصـــار الحتمـــي للمسيحية فى وادي المخازن وكانت الاسباب كلها مهيأة ، ولكن اكتشاف امريكا غير مسار التاريـــخ عودا على بدء ، فانتقد الفكر الغربي معارف الكنيسة وسيلستها وتحرك تاريخ أوربا فى مسار آخر خفف الضغط عن افريقيا وانتهت معركة وادي المخـــازن بانتصار الاسلام ، ولم تعلق الصلبـــان على منـــارة القرويين ، ولا على منارة الكتبية ، ولم تتل نصوص الاناجيل فى رحاب القرويين ، فكيف لا نشكر العناية الالهية فى مسيرة تاريخ الاسلام .

اما كيف يقع التدبير فى الامم والشعوب فان الله خلق الانسان فى احسن تقويم وزوده بالعقـــل والوجدان وهداه النجدين عن طريق الفطرة ، وفى هذا النطاق الكوني ، لا ينفصل الانسان عن الكون ، ولا يغيره ولا يستطيع احد ان يغيره او يستلبه الا اذا رضي بذلك . والا بقانون خرق القانـــون ، ولكـــن الانسان دائما قادر على التصدي والتحدي والخلق والابتكار ، وله قوة عليا لوجود بالقوة قبل الوجـــود بالفعل بالتصور قبل الوجود بالمشاهدة كالمهندس المتصور لبناء منزل بالقوة ، ولكنه من مادة وماهية موجودة بالفعل يغيرها الى مادة اخرى ويصوغهـــا صياغة جديدة ... وهذه فى قـــدرة الانسان على الخلق والابتكار ، التي كانت سبب افضليتـــه على المخلوقات وسيادته عليها ، وعلى الطبيعة المخلوقـــة بقدرة الله الذي خلق الانسان على صورته ، ليكون خلاقا مبدعا ، ومن هنا يستطيع الانسان أن يغيـــر نفسه ، ثم يستطيع ان يكون التغير وجودا سابقا على الماهية التي جعل الله له حق التصرف فيها وفـــق قوانين الكون ، وامكانيات العقل البشري ، لخيـــره وسعادته . ويفرض (التغير) على الشعوب والامـــم باجهزة الاعلام الاجنبية ، التي تحمل اليه كل عطاءاتها وتوجيهاتها وثقافتها ، كما يفرض التغيير (بالمناهج التربوية) فالمناهج التربوية من موادهـــا التاريـــخ

والجغرافية ، وتحريف التاريخ تحريف للحاضر واقامة البناء على أساس منهار ، والجغرافية ترتبط بالتاريخ ارتباطا وثيقا ، وقد دلت التجارب على تسرب مواد اجنبية عن طبيعة تفكيرنا كمادة الفلسفة التي تحمل ايديولوجيات بعيدة عن خصائصنا التربوية كما يكون التغيير بالتركيز على الاداب الاجنبية ، وبهذا فان الثقافة الغربية تطبق بفكيها على واقعنا الفكري وعلى حساب المادة الاسلامية ، كما يفرض التغيير بأساليب التشريع المستعد من القانون الغربي ، ومع اعتراف الفكر القانوني الغربي بعدالة الفقه الاسلامي ، وقدرته على التغلب على الشكل وتعميق العدل وملائمته للبيئة الانسانية مرونة وتطورا ، ومع ان المغاربة تفوقوا في ميدان الفقه والاحكام تفوقا واضحا فيما كتبوا من كتب فقهية وفتوى ومعايير ونوازل وشروح وحواش ... ومع ذلك كله ، فقد تم تفويت الفقه المغربي على حساب المواد القانونية الاجنبية شكلا ومضمونا .

ان هذه التغييرات من طبيعة كل امة تدفع بها الى الانهيار وان استيلامها وقبولها للامر الواقع حتى تفقد سيادتها وثقافتها واقتصادها « وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

كذلك يقع التغير باصطناع المواقف المكربة ، خلق معارك مفتعلة بين الجيل والجيل ، والشباب والشيوخ ، والقديم والحديث ، وهي معارك بعيدة عن الفطرة السليمة ، فالانسان يعمل ما دام حيا في امتدادات فكره ووجدانه ... ولذلك فالمعركة بين القديم والحديث معركة لا مبرر لها في تاريخ الحضارة الانسانية .

ان الحضارة الاسلامية حضارة البدء الانساني والاستمرار ، لانها اعتمدت الفطرة والعقل، والوجدان والسلوك ، اما تجربة الحضارة الفلسفية فالمذاهب العقلية الاغريقية صرفت الاغريق عن الابتكار والاختيار ، لانها فلسفات متضاربة انانية نشيطة العقل وحده ، فكانت حضارة نخبة ، وقضت على نزعة الابتكار والتجديد ، والعودة الى السلفية الرشيدة في تاريخ حركة الافكار .. انها حضارة عقلية محضة ابعدت الجانب الروحي منها ، وتضاربت فيها الاتجاهات ، فالفيلسوف المادي يقر معرفة العقل والمادة فقط ، والفيلسوف المثالي ينزع للطبيعة فقط ، وهكذا تعددت المذاهب بتعدد الفلاسفة ، ولم يبق لها للخروج من أزمة الخلافات الا بالتوفيق بين مختلف المذاهب وانتهاج ما هو مسلم للجميع والغاء ما يقع فيه الخلاف ليحصل الوفاق كما فعل الاسكندريون .

اذ ان التوفيق بين المذاهب يقوم على أساس الانتخاب فتتولد اتجاهات أخرى فيما يمكن ان يقع عليه الاتفاق في الانتخاب .

ولذلك فلم يعرف الفلاسفة الاصلاح الا في الاختلاف في الاصلاح ، أما الاسلام ، فالاصلاح فيه دائما على أساس العودة الى السلفية والى النبع الصافي الاول ، فالغزالي مثلا كان مصلحا على أساس العودة الى الاصول الاولى والنظر اليها من زاوية اخرى نظرا لتغير الطرق .

وهكذا فشلت التجربة الحضارية الفلسفية كما تعرضت الحضارة التقنية اليوم لنفس التجربة ولنقد عنيف على يد علماء السياسة والاجتماع والاخلاق ، وقد اصبح العالم المعاصر يعاني من ويلاتها ما يعاني ، واقصى ما نعانيه الفراغ واليأس والسأم والغثيان ، والطغيان المادي في غيبة عن العدل والتوازن الاجتماعي .

ولولا ان أوروبا بقايا النفس المسيحي لعانت الكثير من الخراب والتمزق النفسي والروحي .

ان الاسلام يتجدد ولا يتغير ، ذلك لانه وحي الاهي يحمل الخير والحق ، غير ان هذا الوحي الالهي حين يتصل بالانسان يتحول الى ظاهرة مركبة من جوهر الاهي كامل ، ومن خصائص العقل الانساني وما فيه من نقص واختلاف وتأثير بالبيئة والزمان ، ومن هنا لا بد ان يتجدد الدين حين يتطور الانسان عقليا واجتماعيا ، فالتجديد ليس في الجوهر الديني نفسه وانما هو في عقل الانسان وعلاقته بالجوهر . وقد اعتاد البشر في دورته التاريخية ان تغير حالاته في جيلين ، ولهذا فقد جاء في الحديث ان الله يبعث لهذه الامة من يجدد لها امر دينها (ابو داود في مسنده) .

ولا يمكن ان يقع اي تجديد الا على اساس تفكير اسلامي سليم يراعي العقل والوجدان وبواسطة إمام

مجتهد حجة موثق به اجتماعيا ودينيا حيث يعتمد هو نفسه على اسس مدروسة لدى الائمة نذكر منها :

1 ـ التحقيق من قطعية النص او الدليل الذي يستمد الحكم الاسلامي الجديد فيه ، وهو القرءان و السنة .

2 ـ تحديد ما يمكن ان يتغير من الاحكام مما لا يتغير اعتمادا على قانون الثوابت ، والمتحركات في الشريعة الاسلامية .

3 ـ اعتبار المصلحة كدليل شرعي يتم النص او يعارض بعضه ، لانها اساس العلة التي يرتبط بها كل حكم شرعي ، حيث اذا تغيرت العلة تغير المعلول ويقول ابن الجوزية ان كل مسالة خرجت من العدل الى الظلم او من القسط الى الجور او من الرحمة الى ضدها فليست من الشريعة ، وان ادخلت بها بالتاويل .

4 ـ ضوابط تفسير النصوص وهي مما لا يوجد في القانون الغربي ، وذلك ان المجتهد والقاضي والمفتي يملكون عن طريق تفسير النصوص وتحديد مضمونها من ادلتها الجزئية في اوسع ابواب التجديد ، لان المجتهد والقاضي والمفتي يلتزمون اساسا بالنص ولا يحاولون معارضته بدليل آخر ، ولكنهم يحملون النص كل ما يريدون مما قد لا يكون مقصودا به أصلا ، او يختارون من معانيه المختلفة اكثرها اتفاقا مع اختياره واجتهاده .

وهذا مصدر التجديد في الاسلام حيث ظل دينا مرنا .. يعتمد اسسا قارة واسسا متحركة ... وحتى بالنسبة للنصوص القارة يجوز للمجتهد ان يفهم النص ويكيفه مع ظروف القضية ليخدم العالة الخاصة ، وقد ادرك المشرعون الغربيون هذا البعد في الاسلام فصرح بعض قضاة امريكا في شرح موقف القاضي من نصوص الدستور قائلا اننا نخضع للدستور ولكن الدستور هو ما نقرر نحن انه كذلك .
ان الامة التي تغير حالتها المنطبقة مع شريعة

الخالق ونواميس الكون والعدل الكامل ، تسقط في هوة التردي والانحطاط ، ولاجل ان ترجع الى الصراط السوي ، والى الكرامة ، والمجد لا بد من (التغيير الداخلي) الذي اكد الله تعالى حده الايجابي بقوله : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » واكد حده السلبي بقوله : (ذلك ان الله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) وهذا التغيير يشمل المساحات الاخلاقية والاقتصادية والعقيدية والعلاقات الاجتماعية .

فمبدأ التغيير الذاتي يواجه السقوط ويعطي الفرصة للانسانية لانقاذ نفسها من التردي ، وقد ضلت المسيحية حين نادت (بالخطيئة والخلاص) وحولتهما الى نطاق المجتمع ، فحالت دون (التغيير الذاتي والجماعي .. واعطت للمسيحيين الصلف والكبرياء ، والاتكالية على فكرة الخلاص ليفسد المسيحيون في الارض ويعيشوا فيها عشوا كبيرا .

ان (التغير الباطني) للانسان في الاسلام يكون عن طريق (الجهاد الاكبر) وهو محاربة (الشيطان) او (الشر) في داخل الانسان كفرد ومحاربة (الكهنوتية) و (الاستبداد) في داخل المجتمع ، وهذا هو الجهاد الاكبر الذاتي ، والاصغر الاجتماعي هو طريق الخلاص .

ولاجل سلامة الانسان وانقاذه من (التعيير) و (الانحراف) الى الطريق المستقيم لا بد من العودة الى الاسلام الصحيح ، وقد اختلفت الاتجاهات وتعددت في اسلوب العودة الى الطريق المستقيم ، فالمحدثون نهجوا السلفية والعودة الى الينابيع الاولى صافية دون تكدير وكذلك فعل الفقهاء والمتكلمون ، ومن المفكرين من راي الازدواج بين العقل والشرع لفهم الدين فهما صحيحا ، والاستمرار في خطة السلم ، وذلك كالفلاسفة المسلمين ومن العلماء من راى الاصلاح في تلقيح العلم بالدين والدين بالعلم ... ومن الصوفية من ارتضى طريق التربية الروحية ، على ان المفكرين المغاربة منهم من نهج طريق السلفية الحديثة كالقاضي عياض ، ومنهم من نهج التصوف الغزالي كابن تومرت ، ومنهم من نهج الاصلاح الاجتماعي ، كابن خلدون ، ومنهم من نهج التصوف الجنيدي كالهبطي المتوفى (سنة 963) ومن الاليق ان نعرض لرايه في الاصلاح بشيء من الايجاز ، وهو يرى ان التغيير الاجتماعي يكون بالعودة الى الدين الصحيح الذي هو في الايمان

الصحيح وصفاء النفس ، واستقامة السلوك الخارجي ، وفي العلاقات مع الغير ، وضعفا لايمان ناتج عن التفكك الاجتماعي ، ويرى الهبطي ان ضعف الايمان هو الذي يؤدي الى التغير النفسي للمجتمع فيغير سلوكه وعلاقاته ابتداء من الشهادة الى باقي اركان الاسلام الخمس ، وبمجرد ما يحدث هذا التغير فان المجتمع يتغير في سلوكه فيبيح لنفسه جميع الطرق للوصول الى جمع المادة التي ادت هي الاخرى لظهور عدة ظواهر اجتماعية ادت الى تفكك البنيان الاجتماعي ، وهذا التغيير يشمل البنية التحتية ، والبنية الفوقية .

اما المتصوف عبد الرحمن المجدوب المولود سنة 909 هـ موافق 1503 م والمتوفى سنة 976 هـ موافق 1569 م ، فيختلف عن الهبطي رغم انهما متصوفان من نفس العصر ، فالاول يرى ديناميكية المجتمع هي المؤدية الى التغير ولا تكون من جانب واحد ، فالتغيير الهادف هو الذي يتم في اطار شمولية الماديات والروحيات كما هو في (الرباعيات) ، حيث ذكر ان التبدلات في البنيان الاجتماعي نتجت عن ظهور طبقة جديدة في المجتمع المغربي وهي طبقة الخماسة ... والمتصوفة المغاربة يؤمنون بان الحياة الاجتماعية يصيبها التغيير ، وهذا التغيير في نظرهم نوعان : النوع الاول من التغيير الاجتماعي الذي يكون سببه المجتمع وقد يكون هذا التغيير هادفا بناء على اساس سلامة بنيان المجتمع او غير هادف الى التطور والتقدم في حالة وقوع تفكك البنيان الاجتماعي ، وهذا التغيير سواء الهادف او اللاهادف يقررونه بمنهجية الايمان وعدم الايمان ، والمقرون بقانون (ضبط التغيير الاجتماعي) الذي ينبني على مستوى المجتمع بتدخل البنية الفوقية ، لاعادة التوازن للبنيان الاجتماعي وذلك اذا كان التغيير غير هادف ، او المحافظة على التوازن البنيوي اذا كان التغيير هادفا وعلى مستوى طبقة — العلماء — والمتصوفة اذا وقع التغيير في القيادة ، وعامة الناس ، نحو تغير غير هادف ، فعلى العلماء القيام بالدعوة الى تطبيق قانون ضبط التغيير ، وهذا ما يلاحظ في الدعوة الى (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) . اما النوع الثاني من التغيير الخارج عن ارادة المجتمع فيرجعونه الى قوة الغيب والى الله تعالى ، وهو الذي يقوم بهذا التغيير ويكون التغيير جدريا للمجتمع بتغير هادف ، ويتجلى هذا في قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وفي قوله تعالى (ذلك بأن الله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) (سورة الانفال 53) .

ولقد حاول المفكرون الفرنسيون ان يصلحوا المجتمع عن طريق اصلاح الفرد ، ومن محاولاتهم في هذا الميدان حركة التسلح الخلقي وهي حركة اخلاقية عالمية تدعى التسلح الخلقي التي انشاها الدكتور (فرانك بوخمان) في نيويورك سنة 1921 ومركزها الدولي في (كو) بسويسرا ولها مراكز اخرى بالهند واليابان ... وهدفها انقاذ البشرية من ويلاتها عن طريق ثورة اخلاقية وهذه الثورة الاخلاقية تبدأ بالنفس (ابدا بنفسك) فانت اذا صدقت مع نفسك واخلصت لها تستطيع ان تحاسبها وان تعترف لها بالاخطاء التي ترتكبها او ارتكبتها في حياتك ، وتستطيع ان تعزم وتصمم على اصلاح نفسك طالبا الهداية من الله تعالى وبذلك تصبح انسانا جديدا .

ان هذه الحركة تؤكد مبادىء اخلاقية اربعة هي النزاهة (او الامانة) المطلقة والمحبة المطلقة والغيرة المطلقة والعفة المطلقة ، وتعتقد ان الاخذ بهذه المبادىء ينقذ البشرية من المشاكل والاضرابات في البيت وفي المعمل وفي السياسة المحلية وفي العلاقات الدولية ، هذا وان الحركة هذه تنصح بتخصيص وقت لتأمل في الصباح الباكر (بعد صلاة الصبح مثلا) على ان يطلب الانسان وهو يتأمل الهداية من الله فيسجل وهو يتأمل ما يخطر له من آراء او اقتراحات يعمل على تنفيذها في ذلك النهار فقد يخطر للانسان ساعة التأمل ان يساعد صديقه المحتاج او ان يقرر التعاون مع الآخرين في تحقيق مشروع خيري او يقرر اصلاح علاقته مع زوجته او احد اصدقائه الذين قد اساء اليهم او ان يقرر اصلاح نفسه كان يمتنع عن التدخين الى غير ذلك مما يعن له بعد ان يكون قد طلب العون والهداية من الله ان حركة التسلح الخلقي تعمل بمضمون الآية الكريمة (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) فهي تعتبر ان الانسان في وسعه ان يغير نفسه الى الاحسن اذا صمم وطلب المعونة الربانية من الله سبحانه وتعالى .

جمل فرش في مروى الإمام ورش

- 4 -

د. التهامي الراجي الهاشمي

2 ـ الهمزة الواقعة عينا للكلمة أو لامها :

1 ـ حين تقعان محركتين بالفتح :

يحقق ورش هاتين الهمزتين سواء وقعت بعد ضم مثل :

ـ **الفؤاد** (1) التي وردت خمس مرات في القرءان الكريم : في الاسراء في قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا » (2) ، وفي هود ، في قوله تعالى : « وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » (3) . وفي الفرقان في قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلا » (4) . وفي القصص في قوله تعالى : « واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين » (5) . وفي النجم في قوله تعالى : « ما كذب الفؤاد ما راى » (6) .

ـ **وهزؤا** التي وردت عشر مرات في القرءان الكريم : في موضعين : في البقرة (7) وفي موضعين كذلك في المائدة (8) ، وفي موضعين أيضا في سورة الكهف (9) ، وفي الانبياء (10) ، وفي الفرقان (11) ، وفي لقمان (12) ، واخيرا في موضعين في الجاثية (13) .

(1) سواء كان معرفا بال أو بالاضافة .
(2) السورة 18 الاسراء الاية 36 .
(3) السورة 11 هود ، الاية 120 .
(4) السورة 25 الفرقان ، الاية 32 .
(5) السورة 28 القصص ، الاية 10 .
(6) السورة 53 النجم ، الاية 11 .
(7) البقرة ، الايتان 68 و 232 .
(8) المائدة ، الايتان 57 و 58 .
(9) الكهف ، الايتان 56 و 106 .
(10) الانبياء ، الاية 36 .
(11) الفرقان ، الاية 41 .
(12) لقمان ، الاية 6 .
(13) الجاثية ، الايتان 9 و 35 .

والغريب ان الحافظ ابا الخير محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي لم يذكر الا موضعا واحدا في الجاثية (14) . ولعل ذلك يكون سهوا منه .

— **وكفـوًا** في الاخـلاص (15) .

كل هذه الالفاظ كما نرى تحتوي على همـزة **مفتوحـة مضمـوم** ما قبلها . وقد يكون ما قبلها **مكسورا** مثـل :

1 — « **رئاء الناس** » في البقرة (16) والنساء (17) والانفـال (18) .

2 — « **خاسئـا** » في الملـك (19) .

3 — « **ناشئـة** » في المزمـل (20) .

4 — « **وشانئـك** » في الكوثـر (21) .

5 — « **استهـزيء** » وردت هذه اللفظة في القرءان الكريم بالهمزة في 22 موضعا على الشكل الآتي: « تستهزءون » (22) و « يستهـزيء » (23) و « يستهزءون » في 14 مكانا لا احتـاج الى ذكرهـا . و « استهـزءوا » (24) و « مستهزءون » (25) و « المستهزءون » في الحجر (26) . ولكن الذي يهمنا هنا هي الهمزة المفتوحة المكسورة ما قبلها . وهذه وردت في « استهزيء » في الانعام (27) ، وفي الرعد (28) وفي الانبيـاء (29) .

6 — « **قـريء** » في الاعراف في قوله تعالـى : « واذا قريء القرءان فاستمعوا له وانصتـوا لعلكم ترحمون » (30) ، وفي الانشقاق ، في قوله تعالى : « واذا قريء عليهـم القـرءان لا يسجـدون » (31) .

7 — « **لنبوئنهـم** » في النحل ، في قوله تعالى : « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلمـوا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ، ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون » (32) .

وفي العنكبوت ،في قوله تعالى : « والذين ءامنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة

(14) انظر النشر في القراءات العشر ، الجزء الاول ، صفحة 396 ، السطر الثاني .
(5) السورة 112 ، الآيـة 4 .
(16) البقـرة ، الآيـة 264 .
(17) النسـاء ، الآيـة 38 .
(18) الانفـال ، الآيـة 47 .
(19) الآيـة 4 .
(20) الآيـة 6 من السورة 3 .
(21) السورة 108 ، الآيـة 3 .
(2) في السورة 9 ، التوبـة ، الآيـة 65 .
(23) في السورة الثانية ، البقرة ، الآية 15 .
(24) في السورة التاسعة ، التوبة ، الآيـة 64 .
(25) البقـرة ، الآيـة 14 .
(26) السورة 15 ، الحجـر ، الآيـة 95 .
(27) الآيـة 10 .
(28) الآيـة 32 .
(29) السورة 21 ، الانبياء ، الآيـة 41 .
(30) الآيـة 204 .
(31) الآيـة 21 .
(32) السورة 16 ، الآيـة 41

غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيهـــا ، نعم اجر العاملين » (33) .

8 ـ « **ليبطئـــن** » فى قوله تعالى : « وان منكــم لمن ليبطئن ، فان أصابتكم مصيبة قال قــد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا » (34) .

9 ـ « **ملئـــت** » فى قوله تعالى : « وانا لمـــسنـــا السماء فوجدناها ملئت حرســـا شديـــدا وشهبـــــا » (35) .

10 ـ « **خاطئـــة** » فى قوله تعالــى : « وجــاء فرعون ومن قبله والموتفكات بالخاطئة » (36). وفى قوله تعالى : « ناصية كاذبة خاطئة » (38)

11 ـ « **مائـــة** » فى ثلاثة مواضع ، فى البقرة (38) وفى موضعيـــــن ، فى الانفـــال (39) ، وفــى الكهـــف (40) ، وفى النـــور (41) ، وفــى الصافـــــات (42) .

(12) ـ « **فئـــة** » فى اثني عشرة موضعــا ، على الشكل الاتي : « فئـــة » فى 8 مواضـــع ، و « فئتكم » فى « الانفال » (43) .

« الفئتان » فى الانفال كذلك (44) ، « فيئتين » فى آل عمران (45) وفى النساء (46) .

13 ـ « **موطئــا** » فى قوله تعالى : « ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه . ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطاون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح. ان الله لا يضيع أجر المحسنين » (47) .

14 ـ « **لئـــلا** » وهذه فى ثلاثة مواضع ، فى البقرة والنساء والحديد .

يقرا ورش كل هذا بالتحقيق ، الا ان الاصبهاني عن ورش اختص بابدالها فى « الفؤاد » و « فؤاد » .

كما ابدل حفص الهمزة في « هزؤا » السابقة الذكـــــر .

اما أبو جعفر فأبدل الهمزة فى الالفاظ أعـــلاه ذات الارقام : 1 و 2 و 3 و 4 و 5 و 6 و 7 و 8 و 9 و 10 و 11 و 12 ، اما اللفظ رقم 13 فلم ينقل عنه الابدال بشكل صحيـــح .

---

(33) السورة 29 ، الايــــة 58 .
(34) السورة 4 ، النســـاء ، الايـــة 72 .
(35) السورة 72 ، الجـــن ، الايـــة 8 .
(36) السورة 39 ، الحاقـــة ، الاية 9 .
(37) السورة 96 ، الايـــة 16 .
(38) مرتين فى الاية 259 ومرة فى الاية 261 .
(39) فى الايـــــة 65 وفى 66 .
(40) الايــــــة 25 .
(41) الايـــــــة 2 .
(42) الايـــــــة 147 .
(43) الايـــــــة 19 .

الشيخ أبو الجمال يوسف التليدي

(ت : 950 هـ / 1543م)

للأستاذ عبد القادر العافية

اشتهر ابو الجمال يوسف التليدي بكونه من ابرز تلامذة الشيخ عبد الله الغزواني ، وانه استطاع ان يؤسس زاوية للتربية الصوفية في مسقط راسه (بني تليد) بالاخماس السفلى اقليم شفشاون .

واشتهرت زاويته بالاضافة الى كونها مركزا من مراكز التربية الصوفية ومركزا من مراكز الثقافة ، اشتهرت بالاضافة الى ذلك بكثرة ضيوفها والواردين عليها وبجودة طعامها وتنظيم شؤونها .

أصله ونسبه :

الذين تحدثوا في كتب التراجم (1) عن الشيخ ابي الجمال يذكرون انه : يوسف بن الحسن التليدي من بني تليد بالاخماس السفلى وبانه لا عقب له ولا وارث من عقبه (2) وجاء - في - كتيب مخطوط ومعنون بهذا العنوان - : (مناقب سيدي يوسف التليدي) (3)) انه هو ابو الحجاج يوسف الخمسي التليدي الاصل ينسب الى « عمار » يقول : « ووجد بخطه انه من ولد عمار » وبعد ذلك يقول : « حدثنا الامام الفقيه سيدي العافية بن بخوث رضي الله عنه انه كان يحدث الناس بشرف نسبه ، وحدثنا الفقيه الامام سيدي ابراهيم المعزوزي رضي الله عنه انه شريف النسب ، وحدثنا بشرفه جملة من الفقهاء الاجلة » الى ان يقول : « وعثرت له على كلام له بخطه أثبته بتمامه ، ونصه : يوسف بن الحسن بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان بن يعلى بن يخلف بن

(1) الذين ترجموا له وتحدثوا عنه كثيرون منهم : ابن عسكر في الدوحة : 17 ط. الرباط 1976 . الحضيكي في الطبقات (حرف الياء) في (يوسف) . ابتهاج القلوب مخ. غ. ع. ر. 2302 ك ص : 212 . ممتع الاسماع ، ط. ح. ف. ص 76 . فتح العليم الخبير في تهذيب النسب العلمي بامر الامير ، مخ. م. ع. ت. رقمه : 856 ص 66 . عمدة الراوين في أخبار تطاوين ، مخ. مر. ع. ت. ج : 4 : 264 و ج : 2 أثناء الكلام عن بناء مدينة تطوان . للشيخ أحمد الهوكي. الصفوة للافراني ، ص : 16 ، ط. ح. ، فاسية . سلوة الانفاس في ترجمة سيدي عبد الله البعاج ، ج : 1 : 197 . مناقب سيدي يوسف التليدي وهو مخطوط خاص جمعه بعض مريديه .

(2) يقول ابن عسكر : « لم يعقب » ويقول النسابة محمد بن الصادق بن ريسون : « لم يعقب ولم يترك ابنا ولا بنتا ولا ابن عم محقق النسب فيما نعلم» فتح العليم الخبير : 66 .

(3) هذه المناقب هي من جمع وتنسيق (محمد بن علي كسيسو) وهي مخطوط خاص لاناس من الزاوية اى زاوية الشيخ التليدي .

موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن حسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وفاطمة بنت محمد » صلى الله عليه وسلم (4) .

ثم قال بعد هذا : « وحدث سيدي ابو العباس احمد بن سلمون انه شريف – أي النسب – وان احد اجداده قدم من المشرق الى أن انتهى الى هذا الصقع الهبطي .. واستوطن (بني تليد) ونفى كونه من بني عمار » (5) .

وبعد هذا قال جامع المناقب : « والحاصل انه من ولد عمار ، فان كان شريفا فهو كذلك ، والا فهو داخل في قوله صلى الله عليه وسلم (انا جد كل تقي) لا سيما وانه قد سمت درجته في الولاية ... » (6)

ومن خلال هذا الكلام الذي ذكره جامع المناقب ندرك ان القول بنسبة الشيخ التليدي الى النسب العلوي الشريف ، فيه اضطراب ، والتصريح بهذا النسب انما جاء في هذه المناقب ، ولم ينقله الذين ترجموا له ممن سنتحدث عنهم فيما بعد .

نشاته وحياته :

ورد في (مناقبه) : « انه كان في صغره يحترم معلميه وشيوخه ، وانه درس ببلده أولا ، ثم توجه الى فاس لاتمام دراسته بها ، وكان له عدة شيوخ ، وبعد ما رجع لبلد أصبح يعلم بها ، وكان له عدة تلاميذ يقوم بتعليمهم ، وكان لا ياخذ اجرا على تعليمه ، وبانه درس مع تلاميذه مجموعة من العلوم .. » الخ.

ويذكر صاحب فتح العليم الخبير ان الذي رباه واشرف على توجيهه هو الشيخ ابو محمد عبد الله الغزواني ، وفي ذلك يقول : « ورباه منذ زمن صباه في حجره وتحت ولاية نظره ، حين كان رضي الله عنه – اي الشيخ الغزواني – قاطنا في قبيلة بني يكار مجاورا لمولانا عبد السلام بن مشيش ، ومكث الشيخ الغزواني بهذه القبيلة مدة مديدة تنيف عن ثلاثين سنة » (7) .

ومن خلال النصين السالفين يبدو ان الشيخ التليدي اخذ الطريق المستقيم منذ بداية نشاته حيث انه عرف في صباه بالجدية والاستقامة وبطلب العلم ببلده اولا ثم بفاس ثانيا .

تلمذته للشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني (8)

يقول صاحب المناقب :

« كان قد سمع عنه وتاقت نفسه للقائه فلما لقيه رحب به واعجب بأخلاقه ... ثم لازمه وزار معه ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش وقرا معه في الضريح (سورة يس ، والواقعة ، والملك الى الجن ، الناس ، فالفاتحة) » (9) .

ومن خلال قراءتنا لكتب تراجم افراد الطريقة الجزولية الشاذلية ، وخاصة منها التي تتحدث عن تلاميذ الشيخ عبد الله الغزواني ندرك ان الشيخ ابا الحجاج يوسف التليدي ياتي في طليعة تلاميذ الشيخ الغزواني ، وتناقلت هذه الكتب قولة الغزواني هذه : « الهبطي للكلام والتليدي للطعام ، وعبد الرحمن بن ريسون ياقوتة تضيء في جبل العلم » (10)

(4) المناقب ، نفس المصدر السالف .
(5) المناقب المصدر السالف .
(6) فتح العليم الخبير ، ص : 66 .
(7) المصدر السالف .
(8) الشيخ عبد الله الغزواني ، (ت : 935 هـ) ترجم له ابن عسكر في الدوحة ص : 96 : ط: الرباط والحضيكي في الطبقات في باب عبد الله . وترجم له الذين يتحدثون عن الطريقة الجزولية الشاذلية بالمغرب وهم كثيرون والى الشيخ الغزواني انتهت المشيخة العظمى في هذا الطريق.
(9) المناقب ، المصدر السالف الذكر (بدون ترقيم) .
(10) فتح العليم الخبير .

هذه قولة تناقلها تلاميذ الغزواني وهي تدل على قيمة هؤلاء الافراد الثلاثة عند شيخهم .. والمقصود بالهبطي هو الشيخ ابو محمد عبد الله الهبطي (963هـ) وبالتليدي هو مترجمنا هذا ، وبعبد الرحمن بن

ريسون الشيخ عبد الرحمن بن عيسى بن ريسون (ت 951 هـ) اخو علي بن عيسى بن ريسون جد الاشرف الريسونيين (963 هـ) .

وهؤلاء جميعا يعدون في طليعة تلامذة الشيخ الغزواني ... بالاضافة الى تلامذة آخرين كان من بينهم ابو عبد الله محمد الطالب الهواري (ت 967هـ) الذي اختلف هل هو وارث سر الشيخ الغزواني ام الشيخ التليدي ؟ ! .

وجاء في « فتح العليم الخبير » : سيدي يوسف هذا : قيل هو وارث سر شيخه - أي الغزواني - وقيل سيدي محمد الطالب (11) .

ويقول صاحب المناقب : « ان الشيخ عبد الله الغزواني امر تلميذه يوسف التليدي بانشاء زاوية في داره وقال له : عليك فيها بالقرى لمن اتاك من سائر القرى ، وأمره ان يذكر الناس بربهم ويشوقهم للقائه ونعيمه وقال له : بدا باهلك وبالقرى المجاورة لك » (12) .

ويظهر ان الشيخ التليدي رافق شيخه الغزواني مرافقة طويلة ، ويحدثنا صاحب المناقب عن زيارة اخرى لضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش برفقة الغزواني ، وفي هذه الزيارة امطروا في الطريق وباتوا بمدشر السلاليم وفي الغد اصبحوا سائرين ، وتعرض لهم الشيخ عبد الرحمن بن ريسون - السالف الذكر - فنزلوا عنده بتزروت وقضوا معه ليلة عظيمة لا ياتي الزمان بمثلها ، وبعد ذلك قصدوا جميعا ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش وهناك اجتمع جمع عظيم حضر فيه عدد كبير من الاولياء ومن الشخصيات الكبيرة وكان هذا الاجتماع بمثابة عرس كبير أقيم لدى ضريح الشيخ الاكبر عبد السلام ابن مشيش برئاسة الشيخ عبد الله الغزواني .

ومن الملاحظ ان الشيخ الغزواني كان مولعا بزيارة هذا الضريح ، ومما أوصى به تلميذه ابا الجمال قوله : « زر أولياء الله أحياء وأمواتا وخصوصا ضريح الشيخ الاكبر عبد السلام بن مشيش ، وقال له : منه اغترف كل ولي بعده في قطرنا هذا » (13).

زاويته :

اشرنا في ما مضى الى ان الشيخ الغزواني امره بانشاء زاوية بداره ونفذ الشيخ ابو الجمال هذه الوصية فاقام بداره زاوية كانت لها شهرة عظيمة لا في حياته فحسب ، بل استمرت على القيام بوظيفتها فيما بعد موت الشيخ التليدي باكثر من قرنين من الزمن ، ويسمى حاليا المدشر الذي اقمت فيه (بالزاوية) لغلبة اسمها عليه ، ولا يعرف هذا المدشر حاليا الا باسم (الزاوية) .

وعن زاوية الشيخ التليدي يقول ابن عسكر في الدوحة : « وزاويته حيث ضريحه معلومة بقبيلة بني تليد (14) من قبائل غمارة على مسيرة نصف يوم من مدينة شفشاون من ناحية الغرب ترد عليه الوفود والآلاف من الزوار والمريدين ويطعم كلا حسب شهوته وذلك في كل ليلة ، وكان له قبول عظيم في قلوب الخلق ... » (15) .

وعن هذه الزاوية يقول محمد الصادق بن ريسون (ت 1236 هـ) : « فزاويته رضي الله عنه قائمة بأمر الله في جميع امورها من حرث

---

(11) ترجم له غير واحد ، ومنهم : صاحب الدوحة ص : 61 : ط. الرباط ، وصاحب السلوة ، وتكلم عنه القاسيون في المرآة والممتع وللالمام : توفي سنة 964 هـ .

(12) المناقب ، المصدر السالفا لذكر .

(13) نفس المصدر .

(14) المعروف ان (بني تليد) هي فرقة من قبيلة الاخماس السفلى وليست قبيلة، وما اظن هذه الفرقة كانت قبيلة في يوم من الايام ، انظر الدوحة ص : 17 : ط. الرباط 1976 .

(15) المصدر السالف .

ودواب وغير ذلك من الامور التي يعجز عن القيام بها الاقوياء ، وذلك فى غاية الضبط والاتقان فى كل زمن يجعل الله له من يقوم بزاوبته ، ويأكل منها الطعام، الخاص والعام ، والغني والفقير لانه رضي الله عنه حبس جميع ما يملك وخرج عنه وجعله فى هذا الوجه يأكله جميع الناس ... ولم يزل على ذلك الى الآن » (16) .

وبهذا ندرك ان هذه الزاوية لعبت دورا كبيرا فى ميدان التربية الصوفية بهذا الاقليم ، ومن الاشياء الطريفة عن هذه الزاوية ما حدثنا به ابو الربيع سليمان الحوات الذي يذكر ان عمته الفقيدة السيدة خديجة بنت عبد الله الحوات كانت تقيم بزاوية الشيخ التليدي بالاخماس السفلى لتعليم النساء الفقيرات - اى المريدات - امر دينهن من فقه وعبادة ، وغير ذلك (17) والشريفة الحوات لم يكن مقر سكناها بالزاوية ومع ذلك كانت تنقطع للتدريس مدة طويلة بها ، وهذا مما حمل ابن اخيها ابا الربيع سليمان الحوات على التعجب من امرها ومن اخلاصها وتفانيها وتضحيتها ...

ويذكر سليمان الحوات كذلك ان والدته كانت من مريدات هذه الزاوية ... ومن هنا ندرك ان زاوية الشيخ يوسف التليدي كان بها جناحان : جناح خاص بالنساء وجناح آخر للرجال . وكلاهما كان قائما بدوره فى ميدان التربية الصوفية والتثقيف بصفة عامة .

مريدوه واتباعه :

ذكر ابن عسكر فى النص الذي نقلناه عنه سالفا ان الشيخ التليدي كان له قبول عظيم فى قلوب الخلق وهذه الحقيقة اكدها غير واحد ممن تناول الحديث عنه ، لان الشيخ ابا الجمال يوسف التليدي كان له اتباع كثيرون ، كان من بينهم شيوخ كبار فى عصرهم مثل : الشيخ ابي الحسن علي بن مسعود الجعيدي دفين تطوان (18) نقل ذلك مؤلف (عمدة الراوين فى اخبار تطوان) (19) فى قصة طريفة ملخصها :

« ان الشيخ علي الجعيدي شرع فى بناء مسجده بحومة العيون بتطوان وظن كثير من اصحاب الشيخ يوسف الفاسي انه بنى زاوية تابعة لشيخهم - لانهم كانوا يسمعونه يقول انه تابع للشيخ سيدي يوسف فساعدوه فى البناء وفى الاتيان ببعض المواد الى ان انتهى العمل بالمسجد وهنا اخبروه بانهم سيطلعون الشيخ يوسف الفاسي على نهاية العمل ... الا ان الشيخ الجعيدي اجابهم بانه تابع للشيخ يوسف التليدي ، لا للشيخ يوسف الفاسي فتعجبوا من قوله وكتبوا الى شيخهم قائلين اننا اعناه ، وعملنا ما عملناه معه ظنا انه تابع لطريقتنا ... وسرعان ما جاءهم جواب الشيخ ابي المحاسن يوسف الفاسي ، يقول لهم لا ضير فى ذلك ، واتركوا له مسجده وابنوا الزاوية ان شئتم فى مكان آخر ... » (20) .

وتدل الحكاية على ان الشيخ علي بن مسعود الجعيدي من اتباع الشيخ يوسف التليدي .

وجاء فى السلوة فى ترجمة سيدي عبد الله البعاج انه : « اخذ عن الشيخ الكبير والقطب الشهير ذي الكرامات الكثيرة الجسيمة والتصرفات الكبيرة العظيمة ابى الحجاج يوسف التليدي وكان سيدي عبد الله البعاج يقول : « لولا صحبة سيدي يوسف لمت على شعبة من شعب النفاق » (21) .

(16) فتح العليم الخبير ، المصدر السالف الذكر ، ص : 65 .
(17) ثمرة انسي فى التعريف بنفسي لابي الربيع سليمان الحوات (ت : 1234 هـ) مخ: خ: ع. بالرباط ، ضمن مجموع : 1264 ك .
(18) انظر ترجمته فى الصفوة : 78 ، والنشر : 148 ، وتاريخ تطوان م. ص : 309 ، وتوفي ودفن بتطوان (1032 هـ) .
(19) هو للشيخ احمد الرهوني فى عشرة اجزاء مخ. خ. ع. بتطوان .
(20) عمدة الراوين ج : 4 : 264 .
(21) سلوة الانفاس للشيخ محمد بن جعفر الكتاني ، ج : 1 : 197 .

وجاء في الدوحة ترجمة الشيخ علي الشبلي الشدادي ان هذا الشيخ كان من اصحاب الشيخ يوسف التليدي (22) وكذا في ترجمة الشيخ محمد ابن سليمان البقولي البادسي انه كان من اصحاب الشيخ يوسف التليدي (23) ، وذكر صاحب المناقب ان من جملة تلامذته الشيخ احمد بن يامون صاحب المؤلف المشهور في النكاح (24) وكذلك الشيخ ابو حفص عمر بن غيلان الاندلسي ثم الجرفطي ، (ت : 1027 هـ) .

ويستفاد من المترجمين لصاحبنا انه استطاع ان يؤلف حوله مجموعة كبيرة من المريدين والاتباع. وانه كان ذا شهرة واسعة في ميدان التربية الصوفية.

ويتبين من الاوصاف والالقاب التي اعطاه اياها صاحب السلوة في التعريف السالف الذكر ، ان الشيخ التليدي وصل في نظر اتباعه واصحابه الى الدرجات العليا في التصوف ، وان اصحابه ومريديه كانوا يرون فيه مربيا كبيرا يصلح احوالهم ويدلهم على الطريق القويم .

ولا شك ان مثل هذا الاعتقاد جعل أصحابه يتكاثرون ويزداد عددهم الى درجة ان السلطة السياسية في ذلك الوقت ارتابت في نوايا الشيخ التليدي وتعرض بسبب ذلك الى ابتلاء وامتحان .

امتحانه وابتلاؤه :

اذا كان الشيخ التليدي قد اجتمع الناس عليه وقصدت زاويته الجموع والوفود ، فان ذلك بقدر ما كان مصدر شهرته وذيوع صيته . كان كذلك في نفس الوقت مصدر شك وريبة في نواياه ، ومصدر النقمة عليه من اصحاب الحكم والسلطان . ونظرا لذلك تعرض الشيخ التليدي للابتلاء والامتحان وسجن (بمطمورة القصبة) بمدينة شفشاون ، سجن من طرف حكام هذه المدينة الذين كانوا في هذه الفترة يوالون الحكم الوطاسي بفاس .

وعن هذا الابتلاء يقول صاحب المناقب : « وسبب حبسه آن قائد شفشاون شكاه للسلطان فامره بالقاء القبض عليه » لكنه لا يعطينا بيانا عن المدة التي مكث فيها (بمطمورة قصبة شفشاون) ، ويبدو ان هذه المدة لم تكن طويلة لان صاحب المناقب يعقب فيقول : « وبعد ذلك اطلق سراحه واعتذر له القائد » ويغلب علينا الظن ان هذه الحادثة كانت في بداية ولاية السلطان احمد الوطاسي ، وكان قائد شفشاون في هذه الفترة هو الامير ابو سالم ابراهيم ابن راشد (ت : 947 هـ) .

وسنرى فيما بعد ان هذا الاخير سيتادب مع الشيخ التليدي تأدبا كبيرا . ولعل بعد الامتحان الذي اجتازه الشيخ تبين المشاكين في أمره ، ان غايات الشيخ واهدافه بعيدة عن الاتجاه السياسي .. الذي يراد منه الوصول الى السلطة ..

ومهما يكن أمره فان الشيخ لم تزده تلك المحن الا اعتبارا في نظر الناس فكثر اتباعه وقصدت زاويته وأمه الناس من كل جهة وناحية ...

مكانته وقيمته :

لعله مما سلف ندرك ان الشيخ التليدي كانت له مكانة بارزة في عصره خاصة وانه كان يعد من كبار اصحاب الشيخ عبد الله الغزواني بل في طليعتهم ، وهو في نفس الوقت صاحب زاوية ناجحة يقصدها الآلاف من الرواد والمريدين والزوار ...

ويذكر صاحب (المناقب) بأن أصحابه ومريديه كانوا يجلونه ويتبعون تعليماته واشاراته .. وكان عدد منهم لا يفارقونه حضرا وسفرا ...

وكل هذا جعله ذا مكانة مرموقة في عصره ...

وتدل الحكاية الآتية على ما بلغه الشيخ التليدي من مكانة واحترام ...

---

(22) الدوحة : 86 : ط : الرباط .

(23) نفس المصدر ص : 72 ترجمة 56 .

(24) فهرس المخطوطات العربية حرف الجيم (القسم الثالث) واسم مؤلفه « الجواهر المنظومة في شرح المنظومة » .

يقول ابن عسكر : « رايته بشفشاون وقد خرج بشيعه الناس وفيهم الوزير أبو سالم ابراهيم ابن راشد ، والقاضي ابن الحاج وغيرهم من رؤوس الناس ، ومشى بينهم وهو يذكر الله مع تلامذته جهرا بالمناوبة على عادة الفقراء ، والقاضي والوزير ومن معهما حفاة ورؤسهم مكشوفة أدبا مع الشيخ والمريدين ولهم شهيق وزفرات » (25) .

من هذاالو صف لحفل توديع الشيخ يوسف التليدي ندرك انه كان يتمتع بهالة من التقدير والاحترام ...

هذا امير البلد الذي هو فى نفس الوقت وزير الملك (26) ثم القاضي والاعيان هؤلاء جميعا خرجوا لتوديع الشيخ وهم حفاة ورؤسهم مكشوفة !! والشيخ فى موكبه واصحابه يرددون ذكر الله جهرا بالمناوبة على عادة الفقراء والمريدين فى ذلك !!

فهذا الوصف لحفل التوديع يدل دلالة قاطعة على مكانة الشيخ يوسف التليدي عند معاصريه سواء كانوا حكاما او غيرهم وبالاضافة الى هذه اللقطة التي اتحفنا بها ابن عسكر عن توديع الشيخ التليدي من طرف حكام شفشاون واعيانها وسكانها .. نجد ان عددا من المترجمين لرجال التصوف فى القرن العاشر الهجري يتناولون الحديث عن الشيخ التليدي وهم يجلون قدره ويرفعون من مقامه ومؤكدين انه ياتي فى طليعة اصحاب الشيخ عبد الله الغزواني وبأن زاويته كانت فريدة من نوعها تسييرا وتنظيما ... واطعاما وافادة ... وبذلك يكون الشيخ التليدي قد ادرك شأوا بعيدا فى ميدان التربية الصوفية وفى تربية المريدين الذين كانوا يعدون بالآلاف ويقصدون زاويته فى غير انقطاع .

الشيخ التليدي والقول بالكرامات :

من خلال دراسة الحركة الصوفية التي كانت سائدة فى هذا العصر يستنتج الباحث ان الحركة الصوفية كانت تهدف فى هذا العصر بالذات الى اصلاح الاوضاع الاجتماعية ، عن طريق شغل الناس بالاذكار والاوراد .. وذلك قصد الخروج بالمجتمع من المتاهات التي خلقها الفراغ السياسي والتردي الاجتماعي ... الخروج به الى وضع اجتماعي سليم ...

فالشيوخ المربون كانوا يهدفون بالدرجة الاولى الى جعل الناس يمتثلون أوامر الشرع الحنيف ، ويجتنبون نواهيه ، لكن أسلوبهم للوصول الى هذه الغاية كان أسلوبا يعتمد على طقوس معينة : اذكار وأوراد ، وقراءة سير الصالحين ، وحكايات المتصوفة ومزج ذلك بالتحدث عن « الكرامات » وخوارق العادات وكان بعضهم يغالي فى هذا الجانب .

ومما يحكيه صاحب الدوحة : « انتقاد الشيخ عبد الله الهبطي للشيخ يوسف التليدي فى القول بالكرامات وادعائه لها وفى ذلك يقول : « كان الشيخ ابو محمد كثيرا ما ينكر عليه تلك الدعاوي وينهاه عن افشائها .. وهو على شانه » (27) .

ومعنى كونه (على شانه) اي انه لم يستجب للتنبيهات والانتقادات ولم يستمع لنصائح الشيخ الهبطي فى هذا الموضوع (28) مع انه اخوه فى الشيخ وشريكه فى النسبة .

لكن ابن عسكر الذي ينقل انتقاد شيخه الهبطي للغلو فى القول بالكرامات يأبى الا أن يلصقها بشيخه

---

(25) الدوحة ترجمة الشيخ التليدي .
(26) ابراهيم بن علي بن راشد كان حاكما على شفشاون واقليمها خلفا لوالده الامير علي ثم بعد ذلك اصبح وزيرا للسلطان احمد الوطاسي (932 ــ 956 هـ) ، انظر عن الوزير ابراهيم بن راشد منظومة الكراسي (عروسة المسائل) ط. الرباط 1969 .
(27) الدوحة : ترجمة : شيخ التليدي .
(28) راي الشيخ عبد الله الهبطي فى الكرامات هو مذهب أهل السنة فيها ، ولقد اوضح رايه فى ذلك ولده ابو عبد الله محمد الصغير الهبطي فى منظومته التي ترجم فيها لوالده والتي سماها : « المعرب الفصيح فى ترجمة الشيخ النصيح » .

فيقول : « فدعا عليه ابو محمد ـ اى الهبطـي ـ فخرس لسانه وتعطل عن الكتب بيده !! » مع اننا لو رجعنا الى ما حكاه محمد الصغير الهبطي عن والده لا نجده يقول بهذا بتاتا ...

ومهما يكن من امر فالشيخ يوسف التليدي كان ممن يقول بالكرامات ونجد بعض ذلك فى مناقبه المشار اليها سالفا ، ومع ذلك فهو لم يكن من المغالين، بل كان الاعتدال هو الميسم العام الذي تتسم به تصرفاته وأحواله ، ويروي لنا بعض مترجميه بعض اقواله ، فمن ذلك ما رواه صاحب (فتح العليم الخبير) الذي يقول : « ومن كلامه رضي الله عنه : ما الشيخ الا صوفي تابع للسنة زاهد فى الدنيا .. »

بعض اقواله وعظاتـه :

وقبل ان نختم هذا التعريف الموجز بالشيخ ابى الجمال يوسف التليدي نعرج على بعض اقوالـه وعظاته لانه ليس من المعقول ان تكون شخصية فى مثل مركز الشيخ التليدي من حيث الانتصاب للتربية الصوفية والتوجيه الرباني ، ولا تكون لهـا مواعظ واقوال مأثورة.

ويبدو ان الكثير من هذه الاقوال قد ضاع لتعاقب الاحداث وطول الزمن ، لكن بالرغم من ذلك فقد احتفظ صاحب (المناقب) ببعض اقوال الشيخ وتوجيهاته ومن ذلك قوله : « وكان يحث المريدين على الصيام وقلة الاكل ، وكان يقـول : من اعظم المهلكات شهوة البطن وشهوة الفرج وآفات الكلام.. وكان يقول : من تحمل الجوع فقد ضيق مسالـك الشيطان ، وقوى نواع عبادة الله ... ومن أقواله : افضل الناس من قل اكله وضحكه ورضي بما تيسر لـه » .

وكان يحذر اصحابه من الحلف فى القول ويقول: « انه من قبائح الذنوب لان الكذب فى القول يكون من جهتـه » .

وكان يحث اصحابه على الكف عن الخوض فى اعراض الناس ويقول : « لستم عليهم بوكـلاء الا ان يتعلق بذلك حكـم الله » .

وكان ينهي عن الغيبة ويقول : « من صدق بالوعدو الوعيد كف لسانه عما لا يعنيه » .

وكان يختبر المريد اول ما يرد عليه فان وجده جاهلا علمه اولا ما يصلح به دينه وعبادته وما يفسدها ظاهرا وباطنا ، ثم يعلمه أركان التوبة وحقيقتهـا ، وقبل ذلك يلقنه عقيدة اهل السنة ثم يذكره عقاب الله تعالى وانه عليه ان يكف سمعه وبصره ولسانه عما لا يليق وان يطهر قلبه من العجب والكبـر ، والحسـد ، والريـاء .

وكان ينتقل مع المريد من حال الى حـال : « التزين بالعبادة اولا ثم تطهير النفس ، فتهذيب جميع الجوارح ، وينتقل من احـوال الظاهـر الى احـوال الباطـن » .

وكان يحث كل مريد على ما يناسبه من الرياضة ويقول : « الشيخ اذا اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة يكون كالطبيب الذي يعالج مرضاه بعلاج واحـد ... » .

ويطول بنا المقام لو اردنا تتبع جميع هـذه الاقوال لان المقصود انما هو الاتيان ببعض النماذج من توجيهاته واقوالـه .

ونتمنى ان تتاح لنا الفرصة للعودة الى هـذا الموضوع مرة اخرى ، لان الحديث عن رجـال التصوف بالمغرب ، وفى هذه الفترة بالذات ممـا ينبغي ان يكون مجالا لدراسات موسعة .

الصحافة المغربية

في الموسوعة العربية الميسرة

للأستاذ زين العابدين الكتاني

تتميز اللغة العربية منذ القديم بصدور عدد من المعاجم والموسوعات في مختلف فروع العلوم وشتى أنواع المعرفة ... وتعتبر أحدث الموسوعات العربية موسوعة العلامة المرحوم المختار السوسي (المعسول) التي تقع في عشرين مجلدا مع مضافاتها، في حين صدر للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الجزء الثاني من (الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية) التي تبنت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية رعاية هذا المشروع الهام.

واذا كان عدد من الباحثين واخواننا في الشرق العربي بالخصوص لا يعتبرونها موسوعة عربية بالرغم من موضوعها الفني، ونفسها الطويل العريض الذي انجزه فرد واحد بامكانياته وجهوده الخاصة ودابه واجتهاده وعلو همته، فاننا ونحن نتناول (الموسوعة العربية الميسرة) في طبعتها الجديدة الصادرة عن (دار الشعب) بمصر، التي انجزت باشراف المرحوم الاستاذ محمد شفيق غربال، فان الذي نجده بها ويهمنا في هذه الموسوعة فقط، هو بضعة سطور خصصت (لصحافة المغرب) في مادة (الصحافة) في الصفحة 1.117 بالذات، وقد اشرف على هذا القسم واعده الدكتور فؤاد صروف.

واذا رجعنا الى هذا النص كما هو وارد في (الموسوعة العربية الميسرة) فهو كما يلي :

« ... وفي المغرب صدرت اول جريدة باسم (المغرب) سنة 1889 لصاحبها عيسى فرج وسليم كسباني، ثم ظهرت (السعادة) الرسمية سنة 1905. وبعد عامين أصدر فرج الله نمور بطنجة جريدة (لسان المغرب) وأصدر المستشرق هيمينيس جريدة (استقلال المغرب) ونعمت الله الدحداح (الفجر) وكان ذلك في سنة 1908. واصدر وديع كرم (الصباح) والشريف الادريسي القطاني جريدة (الطاعون) واول جريدة عربية صدرت بالدار البيضاء هي (الاخبار المغربية) للسيد بدراوي سنة 1912، وبعد فترة ركود صدرت (المغرب) لسعيد حجي سنة 1935، وجريدة (الاطلس) لمحمد اليزيدي في نفس الوقت ... وفي سنة 1937 صدرت (التقدم) لحسين النجار، وبعد ذلك صدرت (الأنيس) لمحمد الجحرة سنة 1945، وجريدة (العلم) لعلال الفاسي سنة 1946، و (الراي العام) لمحمد حسن الوزاني

سنة 1947 ، و (السلام) للشيخ داود سنة 1948 ، و (الشعب) للمكي الناصري 1949 ، و (الشباب) لعبد الكريم الفلوس 1956 ، و (منار المغرب) لعبد السلام بن عبد الجليل 1956 ، و (المغرب العربي) لعبد الكريم الخطيب 1956 ، و (النبراس) لمحمد احمد بلقات 1957 » (1) .

* * *

واذا كان ما ورد فى هذا الباب فيه عدد من الاخطاء نظرا لان المشرف اكتفى بكل تأكيد على ما جاء فى كتاب (الصحافة العربية) (2) لمؤلفه الاستاذ اديب مروة فانني أجد نفسي مضطرا الى اثبات ما يلي :

أولا : اشارة الى انه سبق لي ان قمت بتقديم هذا الكتاب ، والتعليق على ما وقع فيه من اخطاء نشرتها ابانه بجريدة(العمال) الاسبوعيةالبيضاوية(3) وقد كنت أظن ان ما قمت به كاف لتصويب تلك الاخطاء خصوصا وانني بعثت للمؤلف بنسخة من الصحيفة .

ولذلك فانني عند ما اعود الى موضوع تصويب نفس الاخطاء تقريبا والتي وقعت فى هذه الموسوعة ، بانني اتمنى ان يهتم القائمون بها ، وذلك لتصحيح ما ورد فيها حتى تكون الفائدة مطابقة للمقصود ، وتجعلنا نتحاشى الارتجال فى بعض مؤلفاتنا العربية الذي يسيء غالبا فى نظر الغير الى الكتاب العربي ككل فى عالم أصبح فيه التخصص العلمي ، والتدقيق ، والامانة والحرص عليهما ، هما المظهر الاساسي للثقافة والمعرفة ، وهما ايضا الاعلان الحقيقي للاقبال على الاستفادة منها فى عالم تحطمت فيه الحدود والحواجز ، وأصبح كل ما تتوفر عليه أمم هذا العالم متيسر ومبسط لتطبعه الاصالة التي ظلت تميزه ، والطابع العلمي الحقيقي وخدمة المعرفة الانسانية فى ادق صورها .

ثانيا : وبما ان الموضوع على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لهذه الموسوعة ، فانني أقوم بتصويب ما وقعت فيه أسرة (الموسوعة) المشار اليها من اخطاء بخصوص مادة (الصحافة المغربية) حتى تتدارك فى طبعة جديدة خصوصا بالنسبة للموسوعة كما اتمنى ، وكما اسلفت الاشارة .

(تصويب علمي فقط)

وسيتناول هذا العرض الاخطاء الواردة بالتتابع حسب ما نتوفر عليه من وثائق ، كما يدعونى الى ذلك تخصصي اولا ، والموضوعية ثانيا .

وسيرتكز هذا التصويب على اثبات نفس القائمة والتعريف بها وهي كالآتي :

جريدة (المغرب) : هي اول جريدة صدرت باللغة العربية بالمغرب بمدينة طنجة اصدرها الصحافيان العربيان عيسى فرج وسليم كسباني .

صدر اول عدد منها يوم الاربعاء 14 رمضان 1306 الموافق لـ 15 مايو 1889 ، ولا نتوفر لحد الآن الا على عدد واحد من هذه الصحيفة .

جريدة (السعادة) : صدرت باللغة العربية بطنجة وصدر اول عدد منها يوم الاثنين 2 شعبان 1322 هـ الموافق لـ 7 نونبر 1904 م ، وان كنا لا لا نتوفر لحد الآن على العدد الاول من هذه الصحيفة التي اسسها مولاي ادريس بن محمد الخبزاوي (ومحررها) (4) بمعاونة لبناني هو السيد وديع كرم، ولقد استمرت فى الصدور بمدينة طنجة الى سنة 1913 م بظهور العدد 636 ، ومن هذا التاريخ أي فى سنة 1913 م الى يوم الخميس 4 جمادى الاولى 1376 هـ الموافق لـ 27 دجنبر 1956 بصدور العدد 9.864 توقفت عن الصدور بمدينة الرباط بصفة نهائية .

جريدة (لسان المغرب) : صدرت بمدينة طنجة

---

(1) انظر الطبعة الثانية والصورة طبق الاصل من طبعة 1956 ، مطبعة الشعب ومؤسسة فراكلين للطباعة والنشر سنة 1959 .

(2) منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت سنة 1961 .

(3) العدد الصادر يوم : 12 مارس 1962 – ص : 2 – عدد : 77 .

وظهر اول عدد منها يوم الجمعة 24 ذي الحجة 1324 هـ الموافق لـ 8 يبراير 1907 بادارة فرج الله نمور ، ومساعدة شقيقه أرتو نمور وهما معا من لبنان.

جريدة (استقلال المغرب) : فلم تصدر باللغة العربية على ما نتوفر عليه من وثائق ، بل كانت تصدر باللغة الاسبانية من طرف الدكتور هيمينيس البلجيكي المقيم بطنجة ، وصدر اول عدد منها فى ابريل 1907 م — 1325 هـ ولا نتوفر لحد الآن على اي عدد منها .

جريدة (الفجر) : صدرت باسم الحكومة المغربية بطنجة وظهر اول عدد منها فى جمادى الثانية 1326 هـ موافق 15 يوليوز 1908 م لصاحبها وافى ومحررها نعمة الله الدحداح (5) .

جريدة (الصباح) : صدرت كذلك بطنجة ، وظهر عددها الاول يوم الخميس 27 جمادى الاولى 1324 هـ الموافق لـ 16 يوليوز 1906 م بادارة المسمى بن حيون ، أما وديع كرم فقد كان محررها .

نشرة (الطاعون) : كانت اول جريدة اصدرها مغربي بفاس هو الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني ، وليس القطاني ، وهو خطأ وقع فيه العلامة طرازي اثناء ترجمة معلوماته عن هذه النشرة نقلا عن مصدر فرنسي .

ظهر اول عدد منها بفاس سنة 1324 هـ — 1906 م وهي أول نشرة فى مجموعة منشورات فاس التي نتوفر على بعض اعدادها (6) .

جريدة (الاخبار المغربية) : صدرت بمدينة الدار البيضاء بادارة السيد كاريط بوفي الاشتراكي الفرنسي واشرف على تحريرها السيد بدر الدين البدراوي ، صدر أول عدد منها فى يوم 16 رجب 1339 هـ الموافق لـ 26 مارس 1921 م (7) .

جريدة (المغرب) : ظهرت ضمن مجموعة الحركة الوطنية بمدينة سلا (8) للمرحوم السعيد حجي . صدر العدد الاول منها فى يوم الجمعة 4 صفر عام 1356 هـ الموافق لـ 16 ابريل 1937 م .

واصدر محمد اليزيدي بالرباط ضمن مجموعة صحافة الحركة الوطنية **جريدة (الاطلس)** ، وظهر اول عدد منها فى يوم الجمعة فاتح ذي الحجة 1355 هـ الموافق لـ 12 يبراير 1937 م .

وصدرت (لخدمة الثقافة والادب) (9) بمدينة سلا **جريدة (التقدم)** وظهر اول عدد منها يوم الجمعة 25 جمادى الثانية 1357 هـ املوافق لـ 29 يوليوز 1938 م بادارة صاحبها ومحررها احمد ابن حساين النجار .

اما جريدة (الانيس) : فقد اصدرها السيد محمد الجحرة بمدينة تطوان حيث صدر عددها الاول فى شهر ربيع الثاني 1365 هـ الموافق لـ مارس 1946 م .

فى حين صدرت **جريدة (العلم)** بالرباط بادارة السيد عبد الجليل القباج باسم (حزب الاستقلال) وظهر اول عدد منها فى يوم الاربعاء 15 شوال 1365هـ الموافق لـ 11 شتنبر 1946 م .

بينما صدرت **جريدة (الراي العام)** بمدينة

---

(4) انظر جريدة (السعادة) عدد 95 — ص : 1 — 2 غشت 1906 .

(5) العدد الاول صدر بالمكروة فقط ، ولا نتوفر الا على عدد واحد يوجد بالمكتبة الوطنية ببيروت بلبنان واتوفر على صورته .

(6) وهذا ما يؤكد الاستاذ علال القاسي فى دراستهعن الصحافة المغربية (انظر جريدة العلم) ص : 10 — 11 شتنبر 1971 تحت عنوان (نشرات فاس) .

(7) لم يتم العثور على عددها الاول بالمغرب الا فى 22 مارس 1979 .

(8) لا بد من التنصيص على مجموعة الحركة الوطنية فى هذا المجال عند دراسة الصحافة المغربية فيما بين 1930 و 1956 .

(9) شعار الصحيفة كما هو مثبت على صفحاتها .

الدار البيضاء باسم (حزب الشورى والاستقلال) بادارة الاستاذ احمد ابن سودة ، وظهر اول عدد منها فى يوم الاربعاء 24 جمادى الاولى 1366 هـ الموافق لـ 6 ابريل 1947 م .

كما اصدر بتطوان الفقيه السيد محمد داود اول مجلة مغربية باسم مجلة **(السلام)** وظهر اول عدد منها فى شهر جمادي الثانية 1352 هـ الموافق لشهر اكتوبر 1933 م .

واصدر **جريدة (الشعب)** : الشيخ محمد المكي الناصري باسم (حزب الوحدة والاستقلال) ، وظهر اول عدد منها بطنجة فى يوم السبت 16 شوال 1371 هـ الموافق لـ 6 يوليوز 1952 م

كما اصدرت **(الشبيبة الاستقلالية)** الموازية لحزب الاستقلال بالرباط جريدة (**الشباب**) بادارة السيد عبد الحكيم جديرة ، وصدر العدد الاول منها فى شهر جمادى الثانية 1377 هـ الموافق لـ يوليوز 1956 م .

اما جريدة **(منار المغرب)** : فقد صدر عددها الاول فى يوم الاحد 11 ذي الحجة 1378 هـ الموافق لـ : 22 يوليوز 1956 م بادارة السيد عبد الكريم حجي ، ولا زالت تصدر حتى الآن من أجل محاربة الامية .

وصدرت جريدة **(المغرب العربي)** باسم الحركة الشعبية بادارة السيد محمد بن عبد الله الوكوتي ، وصدر اول عدد منها فى يوم 25 قعدة عام 1378 هـ الموافق لـ 3 يونيه سنة 1959 م .

اما (النبراس) : (10) فهي مجلة شهرية صدرت بتطوان بادارة السيد احمد بلقات ، صدرت عام 1377 هـ الموافق لـ سنة 1957 م .

* * *

وبعد ، فانني كما اسلفت ارجو ان تكون هذه الاشارة التي هي فى الحقيقة من أجل التصويب العلمي لا غيره بعيدة عن العقد النفسية ، وعن الكبرياء والانانية التي لا صلة لها بالعلم ، بل تكون من أجل الغاية المرجوة والمقصد العلمي الصرف .

وتلك هي الرغبة التي دفعتني الى ذلك بغية التصويب فى نطاق الاختصاص . والله الموفق .

سلا : زين العابدين الكتاني



(10) لا نتوفر لحد الآن الا على العدد الثالث الصادر فى نونبر 1957 .

دنيا العرب

للشاعر الأستاذ محمد الحلوي

هل ادركت امم العروبة داءها   فاستنهضت لعلاجه حكماءها ؟
هلا تلافت امرها من قبل ان   تقوى الجراح فلا تطق شفاءها ؟
هل تستجيب وقد تعالت فى الفضا   صيحاتنا ، فتجاهلت اصداءها ؟
الطب اعجز ان يداوي امة   مرضت ، واصبح داؤها ابناءها !
يا امة كانت تقود فاصبحت   منقادة تجري الى من شاءها !
عصفت بمركبها الخطوب وزلزلت   بنيانها ، واستهدفت افناءها
تاهت وضاعت فى المفاوز يوم ان   اعطت اعنة حكمها سفاءها
فعتوا فسادا واستباحوا عرضها   وترابها وجوارها ودماءها
نسيت ـ بما تلقوه من اخوانها   الاكثرين عداوة ـ اعداءها !
ما للسياسة بوات صهواتها   حمقى الرجال وسودت غوغاءها ؟
تخذوا السياسة للرياسة سلما   ومطية ، واستخدموا عملاءها
واستوردوا من كل ارض مذهبا   ومناهجا ما اسعدت ابناءها
خدعوا الشعوب واوهموها ان فى   تلك المذاهب عزها وثراءها
لو كان فى ما يصدرون سعادة   لبني الحياة رايتم سعداءها
تلك المذاهب شر ما منيت به   امم العروبة وابتلى جهلاءها
لم تجن معا استوردت من منهج   الا بلايا مزقت اجزاءها
غامت سماء العرب حتى أصبحت   ومضاتها هي صحوها وصفاءها
لا ينعش الآمال صحو عابر   وبشائر تهدي لنا اشذاءها
الا وعاد الغيم واحتجب الضيا   واستعرضت دول الاخاء عداءها
واستلت الايدي السيوف وايقظت   احقاددها ، وتعمدت اذكاءها
لم يثنها دين ولا قربى ولم   شمع حناجر لا تمل دعاءها

* * *

هل حققت قمم العروبة مطمحا   لشعوبها ؟ هل كفكفت اهواءها ؟
هل افلحت فى صنع امتنا التي   نسعى لترفع فى الوجود لواءها ؟

وهل استطاعت ان توحد شملها ... وتضم وهي طوائف اعضاءها ؟
لبنان تسبح فى الدماء وترتدي ... ثوب الحداد صباحها ومساءها
والقدس باكية تودع فى اسى ... وتجلد مستكبر شهداءها
يا من اساءوا للعروبة لمتم ... قسما ـ وان كابرتم ـ ابناءها
حتى تترجم حبكم اعمالكم ... وتشيدوا فوق القلوب بناءها

* * *

لا خير فى حكم يسخر امة ... تبدي الولاء ، فيستغل ولاءها
واذا الشعوب استسلمت فى طاعة ... عمياء ضلل حبها رؤساءها
والحاكمون الراشدون من اعتلوا ... عرش القلوب وحكموا عقلاءها
واستبصروا بهدى السماء ونورها ... وترسموا فى حكمهم ايحاءها
يا امة قد وحدت فى دينها ... ربا ولم تشرك به أشياءها
ما ضرها لو وحدت اهدافها ... واستجمعت فى امرها آراءها ؟
لم اعرضت عن دينها وهو الذي ... صنعت قواه وجودها وبقاءها ؟
ان لم تجد فى الدين ما يهدي فلن ... تلقى سواه مبددا ظلماءها
دنيا العروبة ماتم فى ماتم ... ومحافل تخفي الدموع وراءها
واذا استطابت امة اوضاعها ... وفسادها لم تعتزل اخطاءها
اني لاخجل من تمزق امة ... قد ايأست من رشدها صلحاءها
فمتى تعي ؟ ومتى توحد صفها ... ومتى تعيد الى القلوب نقاءها ؟

* * *

يا امة بالامس كانت امة ... تهدي وتنشر فى الوجود ضياءها
وتسوس بالحسنى وبالعدل الذي ... غمر الحياة سنى وكان رواءها
لا تتركي الآمال فى اعماقنا ... تذوي ولا تستمهلي احياءها
انا هنا فى مغرب الاحرار لم ... نفتا ندعم صرحها وبناءها
ونمد ايدينا لاخوتنا فلا ... نلقى يدا لاخ تود لقاءها !
اجرامنا ـ ان كان ـ انا امة ... قد حررت واسترجعت صحراءها
السلم مبداها اذا ما سولمت ... والحرب تعرف اسدها وبلاءها
واذا اعتدى الباغي على حرماتها ... كان الجواب فناءه وبقاءها
يا امة بالامس كانت امة ... تهدي وتنشر فى الوجود ضياءها
اني لاوثر ان اموت مخافة ... من ان اعيش وان اصوغ رثاءها !

تطوان محمد الحلوي



الشاعر الوزير محمد ابن موسى دراسة في شعره

- 10 -

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

رابعـــا : الوصـــف :

لابن موسى حاسة لاقطة وحدقة مشخصـــة تنقل لنا الحقائق الخارجية بعد أن يضفي عليها من فنيته ظلالا زاهية جميلة ، تتسلل الى الاغوار فتهز منها الوجدان والاحساس ، وما ذلك الا لان الشاعر يستقصي جزئيات موصوفاته وينفعل بما تحويه من بهاء وروعة فتنطلق شاعريته ترسم لنا خاطراته في سخاء دون تكلف ، وهذه المميزات التي يتسم بهـــا الوصف عنده تمثلها لنا قصيدته (الجناح الاخضر) التي عارض بها مزدوجة مدرك الشيباني (1) في صاحبه عمرو بن يوحنا النصراني والتي مطلعها :

بادر صباحا سافر الآفـــاق
منبلج الثغـور والاحـــداق
يقضي بنشــره الى الاتواق
فيبعث البشر من الاعمـاق
ويشرح الصدور للتلاقـــي

وقد عالج ابن موسى في الوصف في غير هذه القصيدة ، لكنه لم يخصص له قصيـدة مستقلـــة الذات ، اذ نجده قد طرقه في مقدمات بعض القصائد، وفي تضاعيفها مثال ذلك قوله في صدر القصيـــدة التي يمدح فيها الخليفة السلطاني :

---

(1) شاعر نزح من البادية الى بغداد وهو صغير الســن فنشا بها وتفقه في العربية والادب ، كان كثيرا ما يلم بدير الروم في الجانب الشرقي من بغداد ، وكان به غلام جميل يدعـــى عمرو بن يوحنـــا النصراني ، وكان له مجلس يقصده الاحداث وكان عمرو من مجالسيه فتدله بحب عمرو الى درجة الهيام والجنون وقد قال فيه شعرا من بينه مزدوجة يقول في اولها :

من عاشق ناء هواه دانـــي ... ناطق دمع صامت اللســـان
معذب بالصد والهجـــران ... موثق قلب مطلق الجثمـــان

طليـق دمـع قلبه في اسـر

ولم اعثر على تاريخ ميلاده ووفاته ، ويبدو انه كان يعيش في القرن الرابع او الخامس الهجري لان الحريري راى صاحبه عمرا وقد ابيض شعره ، راجع ياقوت الحموي (معجم الادباء) ج 19 ت 43 ص 135 وما بعدها ـ الطبعة الاخيرة ـ مطبعة دار المامون . وانظر البغدادي (أبو بكر) (تاريـــخ بغداد) ج 13 ت 7231 ص 273 ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ 1349 هـ ـ 1931 م ، وانظر العلمي (محمد بن الطيب) (الانيس المطرب) ص 220 وما بعدها ـ الطبعة الفاسية .

ادر كئوسك ان الصبح قد وضحا
وصارم الشرق من فرق الدجى لمحا

والزهر من كرع افواف الندى ثمل
بادى الكرى فاذا هب النسيم صحا

يصافح الطرف من احداقه حور
ويفعم الجو منه الطيب ان نفحا

والنهر ارقم فى الافياء منصلت
بين الربا وخطيب الدوح قد صدحا

ومثال ذلك ايضا قصيدته التي قالها عند زيارة الملك محمد الخامس رحمه الله لفاس يصف فيها استقبال الشعب له وصفا دقيقا وذلك حين يقول :

ولله يوم لحت فيه كما بدا!
هلال بآفاق السموات جائلا

تحفك انوار المهابة ذاهبا
فتكسوك بهرا بهجة الملك قافلا

شققت به ارجاء فاس فزرتها
وقد لبست برد الشباب غلائلا

فمالت سرورا وابتهاجا بما حوت
وبحسن قد الخود في الوشي مائلا

يموج بأفواج الجماهير ظهرها
فيظهر يما بالزعازع صائلا

فلا نهج الا ماج بالقوم صاخبا
ولا سطح الا مال بالقيد حافلا

يشق هتاف المائجين سماءها
فتحكي صداه الراسيات صلاصلا

ترى القوم فيها فاقدين شعورهم
وما عاقروا — لولا محياك — ناطلا(2)

وانطلاقا من هذا يسوغ لنا القول بأن الوصف عند ابن موسى وصفان : وصف مستقل ووصف فى صدور القصائد او تضاعيفها ، والقصيدة — كما قلت سالفا — المثلة لميزات الوصف عند ابن موسى هي قصيدة (الجناح الاخضر) ، لذلك سنقف عندها مليا متأملين ما ينداح فى رحابها من جمال الوصف وتصوير حي ، تتفتح له النفس فى لذة وتقبل عليه فى نشوة بالغة .

قد تحدث ابن موسى فى مزدوجته (الجناح الاخضر) حديث شاعر ذي حاسة ذكية مشخصة مصورا مجلس انس انعقد من جماعة الفضلاء بالضاحية الشهيرة بـ (الجناح الاخضر) من ظاهر مدينة تطوان .

وفى بعض لياليه المنعشات دارت مناقشة بين الجماعة حول مسائل علمية كادت تتطور الى مشادة ومشاحنة لولا ان تدخل احدهم فادار المناظرة بحكمة رشيدة واخيرا انتهت الجلسة بتفاهم يسوده روح المودة والصفاء .

والقصيدة فى الواقع تتوافر على عناصر قصصية اذ تحتوي عنصر الزمان والمكان والعقدة والحل ؛ لذلك اعتبرها من الشعر القصصي الوصفي.

قال الشاعر مفتتحا (المزدوجة) بعد ان قدم لها بمقدمة نثرية (3) جميلة جيدة السبك والبناء كعادته فى الكتابات النثرية فتناول فيها بالحديث (مزدوجة) مدرك الشيباني ومن عارضها ، ونحا نحوها ، فصور اللحظة الزمانية فى (الجناح الاخضر)، فى الصباح الباكر ، حين طلب منا ان نسارع لاستقبال اشراقات الآفاق ، وجماله الوضيء ، ذلك الصباح الذي تتفاوح اشذاؤه فتتسلل الى الاذواق وتشيع فى الاعماق البشر والنشوة والرغبة الاكيدة فى اللقاء الجميل بهذا المكان .

فى هذا الصباح الجميل اللطيف غارت النجوم فى المدى البعيد ، تحكي الفصوص فى غدير ازرق رائع ، وتحكي حبات الثلج فى فضاء موشى اخاذ :

(2) ناطل كوز تكال به الخمر واللبن ويجمع على نياطل .
(3) المقدمة والقصيدة معا منشورتان بمجلة النصر التطوانية — العدد الاول — السنة الثانية ربيع (2) 1379 — نونبر 19559 ص 2 وما بعدها .

بادر صباحا سافر الآفاق
منبلج الثغور والاحداق

يفضي بنشره الى الاذواق
فيبعث البشر من الاعماق

ويشرح الصدور للتلاقي
بادره وهنا ونجوم الافق

تنساق فى بقية من رمق
تحكي فصوصا فى غدير أزرق

او بردا على فضاء مونق
يفور بالتدريج فى المساق

واذ نحن نتمتع بهذا الموكب من مواكب الطبيعة الجميل ، فاذا الفجر يبدو ، والنور يستعد فى مرح ليعانق الكون والديك يشوقه الصياح ، والانداء يسكرها اريج التبرعم فتلثم الاقاحي فى حنان وشوق غامرين :

بادره والجوناء (4) فى المراح
والفجر بين نائم وصاح

والديك يستوفز للصياح
والطل ينسل الى الاقاحي

مستهديا بارج الوراق (5)

وبعد أن يجدد اللحظة الزمانية لقصته فى (الجناح الاخضر) ينتقل الى تحديد المكان ووصف جماله ، فالربيع يكسو الجو حلة من الفتنة ، رياض غنية بكل فاتن ساحر ، طيور تسجع فترسل اعذب التغريدات ، وكأنها تتعاطف فى لحظة الانتشاء مع خرير المياه المنبعثة من السواقي :

فى ضائع من نفس الربيع
وشائع من حسنه البديع

ورائع من روضه المريع
وساجع من طيره الخليع

على خرير الماء فى السواقي

الى ان يقول :

بمجلس حفت به الازهار
وغردت من حوله الاطيار

ولالآت فى جوه الانوار
فالوقت لا ليل ولا نهار

كأنما اغرى بالشفاق
تشدو به بدائع الالحان

حور من الخرد والولدان
تميل بالشيوخ والصبيان

ميل الصبا بناضر الاغصان
او النسيم اللدن بالاوراق

ثم يقول باسطا الحديث عن اشتداد المعركة العلمية وهي عقدة القصة :

واطردت حركة العقول
دائرة فى حومة النقول

تستلحق الفروع بالاصول
وتقرع الدليل بالدليل

لتحصر المطلوب فى نطاق
فاشتبكت خواطر الفرسان

تفتن فى قوالب البيان
تدبر تارة على الاذهان

ما رقمن مراشف المجاني
وتارة تنفح بالاعلاق

ثم يختم رائعته بوضع حل لقصته ، وذلك بتدخل احد الفضلاء وحسم النزاع الذي اشتد اواره وكاد يثير زوبعة من الخصام بين المتناظرين :

كف العميد غربهم وقال لا
يبغ امرؤ على امرىء مستسهلا

قولوا جميعا اولا فاولا
والغير ينصت فلا يبذي ولا

---

(4) الجوناء الشمس .
(5) الوراق بكسر الواو وقت خروج الورق .

ليظهر الاصل منا لالحاق

الى ان يقول :

فكان في حديثه المشنف
ابرع من شق غبار الاحنف (6)

يفعل بالالباب فعل القرقف
فياخذ الاسماع باللطف الخفي

ويترك الابصار للانفاق

فلم يدع تذكرة تذيب
من صدا القلوب ما تصيب

الا جلاها نطقه العجيب
فوقعت من انفس تنيب

مواقع الكحل من المآقي

فراجع القوم رداء حلمهم
وانصتوا الى نداء نجمهم

وجنحوا الى الهدى بعلمهم
وانقلبوا الى سلوك نظمهم

ما خلف البحث من الاطواق

فجال بحر بالحديث والاثر
وصال حبر بالقياس والنظر

وجهبذ قضى من العلم وطر
خصص بالنص وقد عم الخبر

فرجع الخلف الى اتفاق

هناك جلل الوجوه الفرح
وجملت وجه الحديث ملح

فانبسط القوم لها وانشرحوا
وفتحوا من هزلهم ما فتحوا

فختم المجلس بالعناق

هكذا نكون قد اتينا على الوصف عند ابن موسى وتأتى لنا خلال ذلك ان نعيش لحظات منعشات حالمات مع رؤاه في رحاب الطبيعة وتشخيصاته لبعض مظاهرها تشخيصا يشي بجمال المخيلة الحالمة وقدرة الريشة المصورة سواء في قصيدة الوصف المستقل او الوصف في صدور القصائد او تضاعيفها ، ونلحظ ان شاعرنا وهو يصف الطبيعة متأثر بمن سبقه في هذا الميدان كالصنوبري (7) مثلا ، ورغم ذلك فان قصيدته (مزدوجة الجناح الاخضر) دلت على قدرته في الوصف والتشخيص ومهارته في استعراض احداث القصة في (الجناح الاخضر) مما جعل شخصيته تبرز بالقياس الى الاغراض الاخرى التي تحدثنا عنها سابقا .

خامسا ـ الاخوانيات :

كانت لابن موسى مراسلات بينه وبين ادباء عصره وعلمائه ـ كما مر القول ـ كالاديب السيد البشير افيلال والاديب عبد الله القباج والاستاذ العالم السيد عبد الله كنون ،، وهذه المراسلات او المساجلات عبارة عن أشعار تصور العلاقات الودية الاخوية بين الاصدقاء والتي تسيطر عليها صفات عامة من شوق ودعاء واسداء النصح ، وملح على نحو ما عرف في ادبنا العربي القديم على يد ابي فراس (8)

---

(6) المقصود به الاحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي (3 ق هـ ـ 72 هـ = 619 ـ 691 م) احد دهاة العرب وفصائحهم وشجعانهم يضرب به المثل في الحلم ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته فبقي معه ثم اذن له بالعودة الى البصرة شارك في الفتوح توفي بالكوفة ، انظر ابن حزم (علي) : جمهرة انساب العرب ص 206 ، طبعة ـ مصر ـ 1948 .

(7) هو احمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي الحلبي الانطاكي (... ـ 334 هـ = .. ـ 946 م) شاعر تميز شعره بوصف الرياض والازاهير وكان من الشعراء الذين يحضرون مجالس سيف الدولة له ديوان شعر ، انظر الطباخ (محمد راغب) اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج 4 ص 23 طبعة حلب 1342 هـ .

الحمداني ، ومن ذلك قوله ، لصديقه ابي الحصين القاضـــــي :

يا طول شوقي ان كان الرحيل غدا
لا فـــرق الله فيما بيننا ابـــــدا

ومن قصائد ابن موسى الاخوانية قصيدته التي يرحب فيها بصديقه الشاعر عبـد الله القبـــاج فى العرائش ويستهلها بقوله :

شاعر العصر أضحت دولـه الادب
مهتزة العطف بين العجب والعجب

وقصيدة اخرى يساجل بها السيد البشيـــر افيلال وهي كلها عواطف واشادة بصديقه يقول فى اولهـــا :

يا راحة من حيا اخلاقها الديـم
ومن اناملها الاحكام تنتظـــــم

ومن هذه الاخوانيات المساجلات التي جـرت بينه وبين صديقه الاستاذ السيد عبد الله كنون وقد سبق ان قدمنا قصيدة فى هذا الشأن يساجل فيها الاستاذ المذكور حين كان عامــلا على طنجة عـــام 1376 هـ مواق 1957 م واولها :

يا باذل التالــد والطـــارف
من علمه وظله الـــــوارف

وقد راجعه صديقه بقوله :

حاشاك تحجب من عـــارف
بفضلك التالـــد والطـــارف

ويبدو أن المراسلات بين ابن موسى والاستاذ كنون لم تكن تفتر ، فقد مرض صديقه عـــام 1369 فمنعه ذلك من مزاولة عمله العلمي ، ولما شفي بعث له شاعرنا قصيدة هي عندي من غرر شعره ولا سيما فى الاخوانيات يهنئه ويحضه على مواصلة نشاطه ؛ ويبثه عواطفه النبيلة ويجلو له رايه فيه والآمال التي يعلقها عليه العلماء والفضلاء ، يقول فى صدرها :

هون عليك فلطف الله فيك خفي
وصنعه لك بادر غيـر منصرف

لما نزل فى رعيل من عنايتـــه
مستحصد ومن التوفيق فى كنف

تحنو عليك يد من فيض انعمــه
انى اتجهت فلا تحزن ولا تخـف

واسلم بانعم بال تستطيب بـــه
برد الرضى ومزاج غير منحرف

ثم يواصل حديثه عن صديقه مبينا ما له منزلة بين الناس ، لكونه يجاهـد من أجل العلـــم والادب والثقافة وذلك فى قولـــه :

لكن دهرك لاه فى سفاسفـه
عما تحبر من وشي ومن طرف

ومن عقود يلوح التبر من سقط
فى جنبها وشذور الدر من خزف.

فصمت كيما يرى من كان ذا بصر
مسافة الخلف بين التمر والحشف(9)

حتى اذا لحت لاح الفضل ملتحفا
دوح النهى فى رداء غير ملتحف

وليس يلحق نور البدر من وهن
وان سرى البدر وهنا سير منكسف

فانهض وشيكا ـ وقال الله ـ من وصب
تعفو به خرزات (10) الدر فى الصدف

---

(8) هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي (320 ـ 357 هـ = 932 ـ 968 م) شاعر امير فارس وهو ابن عم سيف الدولة ، قال عنه الصاحب بن عباد بديء الشعر بملك وختم بملـــك شارك فى وقائع كثيرة تتله أحد اتباع سعد الدولة ابن سيف الدولة له ديوان شعر ، انظـــر ابن خلكـــان وفيات الاعيان ج 1 ص 349 ومابعدهـــا ، وانظر الثعالبي (يتيمة الدهر) ج 1 ص 48 وما بعدها.

(9) الحشف أردأ التمر او اليابس الفاسد منه ، ومنه المثل المشهور (أحشفا وسوء كيلة) ويضرب لمن يجمع بين أمرين مكروهين .

(10) خرزات مفردها خرزة بفتحتين التي تنظم فى سلك ليزين بها .

الى ان يقـــول :

نافح بها عن بلاد طالما سقطت
اخلاقها بعوادي الجهل والجنـف

تنكرت لاواليها (11) فديدنهـا
وقد رايت عقوق الخلف للسلـف

ازروا بهم وتناسوهم ولم يرثـوا
حقا لهم فعذير(12) القوم من خلف

فغرت غيرة تذب عن محاسنهم
من ان تشوه بعزم الناقد الحصف

نشرت منهم لفيفا ضاع نشرهم
لو لم تذعه فما استعدى على التلف

وفي الكواكب من اعلامهم هـدف
وشأن قارة(13)وضع النصل في الهدف

ويختم الرائعة بقوله :

اعاد فضلك ، عبـد الله ، مانحـه
من لمة(14) الضعف والاسواء والدنف

ودمت تسقى يراعـا كلما هتفـت
ورقاوه (15) كشفت عن روضة انف

والحقيقة ان هذه القصيدة الاخوانية تحمل الخاطرة الشعرية ندية بالود ، مخضلـة بالحـب ، ترفدها المعاناة الحية والتجربة الخصبة ، والانفعال الحي المنساب ، وغير هذا من العناصر الشعريـة التي تؤلف لنا العمل الشعري الجاد وتجعله يجري في ميدانه الاصيل ، المشع بالآفـاق الوسيعـة ، اللماحة الى الصورة الفنية الاخاذة .

---

(11) استعمل الشاعر الاولى عوض الاوائل وذلك لضـرورة الـوزن كقـول الشاعـر :
(تكاد أواليها تفرى جلودها * ويكتحل التالي بمرور وحاصب) . واصل اوائل في اللغة اواول راجع القضية بتفصيل عند الالوسي (محمود شكري) الضرائر 186 ـ مكتبة دار البيان بغداد ـ دار صعـب ـ بيـروت .
(12) العذيـر النصيـر .
(13) قارة قوم من العرب اشتهروا بجودة الرمي فضرب بهم المثل في ذلك فقيل (انصف القارة من راماهـا) .
(14) لمة المرة من لم ، الشدة او مس من الجن .
(15) الورقـاء الحمامـة .

من موضوعات العدد القادم

• سبب تأخر بعض الجهات عن الأخرى في الرؤية

مصطفى صادق الرافعي

نظرات في مواقفه تحت راية الإسلام .

للأستاذ عبدالرحمن الزياني

ليس بين أدبائنا ومتادبينا من يجهل المرحوم مصطفى صادق الرافعي ، الكاتب الاسلامي الكبير ، الذي شغل الفكر الاسلامي والعربي ردحا من الزمن غير قصير ، بنفحاته الادبية العالية ، ومواقفه الصمودية في وجه تيار التزييف والاستلاب ، ذبا عن حمى الاسلام ، وذيادا عن عرين لغة القرءان ، ودفاعا عن تراثنا الاصيل الذي يمثل امجادنا واصالتنا ، في اسلوب ادبي رائع ، وبيان مشرق ناصع ، احسن ما ينطبق عليه من الاوصاف ، ما وصفه به الزعيم المصري الكبير المرحوم سعد زغلول ، الذي قال فيه: « بيان كانه تنزيل من التنزيل ، او قبس من نور الذكر الحكيم » .

وليس بينهم من لم يتتبع في شوق ولهفة معاركه الادبية الصاخبة ، مع كبار أدباء عصره ، من امثال طه حسين ، والعقاد ، وزكي مبارك وغيرهم .

وليس بينهم من لم يعجب بمصطفى صادق الرافعي ، المحارب الشجاع ، الذي وقف ـ وحده ـ في الميدان تحت راية القرءان يدحض مزاعم مؤلف كتاب « في الشعر الجاهلي » ويلقمه الحجر تلو الحجر جزاء ادعائه التجرد من عقيدته الاسلامية خلال تاليفه كتابه ، وتطاوله على القرءان الكريم بانكار ما اكده عن بناء ابراهيم واسماعيل للكعبة مما تواردت الادلة على صحته .. !

وليس بينهم من لم يستاثر بانتباهه هذا الاديب الكبير الذي هيأته العناية الالهية لتحبير هذه الفصول القيمة الممتازة في التعريف بالاسلام والرد على خصومه ومناوليه من دعاة التبعية والتشكيك .. !

لكن اذا كان هذا هو الشأن بالنسبة لمخضرمي الادباء والمتادبين الذين عايشوا الربع الثاني من قرننا العشرين ، وواكبوا ربعه الثالث ، فان الامر جد مختلف بالنسبة للجيل الجديد ، جيل ما بعد الخمسينات ، والا فمن من متادبي الجيل الجديد وناشئته يعرف من هو هذا القائد البطل الذي لم يغمد قلمه حتى استشهد في ساحة الفكر « تحت راية القرءان » ينافح بقلمه البليغ عن مقدساتنا وامجادنا ، ويذب عن حمى الاسلام جنود الشر المستشرية ، المسترخصة لقيمنا ، المستهترة بمثلنا ، المجترئة ـ في وقاحة ـ على حمانا المنيع .. ؟

ومن من ناشئة اليوم من يعرف شيئا عن مواقف مصطفى صادق الرافعي من دعاة التغريب وأدعياء التجديد والتبعية ، الحاقدين على تراثنا ، المستهترين بقيمنا وأصالتنا ؟

من يصدق من ناشئتنا ان هذا الجندي الباسل قد انتضى قلمه ووقف كل طاقاته وامكانياته الفكرية

لصد حملات التشكيك المسعورة التي تزعمت الدعوة اليها مجموعة من ابناء امتنا المغترين الذين جروا — وجروا طويلا — في ركب الغرب ، داعين في غير هوادة الى التخلي عن ماضينا المشرق الزاهر بكل ما يمثله من اشراق واصالة ، ومنادين — في غير عياء — للاخذ بأسباب الحضارة الغربية بكل ما تنطوي عليه من شرور وموبقات ، وبكل ما تحمله من ضلالات وانحرافات ؟ .

من من ناشئة اليوم يتذوق ادب الرافعي ، ويهتم بقراءته ومدارسته ، ويعكف الليالي والساعات الطويلة متمليا من جمال اسلوبه ، وروعة تصويره ، ونصاعة بيانه ، وأصالة تفكيره .. ؟

فما هي — يا ترى — اسباب هذه القطيعة بين الناشئة العربية وبين ادب هذا العملاق الكبير .. ؟ فهل هي راجعة الى ما يطبع ادب الرافعي من عمق التفكير ، وجزالة الاسلوب ، واشراق الديباجة ، ودقة التصوير ، والافتنان في التشبيهات والمجازات والاستعارات ، الشيء الذي ربما دفع عن انتاجه — في نظر المقصرين المستعجلين — طابع العفوية والبساطة ، ووسمه بميسم التكلف والتصنع .. ؟ ام هي راجعة الى ما يتهم به الرافعي — من لدن خصومه وشانئيه — من غموض في المعاني يحول دون استفادة القارىء العجلان مما يكتبه ، هذا الغموض الذي — ربما — جاء نتيجة كثرة تلومه واطالة ترويه ، والمداومة على ادمان النظر في المواضيع التي يطرقها ، وحرصه على الباس معانيه اللباس الملائم لها ، من اختيار الكلمات ، وجمال الاداء ، وروعة التصوير .. ؟

قد يكون هذا السبب وجيها لو ان الرافعي وقف عند رسائله في فلسفة الحب والجمال ، المتمثلة في : « حديث القمر » و « رسائل الاحزان » و « السحاب الاحمر » و « أوراق الورد » مضافا اليها كتاب « المساكين » فهذه الكتب لا يماري احد ، من انصار الرافعي والمعجبين به ، في غموض عباراتها ، واستعصاء معانيها على المستعجل من القراء ، لان طبيعة موضوعاتها — ربما — كانت تقتضي ذلك .. ولان مؤلفها كان يهدف من وراء تاليفها الى البرهنة لخصومه وخصوم اللغة العربية ، — وما اكثرهم — على ان العربية قادرة على التعبير عن المعاني النفسية الدقيقة ، والترجمة عن الاحساسات والانفعالات المستكنة ، متى وجدت الصائغ الماهر الذي يصوغ من لآلئها وسبائكها انفس الحلي واثمن العقود .. ! وان هذه المعاني لا تستعصي الا على قصيري الفهم السطحيين ، الذين لم يجيدوا دراسة لغتهم ، ولم يرزقوا الصبر على معاناتها واستكناه اسرارها ، والنفاذ الى أغوارها ، ولم يتمرسوا بأساليب كبار الكتاب .. !

اما والرافعي قد كتب — الى جانب تلك المجموعة من الكتب والرسائل — « تاريخ آداب العرب » و « اعجاز القرءان ... » و « تحت راية القرءان » و « وحي القلم » وكلها ناصعة العبارة ، سلسلة الاسلوب ، اصيلة الفكرة ، واضحة المعاني ... فان ذلك السبب لن يكون واردا ولا مقبولا في عزوف الناشئة عن ادب الرافعي ، الاديب المفكر الذي عاش حياته للكلمة الجميلة ، والاسلوب المشرق ، والبيان الناصع الاخاذ ...

واذن ، فالذي حال بين ناشئتنا وبين ادب الرافعي ليس هو غموض معانيه وتعقيد اسلوبه ، وسطحية افكاره كما يزعم خصومه وشانئوه ... بل ولا هو — ايضا — تفكيره بعقلية سلفية لا تمثل المعاصرة كما زعم البعض الآخر .. ! وانما هو العقوق الذي مني به هذا المفكر الكبير من لدن مجتمعه حيا وميتا ، فهو قد قضى حياته القصيرة في وظيفة صغيرة لا تناسب مكانته وسمو ادبه ، ولا تتلاءم وما قدمه لهذ المجتمع الجاحد المتنكر من خدمات ، وما كان يطمح ان يقدمه اليه — لو امتدت به الحياة — من غذاء فكري ، وزاد ادبي لا تبلى جدته بتقادم السنين .. ! وهو — ايضا — لم يحظ بعد وفاته ، من لدن مواطنيه المصريين ، الذين حرق اعصابه واذاب دماغه في اتحافهم بآيه البينات ، ولو باقامة حفلة تأبينية اعترافا بما اسداه لبلاده ولكل الناطقين بالضاد من اياد بيضاء يشهد بها انتاجه العالي ، كما لم يسمع ان الدولة المصرية فكرت يوما ما في احياء ذكراه السنوية ، شأنها مع من هم اقل منه شأنا واضعف مردودا .. !

وبالاضافة الى هذا الاهمال الذي مني به الرافعي من لدن رجال الفكر بمصر الشقيقة ، والذي ربما جره عليه سلاطة لسانه ، واستصغاره أمر

خصومه متى كان الامر يتعلق بانتهاك حرمة من مقدساتنا ، نعم بالاضافة الى هذا الاهمال والعقوق الذي كان جزاء الرافعي بعد وفاته ، فانه لم يحظ — بعد — من لدن الدارسين والباحثين بما تستوجبه مكانته من دراسات موضوعية تنصفه وترفع عنه الاجحاف ، وتعترف بأياديه الجلى على الادب العربي المعاصر ، باعتباره رائدا من رواده ، وقطبا من اقطابه ، واماما من ايمته ، ولولا هذه الدراسة القيمة التي اماط بها اللثام المرحوم محمد سعيد العريان ، عن كثير من جوانب حياة الرافعي ، الى جانب دراسات معدودة ينقصها التعمق والاستقراء ، لازداد جهلنا بالرافعي ، ولما عرفنا عن حياته العامة والخاصة قليلا ولا كثيرا .. ! وهذا — فيما اعتقد — نقص في دراستنا الادبية ، ما كان احرى المشرفين على اعداد الرسائل الجامعية بتلافيه ، عن طريق توجيه شبابنا المنتسب الى الدراسات الادبية الى العناية بدراسة الفطاحل من ادبائنا المعاصرين ، حتى تكتمل سلسلة حلقاتنا الادبية ، وحتى نرفع عن مجتمعنا وصمة العقوق والجحود .. وبذلك نرفع عن الرافعي واضرابه من مفكرينا ورواد نهضتنا ما لحقهم ، من ضيم ، وما منوا به من نسيان متعمد وتجاهل مقصود .. !

ولهذا السبب وجدتني مدفوعا — بدافع تلقائي — الى تناول ناحية من ادب الرافعي تتناول مواقفه المشرقة الخالدة في الدفاع عن مقدساتنا والاشادة بامجادنا ، وتقويم انحرافاتنا .. وانها لرحلة شاقة وطويلة ، أعترف مسبقا بأنني أعجز من ان اوفيها حقها ، من الدرس والتحليل ، لكن يغريني باقتحام غمراتها ما تحفل به من لذة ومتعة ، ستطلعنا على جانب من الادب الاسلامي الرائع خلال الثلث الاول من قرننا العشرين ، وستضع يدينا على مواطن القوة في ادب الرافعي المتجلية في فحولته ، وشدة شكيمته في الحق ، وصلابة مواقفه في الدفاع عن اهم قضايا العروبة والاسلام التي كانت مطروحة — يومذاك — للبحث والنقاش . !

وقبل الدخول في الموضوع لا بأس من اعطاء لمحة وجيزة عن حياة الرافعي ، تكون بمثابة المفتاح للتعرف على عدة جوانب مما يطفح به انتاجه من كل رائع وجميل .

وقبل الشروع في الترجمة أشير الى ان اعتمادي فيما سأتناوله من حياة اديبنا الكبير سوف يكون مقصورا على مرجع واحد ، هو : « حياة الرافعي » للاستاذ محمد سعيد العريان ، رحمه الله، اذ هو المصدر الوحيد الاصيل الذي ألم بحياة الرافعي ، وكشف النقاب عن العديد من جوانبها وخفاياها ، بحيث لم يترك لمن بعده ما يضفيه اليها سوى التعليق واستخلاص النتائج مما يكمن بين السطور من لمحات واشارات .. فعند هذا الحد يقف جهدي في ترجمة الرافعي ، لا اتجاوزه ولا اريم عنه ، ولذلك فلم ار داعيا للتنصيص على النصوص والصفحات التي سوف أنقلها ، أو أقتبس منها ، وما اكثر ما سأنقل وأقتبس ، من « حياة الرافعي » ..! اقدم هذه الكلمات بين يدي هذه الترجمة دفعا للظنة ، وازالة للريبة ، مع اقراري واعترافي بأيادي المرحوم سعيد العريان على دارسي ادب الرافعي ، فلولا ما بذله هذا التلميذ الوفي من جهد مخلص وعناء صادق في هذه « الحياة » لما استطعنا ان نعرف من اسرار صاحبها ، رحمه الله ، ما عرفنا ..!

لمحة عن حياة الرافعي :

من المعلوم أن بلاد الكنانة — مصر — كانت — والى عهد قريب — محط انظار مفكري العالم الاسلامي وقبلة احلامهم ، يهاجرون اليها من كل الانحاء ، وخاصة من بلاد الشام — سوريا ولبنان — كسبا للرزق ، أو طلبا للعلم ، أو فرارا بحريتهم من ظلم الولاة العثمانيين ، الذين أساءوا السيره في الرعية بظلمهم وتعسفهم ، بقدر ما أساءوا الى الخلافة الاسلامية نفسها ، التي كان ظلمهم وانحرافهم من اخطر العوامل في تقويضها والقضاء عليها واجتثاثها من جذورها .. والتمكين للعلمانيين من حفدة صهيون لمحاولة القضاء على معالم الشخصية الاسلامية بدار الخلافة .. !

ومن بين هذه الاسر النازحة الى بلاد الكنانة خلال القرن المنصرم اسرة الرافعي الشامية الاصل، التي كان أول قادم منها الى مصر الشيخ محمد الطاهر الرافعي ، الذي كانت وفادته على مصر سنة 1243 هجرية ، حيث تولى بها قضاء الاحناف ، ثم تعاقبت بعده هجرة الرافعيين الى مصر ، وما منهم

الا مفت أو قاض .. حتى لاوشكت وظيفة القضـاء والفتوى ـ فى فترة ما من تاريخ مصر ـ أن تكـون وقفا عليهم ، بحيث اجتمع منهم أربعون قاضيـا فى محاكم مصر المختلفة ، الشيء الذي اثار انتباه اللورد كرومر ، وجعله يثبته فى بعـض تقاريـره الرسمية .. وهذا وحده كاف للدلالة على المستوى الفكري الرفيع لهذه الاسرة الرافعية الجليلة ، وآخر من ولي منهم القضاء والد الرافعي ، الشيخ عبـد الرزاق ، الذي كان آية فى العصامية والنبـوغ ، ومثالا فى الجد والاستقامة ، ونموذجا فى رعايـة الابناء والسهر على تكوينهم وتنشئتهم .

ولد مصطفى صادق الرافعي فى شهر يناير من عام ثمانين وثمانمائة والف حسبما وجد بين أوراقه بخط يده ، ببلدة بهتيم من محافظة القليوبية ، من والده الشيخ عبد الرازق الرافعي الذي تقلـب فى وظائف القضاء بشتى انحاء القطر المصري ، الى ان انتهى به المطاف الى رئاسة المحكمـة الشرعيـة بطنطـا .

اما والدته فسورية الاصل ايضا ، كان والدها الشيخ الطوخي تاجرا يتنقل بتجارتـه بين مصـر والشام ، ففي منزل هذا الجد رأى الرافعي النور ، وفيه تفتحت عينه ـ اول ما تفتحت ـ على الحياة ، وعرفت والدته بحبها لولدها مصطفى وايثارها له ، كما عرف مصطفى بحبها والبرور بها ، والتفاني فى طاعتها ، حتى انه كان ينسب اليها الفضل فى كل ما آل اليه امره ، وقد توفيت بأسيوط ودفنت بها ، ثم نقلت ـ فيما بعد ـ الى مدافن الاسرة بطنطا .

وهكذا نجد ان الظروف قد هيأت الاسبـاب للرافعي لينشأ ـ من اول ايامه ـ تنشئـة علميـة دينية ، حيث فتح عينه على والده القاضي الشرعي الذي لا تأخذه فى الحق لومة لائم ، والذي ما كان ليسره شيء أكثر من سروره بتنشئة ابنائه على هدي السلف الصالح ، من سلوك مستقيـم ، وتمسـك بأصول الدين ، واعتصام بالمثل الاسلامية الاصيلة .
فى هذا البيت نشأ الرافعي ، وفى جو هـذه الاسرة المتدينة المحافظة شب وترعرع ، حيث تولت والدته تربيته وتهذيبه ، بينما تولى والده توجيهـه منذ الصغر ، فحفظه القرءان الكريم ، الى ان اتقنه، وهو فى سن العاشرة ، حفظا وتجويدا ، ولم يـزل يتعهده بالتثقيف الديني الى ان تأكد من أن الـروح الاسلامية والتعاليم الدينية قد تغلغلا فى قلبه وتمكنا منه ، فعندئذ اطمأن عليه فالحقه بالمدرسة الابتدائية بدمنهور ، وهو فى الثانية عشرة من العمر ، ثم انتقل منها بعد سنة الى المنصورة التي انتقل اليها والده، حيث أتم بمدرستها دراسته الابتدائية ، وهـو فى السابعة عشرة من العمر .

وبمجرد حصول الرافعي على شهادة الدروس الابتدائية ، وهي كل ما ناله من الشهادات فى حياته، اصيب بحمى عنيفة ، لم تفارقه حتى خلفت عقابيلها بصحته ، حيث تركت بصوته حبسة ، لازمته طوال حياته ، وباذنيه وقرا قطعه عن متابعة الدراسة ، كما قطعه عن دنيا الناس ، ولم يفد فيه علاج ، ولم يزل سمعه يضعف رويدا رويدا حتى انتهى به الى الصمم الكلي وهو فى الثلاثين من عمره .

وهكذا قنع الرافعي ـ مكرها ـ من التعليـم الرسمي المنظم بما حصله فى دراسته الابتدائية ، كما انقطع عن دنيا الناس ـ تقريبا ـ بسبب ما الـم بأذنيه من الوقر ، لكن ، كم من نقمة فى طيها نعمة .! فمن يدرينا ؟ فلو ان الرافعي تمكن من متابعة دراسته ولم يحل بينه وبين غشيان المجامع والمنتديـات ، لكان له شأن آخر غير هذا الشأن العظيم الذي جعل منه الكاتب الاسلامي الكبير ، واديب الامة الاسلامية من المحيط الى الخليج بدون منازع أو مكابر .. !

انصرف الرافعي الى بيته ، وعكف بين ركـام الكتب التي تضمها مكتبة والده الحافلة بشتى نوادر الكتب فى الدين والفقه والعربية ، عكـوف النهـم الصادي ، يشبع جوعته من المعرفة ، يروي ظمأه من سلسبيلها العذب الفرات ... ويتنقل بين كنوزهـا وذخائرها ، حتى استوعب كل مضامين تلك الكتب واحاط بمحتوياتها ، ثم راح يطلب المزيد .. !

وقد لازمت الرافعي هذه العادة ، عادة الهيام بالدراسة وحب المزيد من المعرفة ، حتى كانـت المطالعة هي ديدنه وشغله الشاغل ، حيث كان يجد فى الكتب السمار الاوفياء ، والرفاق الاسخيـاء ، والمحدثين الفصحاء ... الذين يجد فيهم العـوض عما افتقده من مخالطة الناس ، والتعرف على ابنائهم

واخبارهم ، ومعرفة طباعهم وعاداتهم .. حتى كان لا يرى الا وفي يده كتاب يقرأ فيه ، أو مجلة يطالعها ، او جريدة يتصفحها ، دون أن يستشعر احـدا من حوله .. ! وهذه طريقة ارتضاها الرافعي لنفسـه واتخذها دستورا له ، ولم يحد عنها قيد انملة طيلة حياته .. بل انه كان يوصي بالمداومة على القـراءة حتى الموت ، كما نجد ذلك في رسالة منه الى محمود ابو رية يقول فيها : « فعلى القارىء أن يقرأ ولا يزال يقرأ حتى يموت وهو يقرأ .. »

وقد لازمته هذه العادة حتى آخر ايام حياته ، فكان لا يرى الا وهو متأبط مجموعة مـن الكتـب والمجلات والجرائد ، بل حتى وقت ركوبه في القطار ما بين طلخا مقر عمله ، ـ يوم أن كان يعمل بها ـ ، وطنطا مقر سكناه ، وبالعكس ، كان يستغله في القراءة والمطالعة ، وبهذه الطريقة استطاع ان يدرس اشتاتا من المعرفة ، وبها استظهر كتاب « نهج البلاغـة » للامام علي كرم الله وجهه ، وهو لما يبلغ العشرين من العمـر .. !

وهكذا اتخذ الرافعي من مكتبة ابيه العامـرة مدرسة خاصة ، اساتذتها ورواتها هـم الكتـب ، واستطاع بدأبه ومواظبته ان ينال الشيء الكثيـر ، وان يتثقف هذه الثقافة العالية التي بذ بها الكثير من انداده ، وتفوق بها على العديد من معاصريـه ، ولا نستغرب هذا متى علمنا انه كان ـ وطيلة حياته ـ يقضي في المطالعة ثماني ساعات متوالية من كـل يوم ، حتى صار خزانة علم متنقلة ، ما شئت من أثر او شاهد الا وجدته على طرف لسانه ، يستظهره عن ظهر غيب ، كأنما انصرف لساعته من مطالعته .. ! وحتى امسى حجة ومرجعا في القضايـا الادبيـة الشائكة ، بل انه كان يقف من أعلام العربية وأيمتهـا موقف الند للند ، بل موقف الاستاذ من التلميذ ، ينتقد ويوجه ويبدي من دقيق الملاحظات ما يشهد له بالتبريز والاستاذية ... حسبما شهد له بذلـك جماعة من اولي الراي من خلطائه واصدقائه ، فهذا تلميذه وكاتب وحيه ، ومترجم حياته المرحوم محمد سعيد العريان ، يقول عنه : « اجتمعت للرافعي كل اسباب المعرفة والاطلاع ، وكانت علته خيرا عليـه وبركة ، وعرف العلم سبيله من نافذة واحدة مـن نوافذ العقل الى راس هذا الفتى النحيل ، الضاوي الجسد ، الذي هيأته القدرة بأسبابهـا ، والعجـز بوسائله ، ليكون اديبا من أدباء العربية في غد .. ! »

وهذا صديقه وصفيه الاديب الكبير ، المرحوم احمد حسن الزيات يقول عنه في مقاليه التحليليين الذين خصه بهما في ذكراه السنوية الاولى : « كان الرافعي ـ رحمه الله ـ حجة في علـوم اللسان ، ثقة في فنون الادب ، عليما بأسرار اللغة ، بصيـرا بمواقع اللفظ ، خبيرا بمواضع النقد ، محيطا بمذاهب الكلام ، وقلما تتهيأ هذه الصفات لغير المطبوعين من الادباء الذين تعاطوا مهنة التعليم ، فاستنزفوا أيامهم في درس القواعد وحفـظ الشواهـد ، وفقـة النصوص ، بحكم الصنعة ، فكنت اذا ذاكرتـه في شيء من دقائق النحو وخواص التركيب وفـروق اللغة ، وجدته على ظهر لسانه كأنما انصرف مـن مراجعته لوقته ، ودراسة الكاتب او الشاعر للغتـه وفنه هي في رأيه وراي الحق شرط لنبوغه ، فـلا يكون النبوغ والاستاذية بدونه ، ولا تجزي الطبيعة ولا المحاكاة عنـه .. ! »

وننتقل الى صديقه وتلميذه محمود ابو ريـة لنستمع اليه وهو يحدثنا عن تكوين أستاذه الرافعي بقوله : « لقد نشأ فقيدنا الجليل على حـب الادب العربي ، فأقبل على درسه ، لا كما يدرسه أهل الادب منا ، وانما درسه درس استيعـاب وتحقيـق ، فاستقصى فنونه ، وحفظ غرر نظمه وملحه ، ووقف على اساليب أدباء العربية كلهم ، من شعراء وكتاب ، واحاط بطرائقهم ومناحيهم ، حتى أصبـح صدره خزانة أدب وبلاغة ، وصار لا يدانيه احد في معرفـة اسرار اللغة ورواياتها ، ومن ثم أمكنته اللغـة مـن ناصيتها ، والقت اليه مقاليدها يتصرف كما يشـاء فيهـا ... »

« وقد ظل الرافعي على الداب في القـراءة والاطلاع الى آخر يوم من حياته ، فكـان ـ كمـا اسلفنا ـ يقرأ كل يوم ثماني ساعات متواصلـة ، لا يمل ، ولا ينشد الراحة لجسده واعصابه ، كأنه من التعليم في أوله ، لا يرى انه وصل منه الى غاية ..! »

ولهذا فقد كانت ثقافة الرافعي سلفيـة ـ ان صح الوصف ـ لم تخرج عن دائرة التراث ، ولـم

تتلقح بلغة اجنبية من شانها ان تفتح امامه نوافذ واسعة ، على عوالم واسعة ..! فكل حظه من اللغات الاجنبية مبادىء اولية فى اللغة الفرنسية لم تجد عليه معرفته بها الا قليلا او اقل من القليل . على انه كان يتحسر فى اخريات ايامه ويأسف على هجر اللغة الفرنسية ، ويمني نفسه بالعودة اليها فى اوقات الفراغ ... وهيهات ان يجد مثل الرافعي فراغا من وقته .. ! »

وفى سنة 1899 عين الرافعي كاتبا بمحكمة طلخا الشرعية بمرتب اربعة جنيهات فى الشهر ، وقد ساعده فى الحصول على هذه الوظيفة ـ يومذاك ـ ما كان لاسرته من سابقة فى الفتوى والقضاء ، وما كان يتمتع به والده ـ خاصة ـ لدى الدوائر العليا من جاه ونفوذ .. ! وعرف الرافعي هذه الدالة من اول يوم ولج فيه باب الوظيفة ، ولذلك فقد دخلها مدللا ، واستمر فى دلاله الى آخر يوم من حياته ، اذ كان يرى من اول يوم ان هذه الوظيفة دون مستواه ، واصغر من طموحه ... وانها ليست سوى ضريبة له على الحكومة تؤديها اليه عمل او لم يعمل ، لمكانة اسرته من النفوذ ، ولمكانته هو ايضا .. ! ورغم نظرته الواقعية هذه الى وظيفته الصغيرة ، التي اتخذ منها مجرد وسيلة تعينه على العيش ليتفرغ لنفسه وبعدها لما تهيأت له من جلائل الاعمال ، فما ثبت عنه انه انقطع يوما واحدا عن المطالعة والدرس ، وما اكثر ما كان ينقطع عن وظيفته .. ! لكن لم يثبت عنه يوما ما انه اخل بواجب من واجباته الادارية ، أو اهمل عمله الذي من اجله يتقاضى راتبه ..

قضى الرافعي بمحكمة طلخا مدة ما ، نقل اثرها الى محكمة ايتاى البارود ، ومنها الى طنطا حيث انتقل ـ بعد سنتين ـ الى المحكمة الاهلية ، لانه وجد العمل بالمحاكم الاهلية ايسر جهدا واكثر اجرا ، والمجال فيها أوسع وارحب من المحاكم الشرعية . وبهذه المحكمة ظل الى يومه الاخير .

وطاب المقام للرافعي بطنطا ، لانها بلدته ، وبها عمله ، وكثيرا ما حاولت الوزارة نقله منها ، فكان يبذل الجهود والوساطات لالغاء هذا النقل ، احترازا مما يتوقع أن يسببه له من عراقيل وصعوبات لا قبل له ولا لابنائه بها ، كما افصح عن هذه الرغبة فى غير ما رسالة من رسائله لصديقه ابو رية .

قلنا ان الرافعي كان يرى وظيفته مجرد ضريبة له على الحكومة ، وانها دون مستواه ، ومستوى النابهين من امثاله ... ولذلك فقد كان من اول امره يتمرد على النظم الادارية ، فيذهب الى عمله متى شاء ، ويغادره متى شاء ، لكن دون الاخلال بواجباته الادارية التي كان يرى انها الرابطة الوحيدة بينه وبين المحكمة ، وهكذا كان يذهب الى المحكمة فى اي وقت لانجاز ما ينتظره من اعمال ، ثم يغادرها لقضاء مآربه وشؤونه الخاصة ، ثم يعود للنظر فيما اجتمع عليه من اعمال ، وقد لا يعود .. !

وزاد من دلال الرافعي وتمرده على النظم الادارية الضيقة ، ولا مبالاته بقيود العمل ، اعتداده بنفسه ، وتمرسه بالقضايا التي تعرض على المحكمة بمختلف انواعها واشكالها ، حتى لامسى مرجعا لزملائه فى القضايا الشائكة المستعصية ، لا داخل المحكمة ، بل من لدن المحاكم المصرية الاهلية باجمعها ، بل حتى من لدن وزارة العدل نفسها ...! وهذا من شانه ان يثير حفيظته ويزيده تمردا ودلالا .. فيرى وظيفته مجرد وسيلة لكسب لقمة العيش ليس الا ، وانه ما خلق الا للبحث والكتابة ، واضافة فصول جديدة الى موسوعتنا لادبية الحافلة بالامجاد والمكرمات ... وقد عرف له زملاؤه مكانته ، وقدروه قدره فاحترموه ، واحلوه المكانة اللائقة به ، وعرف لهم هو هذا التقدير ، ففتح لهم مكتبه ليرجعوا اليه فى كل ما اشكل عليهم من القضايا ، او استبهم عليهم من النصوص ، بل انه كثيرا ما كان يتحمل عنهم ما ارتكبوه من اخطاء ، لا علاقة لها بتخصصه على ايجاد المخرج لكل ما استعصى واستغلق من القضايا والمشاكل المطروحة على المحكمة ...

لكن كثيرا ما كان دلاله وتمرده يغضب بعض زملائه فى المحكمة ، فينفسون عليه وياكلون لحمه فى غيبته ، وكان يبلغه ما يتحدثون به فلا يلقي اليه بالا ، ثم لا يمنعه ذلك ، من بعد أن ياخذ بايديهم عند الازمات ، وكان كتاب المحامين وارباب المصالح فى المحكمة يسمونه بذلك عمدة المحكمة ..

الحاجب : عبد الرحمن الزباني

الكشف عن
الثقافة المغربية
في عهر بني مرين

للأستاذ الحسن الشاهدي

كل من بحث في الفترة التي حكمها المرينيون بالمغرب ينتهي به بحثه الى أن هذا العهد كان عصرا مزدهرا في كل المجالات ، ومن اهمها الفكر والثقافة، فلقد تأصلت فيه الثقافة المغربية وتميزت شخصيتها عن غيرها ، واعطت نفسا جديدا للثقافة العربية عامة بعد ان بدات تتلاشى وتندثر في الشرق العربي نتيجة ما تعرضت له هناك من غزو أستعماري استهدف طمس الحضارة والكيان العربي الاسلامي ، فضعفت هناك لغة التعبير عن هذه الحضارة و الثقافة ووسم العصر ابتداء من القرن السابع الهجري في الشرق بأنه فترة انحطاط وتأخر ، الا أننا على النقيض من ذلك نجد المغرب في نفس الفترة ، وتحت حكم المرينيين ، تسود فيه اللغة العربية ، كأداة تعبير وتعليم وابداع ، دون منافسة لهجة او لغة اخرى ، نتيجة تشجيع المسؤولين لهذه اللغة واحلالها المكانة اللائقة بها ، تشجيعا دفع البعض الى التاكيد على صحة انتسابهم الى الارومة العربية : ولا يختلف أحد في أن العربية انتشرت فعلا في كل المناطق والمجالات الى درجة أن الازجال لهذا العهد كادت ان تكون فصيحة ، وشوارد اللغة العربية صارت موضوعا للمناظرات والمناقشات والتآليف.

ففي هذا الجو العربي ازدهرت الثقافة واشتد الاقبال على الدرس والتحصيل وبدأ التنافس في التعليم والرحلة لطلبه ، فكثر العلماء والمثقفون ، وانتشرت المدارس هنا وهناك ، وصارت بعض المناطق متميزة كمراكز للعلم والاشعاع الثقافي في مقدمتها مدينة فاس التي كانت تعج بالعلماء والمدارس والتي وصلت فيها كراسي التدريس الى ما يزيد على اربعين ومائة كرسي في كل من جامعة القرويين وفروعها في المساجد والمدارس داخل المدينة حيث كانت كلها « تؤدي رسالتها في التثقيف والتعليم ومحاربة الامية ... بين الشيوخ والكهول والشباب من التجار والصناع والسيدات في بعض الاحيان » (1) .

وتبدو سبتة ايضا مركزا علميا (2) مرموقا لا يقل عن فاس في نشر العلم والمعرفة ، فأسرة العزفيين التي كانت تاخذ بزمام الامر فيها ، هي ، في نفس الوقت ، أسرة تهتم بالعلم ورجاله ، بل كانت لبعض أعضائها اسهامات في المدرسة والمناقشة والمناظرة والتاليف .

ونجد في نفس هذا المستوى مراكش أيضا ، فمجالسها العلمية كانت غاصة بالمستفيدين كما يصف

---

(1) جامع القرويين ج 2 ص 402 .
(2) يذكر صاحب كتاب بلغة الامنية بأن المدينة كانت تحتضن سبعة اطباء من بينهم امرأة .

ابن مرزوق فى مسنده . وسجلماسة استمرت فى عطائها السخي حتى اصبحت معه كعبة رواد المعرفة.

وليس من المبالغة فى شيء اذا قلنا بأن كل مدن المغرب ومناطقه كانت مراكز يؤمها الطلاب والمتعطشون للمعرفة حيث يجدون بغيتهم فى حلقات المساجد والمدارس التي انتشرت فى كل من مراكش ومكناس وسلا وتازة بالاضافة الى فاس .

فما هي عوامل هذا الازدهار ؟

1 ـ لعل اولها حالة الاستقرار السياسي الذي ساد المغرب فترة مهمة من حكم المرينيين بعد التغلب على الخصوم فى الداخل والخارج حيث هدات الاحوال وعم الامن والرخاء فاتجه المسؤولون الى البناء وتشييد المدارس التي كانت بمثابة احياء جامعية منتشرة حول القرويين ، يستقر فيها الطلاب الغرباء مما يوفر الطمانينة والهدوء فى نفوسهم ينكب الجميع معهما على الدرس والتحصيل .

2 ـ وثاني العوامل تشجيع الملوك للعلماء والمثقفين باغداق الاموال عليهم وتقريبهم من مجالسهم واستشارتهم فى كل القضايا ، ومجالستهم لهم فى الحل والترحال ، فهذا ابو الحسن المريني يشد الرحال الى تونس وفى صحبته حوالي اربعمائة عالم كما يجمع على ذلك اكثر المؤرخين ، ويصف ابن مرزوق مجالسه العلمية ، فى سفره فلا تشك فى انها من الجامعات المتنقلة ، تطرح فيها الافكار وتناقش على مستوى عال . وهذا ابنه ابو عنان كان مجلسه غاصا بالعلماء يناقشهم فى الكثير مما يعرض لهم من الافكار لانه كان كما يصفه صاحب روضة النسرين : « حسن الثقافة فقيها يناظر العلماء الجلسة فيصيب ويخطئهم ، ومعرفته بالفقه تامة ، وكان عارفا بالمنطق واصول الدين ، وله حظ صالح من العربية والحساب ، وكان حافظا للقرءان عارفا بناسخه ومنسوخه ، كثير التمثل بآية ، حافظا للحديث ، عارفا برجالي فصيح القلم ، كاتبا مرسلا بليغا بارع الخط حسن التوقيع (3) » ، لذلك لا نستغرب بعض الحكايات التي تروي عن تقديره للجيد من الكتب والمخترعات العلمية ، فلقد جاء فى المسند انه كافأ على كتاب ابن ابي زكرياء العزفي فى ذم الخمر بوزنه من الدراهم كما فعل حينما اهدى اليه اسطرلاب فلكي.

والحقيقة ان الملوك المرينيين عرفوا بمشاركتهم فى كثير من الفنون ، ومساهمتهم فى علوم مختلفة يرتقون فيها الى مستوى المناقشة والمناظرة والحكم على الانتاج ، والتمتع بالذوق الفني الرفيع ؛ فوفروا الجو العلمي الخصب ، واذكوا روح المنافسة بين المثقفين ودفعوا الى المزيد من البحث واعمال النظر.

3 ـ ومن العوامل ايضا احداث الخزائن العامة لأول مرة فى المغرب ابتداء من هذه الفترة ، اذ لم تبق الخزائن محصورة فى القصور وعند بعض الاسر العلمية ، ولكنها اصبحت عامة بالمعنى المتداول فى ايامنا هذه ، يستفيد منها كل من رغب فى المعرفة، فهي معروضة في أماكن يسهل الوصول اليها والاطلاع على ما فيها ، كالمساجد والمدارس ، وكان الملوك المرينيون حريصين على تزويد هذه المكتبات بأنفس الكتب وجعلها موقوفة عليها ، قدموا بسخاء من أجل استقدام الكتب والحصول على الذخائر فلقد جعل جلب الكتب شرطا فى معاهدات الصلح مع الاسبانيين عقب كل الحروب التي انتصر فيها المرينيون .

4 ـ وهناك جملة عوامل اخرى ساعدت على هذه النهضة الثقافة ، ياتي فى مقدمتها دور اسرة العزفي في سبتة وما اعطته من مثل فى التاليف والمشاركة والتشجيع مما اغنى الثقافة فى سبتة وتطوان من شمال المغرب .

ثم هناك جماعات العلماء التي وفدت على الحضرة المرينية بعد ان كانت قد اكتملت ثقافتها مما اتاح الاخذ والعطاء وخلق روح المنافسة فى وسط العلماء المغاربة نتعرف على اصداء هذا النشاط الثقافي حين نقرا كتب ابن خلدون ، وابن الخطيب ، وابن مرزوق ، وابن رضوان ... وغيرهم من العلماء الوافدين من الحجاز والشام ...

ومن العوامل المساعدة ايضا تلك الرحلات التي كثرت فى هذا العصر سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي ، مثل تلك الرحلات التي كان

---

(3) روضة النسرين ص 27 ـ 28 .

يقوم بها الملوك المرينيون فى مقدمتها رحلة ابي الحسن المريني الى تونس بعد أن تم له الاستيلاء على كل اقطار المغرب العربي ، هذه الرحلة التي لم تكن لتفقد احوال البلاد فقط بل هي الى هذا رحلة لها الطابع العلمي بما صاحب كل مراحلها من مناقشات ومجالس علمية وبما ضمه موكب السلطان من علماء وفقهاء . كما يذكر كل من ابن خلدون وابن مرزوق . وتبدو ايضا رحلة ابي عنان من خلال كتاب « فيض العباب » (4) بانها رحلة علمية لا تقل قيمة عن سابقتها .

ونجد اخيرا تلك الرحلات الكثيرة التي قامت بها بعض الشخصيات المثقفة الى الشرق العربي او الى اهم مناطق العالم فى مقدمتهم ابن رشيد السبتي والعبدري وابن بطوطة .

ولا يخفى ما عادت به هذه الرحلات من فائدة خصوصا اذا عرفنا بأن اصحابها لم يكتفوا بالتسجيل والوصف ولكنهم نقلوا ايضا آراء وأفكار العلماء الذي التقوا بهم ، وسجلوا اشعار ونصوص من ساجلوهم وتطارحوا معهم الشعر والادب . فكانت رحلاتهم سجلا نادرا لكثير من هذه الآثار العلمية والادبية وحافزا للمغاربة على المزيد من الاطلاع والبحث .

مميزات الثقافة المرينية :

ان اهم ما يطبع الثقافة المرينية ، هو تنوعها ، وتعدد التيارات التي ازدحمت بها ساحتها الفكرية . ويمكن رصد هذه الاتجاهات والخصائص فيما يلي :

1 ـ الثقافة الدينية ، ذلك أن اول ما يلاحظ الدارس لهذه الفترة هو العودة رسميا الى المذهب الاشعري فى المعتقدات والمالكي فى الفقهيات بعد ان تعرضا الى محن فى عهد الموحدين ، وسواء أكان احياء الفروع الفقهية نتيجة اقتناع وتوافق بين المذهب وعقليتهم ومزاجهم فى التأكيد على حرفية النقل والرواية والالتزام بالكتاب والسنة والجماعة واهل الحديث وتجنب المبالغة فى التاويلات والقياس والفلسفة ؟ او لمجرد تغيير نهج سلفهم والتنكيل بهم ؟ . الا انه فى كل الاحوال عرف المذهب على عهدهم تطورا ومرونة وقابلية للتاويل واستجابة للتاويل واستجابة للظروف الجديدة ذلك لان المذهب المالكي « قد اتيح له بالاحتكاك المذهبي فى عهد الموحدين أن يخرج عن تزمته والتزامه المثالي الجامد وان يطرح نفسه وقضاياه من خلال مقاييس جديدة تحاول التوفيق بين النظرية الشرعية او الحكم الشرعي من جهة وبين الواقع وتطوره من جهة ثانية فى محاولة سلوك منهج جديد يعتمد التصرف ان لم نقل الاجتهاد ويسعى الى التوفيق بين المصلحتين الشرعية والاجتماعية » (5) .

ومن مظاهر هيمنة الثقافة الدينية الروحية ازدهار التصوف وانتشار الزهد فى الحياة وترويض النفس على هجران الماديات والاقتراب من الروحيات، فكثرت الزوايا وتعدد مريدوها الذين كانوا موضع تقدير واحترام من طرف الملوك المرينيين فهذا ابو عنان يطلب النصيحة والتبرك من المتصوف أحمد ابن عاشر بعد أن رفض استقباله .

والشيء الذي تجب ملاحظته هو أن التصوف لم يبق سلوكا عمليا بسيطا بل اصبح مثار الاخذ والرد وشغل حيزا مهما من الفكر والثقافة المرينية. فابن عباد الرندي خطيب القرويين يهتم فى اكثر رسائله بالتحدث عن الصوفية وشرح الدرجات التي يسلكها المريد وما يجب أن يتحلى به ، وحالات التجلي والاشراق ولكن بأسلوب يبسط التصوف للمريد حتى قيل عنه : مثل ابن عباد فى تقريب الشاذلية كابن رشد فى تقريب المالكية .

بل تعدى الامر الى المناقشة والافتاء . فلقد اختلف علماء الاندلس آنذاك فى شأن التصوف هل يصح سلوكه تعلما من الكتب ؟ أم لا بد من شيخ يبين طريقة اجوبتهم تتمثل فى كتاب ابن خلدون « شفاء السائل » وفى فتوى ابى العباس القباب ، وفتوى ابن عباد المذكور .

كل هذا ساعد على توضيح التصوف وما يتعلق به ، فكثر اتباعه ، واهتم العديد من الكتاب بالتاليف فيه مثل « انيس الفقير » لابن قنفذ القمطيني .

---

(4) لابن الحاج ابراهيم النميري ، والكتاب مخطوط بالخزانة الملكية .

(5) أبو الربيع سليمان الموحدي ، ص 48 .

ومن الجدير بالملاحظة هو ان آثار التصــوف انعكست ايضا على الثقافة عامة فى العلم والادب ، فاستعملت مصطلحات التصوف عند الاديب والمفكر والمؤرخ ، وكثرت الامداح النبويــة والابتهــالات والمولوديـــــات ...

ويدخل ضمن الثقافة الدينية مناقشة اصحاب الديانات الاخرى ومجادلتهم باسلوب مقنع وهادىء حيث بدأ الفكر فى هذه الفترة قادرا على الصمــود امام المناقشات للخصوم ومعتنقي الديانات الاخرى مستغلا جميع الحجج العقلية والنقلية : ويمثل هذا النوع من الكتابات (6) رسالة « السيـف الممدود فى الرد على احبار اليهود » لعبد الحق الاسلامي التي رد بها على اقاويل وتضليل اليهود . ثم « رسالــة السائل والمجيب وروضة نزهة الاديب » التي جادل بها مؤلفها مسيحي تشتالة فى مسائل من صميم الدين المسيحي كما تبرز هيمنة الثقافة الدينية فى مواقف المثقفين من البدع ومقاومتهم لها عاملين على التوجيه الى ما يوافق السنة والدين ، ولذلك وقفوا ضد الانحراف الحكومي فصدرت عنهم معارضــات

مكتوبة لكثير من تصرفات السلطة الحاكمة ، باسلوب يتأرجح بين اللين حينا والشدة احيانا ولقـد شارك فى هذه المعارضة كثير من العلماء من بينهم ابــن عباد الرندي الذي انتقد سلوك العمال الذين اثروا بطرق غير مشروعة ، والامام العبدوسي الذي افتى بعدم جواز وقف السلطان وتبرعه وهبته وصدقته..

والحقيقة ان كل الفقهاء والعلماء تصدوا لمحاربة البدع والخروج عن الجادة فشنوا حملــة لازالــة المنكر والوقوف فى وجه التسلط ، واشتغل بذلك العالم فى درسه والامام فى خطبته بل ان الامر تعدى ذلك الى تاليف الكتب المستقلة فى محاربة البـدع المستحدثة ومعالجة كثير من مشاكل المجتمع على مستوى السلوك والاخلاق والعمل (7) .

2 ـ اصلاح التعليم : فلقد انتشرت الافكار المنادية بتطوير التعليم ونبذ المناهج العقلية والطرق التي كانت متبعة فى التدريس ، مع مناقشة الكتاب المدرسي المناسب فانتقدت الطريقة التي تعتمد على المختصرات ، وتعتبر الحفظ اساســـ العمليــة التعليمية ، وتتبع الطريقة الالقائية ، مما لا يفســح المجال أمام المتعلمين للمناقشة وطرح الآراء وتبادل وجهات النظر فيبقى دور المتعلم دائما سلبيا ، ومن هنا فالكلمة الفصل للمعلم والاستاذ لذلك قد يلتجىء احيانا الى استعمال القسوة فى التاديب والاجحاف فى التلقين والتعليم دون مراعاة عقل التلميذ وقوة ادراكه للامور المطروحة عليه ، من أجل هذا اهتـم المربون فى العصر المريني بتوجيه المعلم الى الطرق التربوية الصحيحة بأن تكون عملية التعليم تدريجية يراعي فيها عقل التلميذ ونموه ومستواه ، كما وقع الالحاح على تحسين ظروف الطلبة والاساتذة معا لما صار عليه التعليم آنذاك كما وكيفا نتيجة التشجيع وبناء المدارس وتعدد مراكز الثقافة كما سبق .

ولقد اسهم فى هذه المناقشات والآراء علمـاء كثيرون منهم محمد بن ابراهيم العبدري التلمساني الابلي ، وتلميذه قاضي الجماعة بفاس محمد المقري، والفقيه احمد بن قاسم القباب ، فناقش كل منهـم جوانب تتعلق بعملية التدريس كالكتاب المقــرر ، وانتشار المختصرات ، والرحلة فى طلب العلم (8) ..

ويتوج ابن خلدون هذه المناقشات بآرائه التي ضمنها فصولا من بابه السادس فى المقدمة المشهورة عالج فيها قضايا تعليمية باسلوب تربوي جديد ، لا يهمل فيه رأيه وسط المتعلم ونفسيتــه وعقلــه وامكاناته فكانت نظرته شاملة ، اقرب الى النظريات التربوية الحديثة التي تعتمد على علوم مساعدة اخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع ... فلقد انتقد كثــرة الاختصارات والطريقة الالقائية والاهتمام بالحفظ ، واستعمال القسوة فى التعليم والتربية ... مقارنا

---

(6) التيارات الفكرية فى العهد المريني للاستاذ المنونـــي ، ص 9 ـ 14 .
(7) يرجع الى هذه التآليف والمناقشات فى كتاب الاستاذ المنوني « التيارات الفكرية فى المغرب المرينـــي » ص 17 ـ 21
(8) يرجع الى هذه الآراء مفصلة فى « التيارات الفكرية » ص 2 ـ 9 .

فى ذلك بين التدريس فى كل من الغرب والاندلس والمشرق العربي مما ينم عن سعـة افـق وادراك لحقيقة الظروف التي يعيشها المعلم والمتعلم معا . ونتيجة لكل هذا تطور التعليم ونشطت العلوم النظرية والتجريبية على السواء من فلسفة ومنطق وطـب ورياضيات وهندسة وفلك ، واستطاع كثير من العلماء الجمع بين هذه الاختصاصات كلها ، ولعل النموذج الامثل هو ابن البناء المراكشي الذي ترك اكثر من ثمانين كتابا موزعة بين علوم عديدة تجريبية وغيرها، بل اننا نجد من علماء هذا العصر ، من كان يحسـن اكثر من لغة « فلم يخل العصر المريني من بعـض افراد يعرفون اللغة الاسبانية ويستخدمونها فى نطاق الترجمة الرسمية لدى بعض ملوك بني مرين » (9) .

ولعل تطوير التعليم يرجع ايضا الى الملـوك المرينيين انفسهم بما احاطوا به الاستاذ من رعايـة وتشجيع ، وبما كانوا يتمتعون به من حسن تقـدي ومستوى علمي رفيع ، وما قصة ابي عنان مع الفقيه الصرصري (10) الا جانب من اهتمامهـم بتطويـر التعليم واذكاء روح المنافسة العلمية بين الاساتذة وتعريض الاستاذ لمواقف اختبارية تكون حافزا له على الاستزادة من البحث والطلب .

الخصوبة الفكرية : فمما يلاحظ كثرة التاليف فى كل المواد والفنون سواء كانت علوما نظريـة او تجريبيـة (8) .

ففى الفقه والعلوم الدينية تعـددت الكتـب والمؤلفات والرسائل والشـروح والحواشـي فى الحديث والتفسير والفروع الفقهية ، انتخب منهـا الاستاذ عبد الله كنون لائحة مطولة فى كتابه النبوغ المغربـي (11) .

وفى اللغويات عرف العصر ازدهارا كبيرا فى هذا الجانب ويكفي ان تكون الكتب اللغوية التي ظل المغاربة يتدارسـونها ككتب مقررة الى عهد قريـب ترجع الى العهد المريني مثل الاجرومية والمكودي وامثالهما مما لا ينكر فضله فى الحفاظ على الاستعمال السليم للعربية فى المغرب . كما حفل العصر ايضا بالشـروح والمؤلفات البلاغية والنقدية مثل شروح كتاب سيبويه وشروح الالفيـة ... الا ان اهـم المؤلفات التي تميزت بالجدية فى التناول والمنهاج واستقلال مصادر غير عربية فى النقد والبلاغة هـي « الروض المريع » لابن البناء المراكشي ، وكتاب « المنزع البديع » للسجلماسي ، وشـرح مقصورة حازم للسبتي ، « وانوار التجلى » للثعالبي (12) . مع استفادة الاولين من الثقافة اليونانية فى البلاغة والنقد وتاثرهما بها من خلال استعمالهما للمصطلحات والمفاهيم الفلسفية فى التحليـل ، بينما حافـظ الآخران على الروح البلاغية العربية الصرفة بعيدين عن التاثير اليوناني .

ويجدر التذكير ايضا بالمناقشات والمناظرات اللغوية التي تنم عن سعة المعرفة وقوة الحجة مثل تلك المناظرة التي جرت بسبتة بين ابن المرحل وابن ابي الربيع النحوي حول عبادة « كان مـا » (13) ومدى صحة استعمالها بهذا الشكل فى اللغة العربية.

اما فى العلوم الانسانية فان الدارس يصادف تاليف جديدة كل الجدة تناولت التاريـخ وعلـم الاجتماع والسياسة والموسيقى ايضا .. وابرز من مثل هذا الجانب العلامة ابن خلـدون فى كتابـه « المقدمة » اذ ناقش قضايا اجتماعية وسياسيـة بطريقة لم يسبق اليها ، وفى نفس هذا الاتجاه سار

معاصره ابن رضوان فى كتابه « الشهب اللامعة فى السياسة النافعة » (14) كما فعـل ابن الازرق فى

---

(9) الاستاذ المنوني : صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلدان : 11 — 12 ص 329 ومـا بعدهـا .

(10) يرجع الى القصة فى ازهار الرياض ج 3 ص 27 — 28 .

(11) ج 1 ص 215 — 128 .

(12) المنزع البديع . مقدمة المحقق يقارن فيها بين هذه الكتب الاربعة .

(13) يوجد نص المناظرة لابن المرحل فى النبـوغ المغربي ج 2 ص 55 — 71 .

(14) كتاب ضخم ما زال مخطوطا توجد نسخة منه فى خزانة الجامع الكبير بمكناس .

كتابه « بدائع السلك فى طبائع الملك » (15) ولقد ابدعا ، بحق ، واتيا بجديد فى السياسة ، وواجب كل من الملك والرعية الا انهما لم يخلقا خارج أجواء ابن خلـــــدون .

وفى الموسيقى يوجد كتاب فريد من نوعـــه منسوب لابن الدراج بعنوان « الامتاع والانتفاع فى مسألة سماع السماع » (16) عالج موضوعا جديدا والحافز الذي دفع الى التاليف كان فقهيا ، استفتى فيه المؤلف عن اجرة الغناء وحكمها شرعا ، وعوض ان يكون التاليف فتوى مقصورة على الحكم الشرعي توسع فى تاريخ الموسيقى ، واهتم بالشرح اللغوي والفني للآلات المستعملة فى الموسيقى ، فلا يتحدث عن الجانب الشرعي الا فى الباب الثالث من الكتاب وهذا ما جعله موسيقيا فنيا اكثر من فقهيا .

4 ـ الازدهار الادبي : لا شك فى ان الفترة المرينية عرفت ازدهار الادب نثره وشعره من حيث الكـم والكيـــف .

ففي النثر نجد ان الكتابة غزت كل الميادين فاصبحت اداة طيعة للكتاب يعتبرون بها عن كل مـا يعن لهم من قضايا الحياة ومشاكلها وصنوف اغراضها ويصورون بها ما يجول فى خاطرهـم ويتجاذب عواطفهم، فلم يعد النثر مقصورا على فروعه التقليدية البسيطة كالرسالة والخطبة والوصية ، بل اتسعت دائرته لتشمل فنونا اخرى اوسع واخصب كادب الرحلة والمقامة والتهنئة والتعزية والوصف والمناظرة والفتوى وغيرها ... ورغم كثرة هذه الآثار النثرية المعروفة من خطب ورسائل ورحلات ، فان الكثير من النصوص النثرية تعتبر ضائعة او ما زالت غيـر معروفة ، ذلك لان هذا العصر عرف الكثيـر من الكتاب والادباء ، منهم من سما الى الكتابة الديوانية، ومنهم من عرف باجادته فى الاخوانيات ، واكثرهـم عايش الاحداث ، وانفعل بكثير من القضايا ، فـلا يعقل ان يمر ذلك دون أن يسجل هذا الكاتـب او براسل أو يصف مع امتلاكه لاداة التعبير وقدرته على الكتابة مما يعلل عدم توفرنا على انتاج العديد مـن الكتاب الذين يكتفي بذكرهم مع الاسف على فقدان آثارهم ، بل أكثرية الرسائل التي تسجل الاحـداث الهامة لا نجد الا صداها عند ابن الخطيب فى رسائله التي تبادلها مع المغاربة على اختلاف مستوياتهم ، فاذا كان ابن الخطيب قد حرص على تدوين آثاره فى كتبه الكثيرة التي بلغت ثمانين كتابا فأين آثار المغاربة ورسائلهم التي لا نشك فى كثرتها أيضا ؟ ومع ذلك فربما كان الكثير منها مجهولا فى المخطوطات ينتظر من يكشف عنه ليرى النور ويتم له الذيوع وحينئذ يزاح الستار عن كثير من الزوايـــا الغامضـــة فى التاريخ السياسي والادبي معـــا .

ومن خلال هذه الآثار النثرية القليلة يلاحـظ عدم المبالغة فى التكلف والصنعة البديعية ، كمـا يلاحظ حرص الكاتب على تادية المعنى دون اغراب فى الاشارات التاريخية واللغوية على خلاف ما كان عليه المشارقة والاندلسيون آنـذاك من الاهتمـام الزائد بالشكل والتسابق نحو الزخرفة والبديع مما حدا بابن خلدون الى انتقاد الاسراف فى المحسنات البديعية ملتزما فى كتابته الاسلوب المرسل يقـول حين جعله أبو سالم كاتب سره « وكـــان أكثرهـــا (الرسائل) يصدر عني بالكلام المرسل ، أن يشاركني احد ممن ينتحل الكتابة فى الاسجاع لضعف انتحالها وخفاء العالي منها على اكثر الناس بخلاف المرسـل فانفردت به يومئذ وكان مستغربا عندهم بين أهـل الصناعـــة » (17) .

والحقيقة انه لم ينفرد وحده فى عصره بهـذا الاسلوب ، فكثير من المراسلات والآثار النثريـة الاخرى لا تلتزم المحسنات البديعية الا بما لا يجافى الطبع ولا يذهب بالمعنى ، فلم يعتن باللفـظ على حساب المعنى كما نلاحظ فى المراسلتين المتبادلتين بين ابي عنان والمتصوف الزاهد احمد بن عاشر ، فاسلوبهما مس السجع مسا خفيفا ولكنه ابقى على المحتوى وادى الفكرة دون تعقيـد او اخـلال . وينسحب هذا الحكم ايضا على الرحـلات عامـة فاسلوبها مرسل بعيد عن التكلف باستثناء مقدماتها

(15) طبع اخيرا بالعراق بتحقيق الدكتـور النشار ، وطبع ايضا بتونس .
(16) توجد صورة له بالخزانة العامة عن الاصل المخطوط بخزانة الاسكوريال .
(17) التعريـــف بابـــن خلـــدون ص 70 .

التي يبدو عليها أثر العناية والتزام البديع جريا على عادة الكتاب آنذاك فى ابراز مقدرتهم فى مقدمات كتبهم من حيث تكوين العبارات واستعمال اوجه البيان والبلاغة .

اما فى الشعر فلا نبعد عن الحقيقة اذا قلنا ان كل مثقفي العصر كانوا يتذوقون الشعر ويعبرون به عن مشاعرهم انطلاقا من الملوك انفسهم الذين كانوا يجيدون قرض الشعر ويستحسنون الجيد وينتقدون غيره ، فروت كتب كثيرة نماذج من اشعارهم بل ان ابن الاحمر يعقد بابا كاملا لشعر ملوك بني مرين في كتابه « نثير الجمان » (18) ، ولهذا عرف الشعر ازدهارا كبيرا وانتشارا واسعا غزا فيه كل المحافل، وعبر عن كل الاحوال واستعمل فى كل المناسبات ، حتى صارت تقاليد المراسلات ، الاخوانية والديوانية معا ، تفرض ان يزاوج الكاتب بين الشعر والنثر ، فيعبر عن جزء من افكاره بالنثر بينما يبث الشعر عواطفه وميوله ورغباته ، والكاتب الكفء هو القادر على استعمال الاداتين معا بحكمة ودراية .

وبناء على هذا فان ما وصلنا من الشعر لا يعكس الجو الثقافي الذي يتردد صداه فى كتب التاريخ والتراجم والفقه والنوازل ... مما يتأكد لنا ما قلناه فى النثر ، وهوان صفحات كثيرة من هذا الادب وقصائد ودواوين قد عفا عليها الدهر وتعرضت للضياع والتلف ، والا فأين انتاج الشاعر الكبير مالك ابن المرحل ، وابن عبد المنان ، والجزنائي ، واعضاء اسرة العزفي ... ؟

ومن خلال الابيات والقصائد القليلة التي حفظت فى بعض الكتب التاريخية يبدو ان الشعر عبر ايضا عن كل حالات الشاعر وصور عواطفه ، فرسم الحياة فى المجتمع المغربي بأمانة ودقة ، فمن الاغراض التي طرقها ندرك سيطرة الناحية الروحية على النفوس وكبح الدين لجماحها ، فلم يقل الشاعر فيما يحرمه الدين بل تجنب الخوض فى كل ما يحط من مركزه الديني فى المجتمع وما يخدش من كرامته وسمعته ، خصوصا وان الشاعر هو القاضي والفقيه والامام ، لذا لم تتجاوب النفوس مع الاغراض الخليعة كالخمريات والمجون ، والهجاء لما فيها من انحلال خلقي وحتى الغزل تعفف الكثير عن النظم فيه .

واذا جاز لنا ان نحكم على شعر هذه الفترة من خلال النماذج التي وصلتنا ، فان الشعراء كانوا يمتلكون موهبة ممتازة وحسا نقديا وقدرة لغوية وبصرا بالشعر والفن . فهذا احمد بن شعيب الجزنائي انشده ابن رضوان مطلع قصيدة لبعضهم .

لم ادر حين وقفت بالاطلال
ما الفرق بين جديدها والبالي

فقال له على البديهة هذا شعر فقيه من قوله ما الفرق. وكان حكمه صائبا .

وبمقارنة بسيطة بين الادب فى المشرق والمغرب لهذه الحقبة ، ندرك الفرق الكبير بين المستوى الادبي فى كل منهما ، فبقدر ما نجد الادب فى المغرب يقوى ، ويشتد ساعده ، وتتنوع اغراضه ، وتتهذب لغته ، ويصبح ملبيا للمطامح والرغبات ، نجده فى الشرق يعيش فترة انحطاط ، مثقلا بالاسجاع وانواع البديع الاخرى ، يجتر معاني الاقدمين وصورهم .

ونصل فى الاخير ، بعد جولتنا فى آفاق الفكر المريني وتعرفنا على أهم الاتجاهات والتيارات الثقافية فى هذا العهد ، الى التسليم بأن العصر كان فعلا عصر علوم وفنون وآداب وتربية روحية وخلقية . من هنا يجب ان تتجه الهمم الى التنقيب عن كنوزه وتحقيق مخطوطاته التي ستضيف الكثير الى تاريخنا الفكري والادبي .

الرباط : الحسن الشاهدي

---

(18) طبع فى بيروت سنة 1976 بتحقيق د. الداية .

دور الإسلام في الحضارة الإنسانية

للدكتور محمد كمال شبانه

عرفنا ان الحضارة تعني تقصي مظاهرها المادية والمعنوية ، تلك المظاهر التي يتالف من مجموعها تاريخ الامة ، ومدى ما بلغته حضاريا باعتبار مستوى الامم الاخرى المعاصرة ، ولكن يكون بلوغها هذا المستوى فجاة او قفزة واحدة ، وانما تبلغ ذلك على مدى الاجيال التي تتوالى ، ويتكفل كل جيل منها بما تفرضه ضرورات الحياة نحو مستقبل افضل ، وعليه فالحضارة سلسلة متصلة الحلقات ، كل منها ثمرة لسابقتها ، وهذا ما نلحظه في حضارة الامة العربية منذ القدم ... حتى جاء الاسلام فكان نقطة ارتكاز لتطور حضاري جديد ، وذا تأثير على جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ...

فعلى سبيل المثال ـ لا الحصر طبعا ـ في هذه المجالات .. نرى الاسلام :

من الوجهة السياسية :

دعا الى حرية الراي التي تستهدف البناء الصحيح للامة ، كما اقر مبدأ الشورى ، وحدد العلاقات التي ينبغي أن تسود بين الحاكم والمحكوم ، والمستمدة من قوانين واضحة ومحددة .

من الوجهة الاجتماعية :

نرى الاسلام قد حارب التعصب بكافة الوانه سواء أكان للجنس ام للعقيدة .. ونادى بجوار هذا المبدا بالمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات، وبحرية العقيدة في ظل القانون ، كما حارب ظاهرة استعباد الانسان لاخيه الانسان في أي صورة ...

وبالنسبة لقيم المجتمع وهو المراة .. نرى الاسلام يضعها حيث اهلتها الطبيعة ، موصيا بشانها في شتى المواقف ، منظما العلاقات بينها وبين الرجل بما لا يدع مجالا لشبهة او اختلاف ..

من الوجهة الاقتصادية :

نلحظ الاسلام وهو يحترم الملكية الخاصة ، محددا الضمانات الكافية لحمايتها ، والى جانب هذا اقر الملكيات العامة لصالح المجموع ، ولم يفته أن ينبه على الالتزامات الواجبة على الانسان نحو فئات معينة في المجتمع ، كما وضع نظاما محددا ودقيقا للميراث ، موضحا لمستحقيه ... الى غير ذلك من التنظيمات التي تعتبر نموذجا لحياة سعيدة تنشدها البشرية ، وتتطلع اليها مسترشدة مستأنسة .

وهكذا نلمس بوضوح وجلاء أن مثل هذه القوانين وتلك المبادىء .. قد صاغت الامة العربية في تقويم ما بعده تقويم ، واهلتها لدور حضاري ما زلنا نعيش الآن على تراثه ، كما استقى من نبعه غير العرب .

وانه لفي غنى عن البيان ان نصرح بان بعض هذه المبادىء قد كانت سائدة لدى العرب قبل الاسلام ، تبعا لما قررناه من نظرية التطور الحضاري ، وقد كانت هذه المبادىء فى صورة اتجاهات أو تقاليد ، فان نسبناها الى الاسلام فانما لانها ـ اى تلك المبادىء ـ قد اكتسبت فى هذا الدين طابعا خاصا ، وتميزت بروح جديدة .

هكذا كان العرب على أبواب حضارة ، وكل ما كان ينقصهم هو بعض المبادىء الاساسية التي تشكل فى مجموعها ما يطلق عليه علماء الاجتماع « روح الامة » ، وينشأ عنها فى نفس الوقت مختلف المظاهر الحضارية . وقد لبى الدين الاسلامي ـ الذي دعا اليه محمد بن عبد الله ـ هذه الحاجة ، وبالتالي أوجد من العرب امة جديدة لها قدرتها الفائقة على تقبل الحضارات السابقة ، ثم العمل على تطويرها والوصول بها الى مستوى جديد ..

ومن المعروف عن الاديان بصفة عامة انها تفرض طابعا خاصا على التاريخ البشري ، وان مؤسسيها يسهمون بنصيب كبير فى حضارة عصرهم .

ومما لا يقبل الجدل ان العالم لم يعرف دينا غير الاسلام احدث تغييرات كان لها تاثيرها الكبير ، وبصورة سريعة ومباشرة فى شتى انحاء العالم ، ولم يصل رسول من الرسل الى ما وصل اليه الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

وها نحن فى هذه الايام نرى باحثا مفكرا فى الولايات المتحدة الامريكية قد اصدر مؤلفا ضخما بعنوان « المائة الاوائل » ، جميع كافة الشخصيات التي كان لها اكبر تاثير فى الحضارة الانسانية ، قيادة وعبقرية ونفعا عاما للبشرية ، تحلو المؤلف الدقة العلمية ، والبحث الدقيق ، والتجرد من كافة المؤثرات ، فيورد لنا مائة من اعاظم الشخصيات تأثيرا فى العالم ، ويعنينا من مؤلفه هذا فى الدرجة انه وضع سيدنا محمدا (ص) فى المرتبة الاولى ، لان هذا الباحث قد اخذ على عاتقه أمرين :

الاول : اعتقاده بان هؤلاء اهم مائة فى التاريخ الانساني الشامل لكل المجالات ، سياسية وحربا وعلما وادبا وفكرا ...

الثاني : ترتيبه هذه المائة ترتيبا يتبع أهمية كل واحد منهم ..

فاذا اختير محمد من باحث مسيحي منصف ليتصدر المائة العظام ، فانما ذلك مرده لسمو الرسالة التي اضطلع بها ، ولما جاءت به من خير للبشرية ، والا فبم نفسر قول هذا المؤلف فى صدر كتابه :

« ان اختياري محمدا ليكون الاول فى قائمة اهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد فى التاريخ كله الذي نجح أعلا نجاح على المستويين : الديني والدنيوي » .

ويذكر المؤلف ايضا بعد هذا :

« ان معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا فى قلب احد المراكز الحضارية فى العالم .. فى بيئة متقدمة تبرر ظهور العظماء فيها ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي نشا فى بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم ، ولكنه جعل من البدو والبسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة ، قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقاس » .

« وفى تاريخ الغزو فى كل زمان ومكان يكون الغزو عسكريا ، ولكن فى حالة الرسالة المحمدية فان معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماما ، وتغيرت لغة ودينا وقومية .. من العراق وسوريا الى آخر الشاطىء الافريقي غربا ، الى السودان جنوبا ، وبقيت أمة واحدة تتكلم لسانا واحدا الى الآن ، فهناك اليوم وبعد مرور 1400 عام خمسمائة مليون مسلم ، ولكن بينهم حوالي مائة وخمسين مليون عربي ، وهو معيار فى قياس اثر الرسالة ، اي استمرارها الزمني وثباتها ، ليس له مثيل فى تاريخ الفتح فى العالم » .

« كذلك لا يوجد نص فى تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد ، وبقى بحروفه كاملا دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرءان ، الذي نقله محمد ، الامر الذي لا ينطبق على التوراة مثلا او الانجيل » .

مكانـــة المعرفـة فى الاســلام

تعتبر الثقافة عامة المظهر الحقيقــي للحضارة الانســانية ، فماذا كان موقف الاسلام منها ؟

لقد كانت أول سورة نزل بها الوحي هي سورة العلق ، مستهلة بلفظ « اقرأ » ، كما اقسم الرحمن بالقلم والكتابة فى سورة القلم ، فقال « ن ، والقلم وما يسطرون ، ما انت بنعمة ربك بمجنون ، وان لــك لاجرا غير ممنون ، وانك لعلى خلق عظيم » وتشريف القرءان للقراءة والكتابة لم يكن لخصائصها الذاتية ، وانما لما يشيران ويهدفان اليه من اتجاه نحو الدراسة والملاحظة والتجربة ، نلحظ هذه المعاني فى آيــات اخرى ، وخاصة منها ما يحث الانسان على التامــل « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيــف بنيناهــا وزيناها وما لها من فروج » وقوله : « وفى انفسكم افلا تبصرون » ونحو هذا من الآيات كثير .

كما أن القرءان فى مواطن اخرى شهــد لذوي المعرفة ، وجعل ذلك مقياسا لتفضيلهم ، « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ؟ واردف منظرا للفرق بينهما بالفرق بين الظلمات والنور .

وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم يساير الهدف من هذه النصوص القرآنيــة فى مختلــف المناسبات التي صادفــت دعوته عليــه السلام ، ولعل ابرزها اقتداء النبي من يعرف القراءة والكتابة من اسرى بدر ، وذلك بأن يعلم الواحد منهــم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة ، هذا بالاضافــة الى احاديثه المشهورة فى هــذا الشــأن ، كقولــه : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وقوله : « اطلبوا العلم ولو فى الصين » .

واذن نرى الاسلام يحث فى مبادئــه الاولــى والاساسية على طلب العلم ، ويدعــو الى التامــل واعمال الفكر ، ويذم التقليد والاخذ بالمصادفات أو الموروثات دون تقييم . وبهذا يرسي ديننا دعائــم النهضة العلمية ، الامر الذي اخذت بأسبابه اجيــال المسلمين فى العصور السابقة ، فكانوا نبراسا على طول الطريق بما اورثوه الانسانية من معارف وعلوم .

لقد لفت أنظار العرب تــراث فارس والــروم والاغريق ، فانكبوا على هذا التراث يدرسونه ، وقد حذف كثيرون من العرب لغات الآخريــن ، كمــا استخدموا غيرهم ممن اجادوا لغة اليونانيين بصفــة خاصة الى جانب اللغة العربية ، فنقلوا اليهم أهم كتب اليونان ، ومما ساعد على ترجمة هذه اليونانيــة أن معظمها واهمها كان منتشرا فى بلاد الفرس والبــلاد الســورية ، ولا سيما كتب فلاسفة اليونان كارسطــو وسقراط وجالينوس ، وكانت مكتوبة حيث وجدوها باللغة السريانية فى معظم الخزائن التي وضع العرب ايديهم عليها ، وانشأوا المدارس العلمية التي زخرت بالعلماء المتخصصين فى الترجمة ونقــل الكتــب الاجنبية ، تلك المدارس التي جعلت من أهم بــلاد الاسلام مراكز ثقافية كبغداد ، والقاهرة ، والقيروان ، وتلمســان ، وفاس ، وقرطبة ، وغرناطة .

انه لا مناص من الاعتراف بأن المعارف اليونانية واللاتينية كانت أساسا لثقافة الدارسين العــرب ، وتطويرا فى الوقت ذاته لمعلوماتهم فيما تناولوه منها من الوان المعرفة نظرية كانت ام عملية ، بيد أنهم لم يقفوا مثلا بحال عند الطب الذي وجدوا عليه أوربا فى العصور الوسطى ، اذ ما انفكوا يتحررون ويبدعــون معتنقين لمبدأ التجربة والملاحظة ، وبهذا لم يعــد الاغريق اساتذة للعرب بالمعنى الدقيق ، فالأرجح أنه لم تفق امة يومئذ العرب فى مجال البحث والتحقيق .

دور الكتاب والمكتبة فى البيئــة العربيــة

تكشف لنا المؤرخات انه كان يوجد فى كــل مسجد جامع مكتبة خاصة ، فقــد كان من عــادة المؤلفين والعلماء أن يحبسوا معظم مؤلفاتهم على دور العبادة ، وما زلنا نرى حتى الآن مثل هذه الخزائن تحتل مكانا من المساجد ، حيث يؤمها طلاب العلــم والبحث . كذلك كان بعض ملوك الاسلام وخلفائهــم يشترطون فى معاهدات الصلح مع أعدائهم أن يقــوم هؤلاء الأخيرون بتسليم معظم أوكل المخطوطات التي تحت ايديهم ، ومن هؤلاء الخلفاء المأمون .. ولقــد لعبت المخطوطات القديمة — ولا سيما منها ما لــم يترجم الى العربية — دورا هاما فى العلاقات بيــن العرب وجيرانهم ، بحيث كانت بعض الاقطار الاجنبية تستميل قلوب العرب بوساطة هذه المخطوطات ، بل قد تستعديهم على الاعداء باهدائهم اياها .

كذلك نلاحظ من خلال التاريخ أن المخطوطات بشتى الوانها كانت تلقى سوقا رائجة بسبب اقبال ملوك العرب خاصة على شرائها ، حتى وصل الامر الى حد ان كثيرا من المسلمين كانوا يغادرون بغداد محملين بالمبالغ الضخمة ، وينتشرون فى اماكن شتى من بلاد العالم ، حيث يلتقون بسماسرة الكتب ، وينتقون منها ما يروق للامراء والملوك العرب ومقتني الخزائن الخاصة ، فيجلبونها اليهم وقد ربحوا بذلك معنويا وماديا ، ويذكرون فى هذا الصدد انه كانت هناك منافسة شديدة بين ملوك العرب على اقتناء الكتب ولا سيما منها ما كان نادرا ، وعلى سبيل المثال خلفاء بغداد والقاهرة وقرطبة وفاس أواخر القرن الرابع واوائل الخامس الهجري ، وبهذا انتشل العرب الجم من الخطوطات والآثار العلمية القديمة ، ولم يكن الهدف مجرد تحويل خزاناتهم الى متاحف . وانما جد العرب فى نسخ الكتب والوثائق من جديد ، فعم نفعها بهذا البحث مختلف الدارسين فى شرق الاسلام وغربه .

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى المكتبات الخاصة ، وما لعبته من دور فى تثقيف العامة والخاصة بفضل ما كانت تشتمل عليه من الوان المعرفة ، مما الفه العرب او نقلوه الى لغتهم ، وعلى سبيل المثال نرى أن علي بن يحيى المنجم احد المقربين من مجالس الخلفاء فى منتصف القرن الثالث الهجري كانت له خزانة علمية ضخمة سماها « خزانة الحكمة » كانت مقصد الدارسين ، والنفقات عليها وعليهم جارية ، من مال صاحبها الخاص ، ويعتبر ابن يحيى هذا واحدا من نظائر له فى ميدان « الكتاب للجميع » . وبمرور الوقت تحولت هذه الخزانات الخاصة الى دور للعلم ومؤسسات للثقافة، تجري الارزاق على من ينقطعون للبحث فيها ، ويروي فى هذا ان ابا القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي (المتوفى عام 323 هـ) انه انشأ دارا للعلم والتثقيف فى مدينته ، وزود الدار بخزانة كتب فى جميع فروع المعرفة ، وأوقفت تلك الكتب على طلاب العلم ، ورتب الرواتب لهم ، وقد نهج هذا النهج كثيرون من امثال القاضي ابن حيان (المتوفى عام 354 هـ) فى مدينة نيسابور ، والشريف الرضي (المتوفى عام 406 هـ) .

ولقد نتج عن هذا الجو الثقافي فى طول البلاد الاسلامية وعرضها ان عمت النهضة العلمية ، وتمخض عن ذلك قيام الجامعات الاسلامية ، خاصة فى بغداد والقاهرة ، والقيروان ، وتلمسان ، وفاس ، وقرطبة ، ثم غرناطة .

اسلوب البحث عند العرب القدماء

اما اسلوب البحث عند علمائنا العرب القدامى فقد كان مصدر المعرفة لديهم — باديء ذي بدء — كتب الاغريق ، ثم رأوا انه لا بد من التجربة والملاحظة للوصول الى الحقائق ، بحيث كانوا فى هذا السلوك الرواد الاوائل ، حتى ليكاد يجمع المستشرقون المنصفون ممن درسوا مؤلفات العرب على ان اسلوب البحث العلمي الحديث يرجع الفضل فيه الى العرب، ومن هؤلاء « همبولد » الذي اشاد بأسلوب التجربة والترصد ، وقال : « ان العرب ارتقوا فى علومهم الى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء » ، وكذلك المستشرق « سيديو » حين يذكر « ان من اهم ما اتصفت به جامعة بغداد منذ البداية هو طابعها العلمي الصحيح فى استخراج المجهول من المعلوم والاسباب من المسببات ، وفى عدم التسليم بما لا يستند الى التجربة والملاحظة ، ولقد كان العرب فى القرن التاسع الميلادي يتوفرون على هذا المنهج المفيد ، والذي اقتبسه منهم علماء أوربا بعد زمن طويل ، فكان اساسا لاكتشافاتهم المجدية » . ويقول «دولامبير» فى كتابه (تاريخ علم الفلك) : « اذا احصيت بين اليونانيين راصدين او ثلاثة ثم اتجهت الى العرب فبوسعك ان ترى بينهم عددا عظيما من الرصاد » . وكذلك الحال فى الكمياء ومباحثها دقة وابداعا ، وبهذا تحقق للعرب من الاكتشافات فى هذه الميادين خلال ثلاثة قرون او اربعة ما لم يتحقق للاغريق فى ازمنة طويلة ، ولم يقف العرب عند هذا الحد من الاكتشافات بل ترجموا ذلك الى مؤلفات عمرت بها الجامعات الاسلامية ردحا من الزمن ، بحيث لم تنقطع عن دراستها الا منذ وقت قصير ، فالحق ان فضل العرب على أوربا فى مثل هذه المجالات اجل من أن يطمسه انكار .

د. محمد كمال شبانة

بيعة الشعب

للأستاذ الشاعر محمد بن محمد العلمي

ايها التاريخ سجل فى الخلود   بيعة الشعب على العهد الوطيد

فضمير المغرب الاقصى لقد   بعث النخوة فى كل الوجود

نحن للمجد خلقنا أبدا ،   وحفظنا بيننا اسمى العهود

دمنا نفدي به ارضا لنا ؛   وعلى الاسلام نحيا فى صمود

همم الاحرار عند الملتقى   حطمت من بيننا كل الحدود

واذا صمم شعب عزمه ،   حقق الرغبة بالرأي السديد

لم تؤخره عن القصد الذي   رام بالهمة ، أصناف الوعيد

فالميرات هنا قد ادهشت   أمم الاكوان بالرأي السديد

نحن فى وحدتنا نمضي الى   قمة الامجاد بالعزم الاكيد

رحم موصولة من بيننا   رغم ما بيته كيد الحسود

نحن اخوان اباة حفظوا   حرمة الاوطان بالسعي المفيد

لوفاء وسلام نحن من   نبذل الاعمار فى نبل وجود

رمزنا الصدق فلا نرضى الخنا ،   قد بورثنا العز من عز الجدود

وسلوك المغرب الاقصى ، غدا   مثلا اعلى ، لتاريخ مجيد

وبوادي الذهب ، الرمل لقد   فاق فى قيمته الدر النضيد

دمنا يفدي حمانا ابدا   من دخيل ، وعميل ، وحقود

ذاك وادي الذهب الغالي ، كما   كان ، قد عاد عرينا للأسود

يصدح التكبير فى ارجائه ،   فيصاب الخصم بالهول المبيد

وعلت راياتنا فوق الذرى ،   الف بشرى ! هاهنا أجمل عيد !

جمع الله لنا الشمل ، وفي   وحدة الصف زهت حمر البنود

نقض الميثاق قوم افلسوا ،   وتمادوا فى جحود وصدود

نحن لا نعبأ باستسلام من   خفروا الذمة فى بسط الخدود

خيب الرحمان احلاما لهم ،   حينما اغتروا بمعسول الوعود

بدلوا الآجل بالعاجل ، اذ   فقدوا الوجدان ، والنهج الرشيد

* * *

رجع الفرع الى الاصـل ، وفـي   وحدة الصف تباشير السعـود
فليمـت حاسدنا في رعبـه ،   فلقد أذهلـه قصـف الرعـود
ولقد خابت ظنون للعـدى   عندما ادهشها فـك القيـود
مسـخ الله وجوهـا كفـرت ،   فهي في الخزي ذئـاب وقـرود

* * *

نحن بايعنا المليك (الحسن الثاني) على الحق ، وجئنا بالشهود
من شمال أو جنوب أننـا   لفداء العرش من أوفى الجنود
نحن احرار كما تعهدنـا   أمم الدنيا ، ولسنا كالعبيد
نحن اقسمنا ، وفي ذمتنـا   خير عهد نحن عنه لن نحيد
خسر الاعداء في لعبتهم !   وأرى الاوطان في بعث جديد !!

الرباط : محمد بن محمد العلمي

على هامش
تاريخ القرويين

تأليف : الأستاذ الحسن السائح

عرض وتقديم : الأستاذ مصطفى أبو منيدل

تعود العلامة الحسن السائح ان يباغتنا بمقاله أو بشيء جديد له صلة بالثقافة والعطاء الفكري المعاصر ، وتعود ان يقدم لنا بحثا او مقالة حية جديدة الموضوع والهدف واليوم يقدم كتابا متكاملا جامعا ، تأملت فى عنوانه فوجدته (على هامش تاريخ القرويين) اعتقدت أول وهلة بأن الكتاب عرض هامشي لتاريخ القرويين واستعراض لبعض رجالات الفكر ودور القرويين الذي لا ينكر ، فاذا بالكتاب ينقلنا الى الرصد لكل المظاهر الحضارية ويتتبع مراحل التأسيس ويبرز لنا كل ما تزخر به هذه المؤسسة الخالدة من عطاء .

الكتاب ذو حجم صغير يحتوي على العناصر الآتية :

القرويين : ماضيها وحاضرها .

تاريخ مدينة فاس .

نشأة القرويين فى العصر الادريسي . وأخيرا يضم المؤلف فصلا له علاقة بالواقع المغربي وتنظيماته ويعنونه هكذا : (عرض تاريخي عن التنظيمات الادارية المغربية) وحبذا لو خصص الاستاذ فصلا عن مؤلفات علماء القرويين ليكون بمثابة تتويج للدور العلمي الذي لعبه رجال هذا البلد فى الحفاظ على الكيان الاسلامي حتى تكون أرضية لكل دارس عن الدور العلمي الحقيقي ومدى مساهمة رجال القرويين فى اقراره وترسيخه . لكن الحسن السائح انطلاقا من كتابه (على هامش القرويين) ادرك قيمة الموضوع وتشعبه فجعله (على هامش : ...) وهو مصيب فى عنوانه مدرك لما يريد ان يقوله ، فهو يريد ان يعرف كل عربي وكل اجنبي بهذه المؤسسة : فيرصد له جامع القرويين دون ان يكلف نفسه عناء العنصر حيث يبرز كل ما يوجد وبصفه ويبرز الحقائق التاريخية فهو لهذا نصف لبنات من لبنات تعريفاته بالثقافة المغربية التي تتجاوب وتتعانق بالاصل اي وهو الفكر العربي وعطاؤه ، فالاستاذ السائح شمولي الرؤيا ومؤمن بالدور الطلائعي للمثقفين المسلمين وحضارتهم ، فالكتاب اذن عرض مركز لتعريف باهم معقل من معاقل هذه الثقافة التي يومن بها الكاتب (القرويين ماضيها وحاضرها — قبل تأسيس المدينة — تأسيس القرويين — مسجد القرويين — صحن القرويين ، الصومعة — ابوابها السبعة عشر — الجناحان — المستودع — الخصة الوسطى — المزولة الشمسية — داخل القرويين — الثريا الكبرى — المحراب — الناقوس الكبير — القبة المستطيلة — المنبر — الكرسي —) ؛ بعد ذلك ينقلنا المؤلف الى

التاريخ الفكري ودورها العلمي يقول في صفحة 18 للقرويين رسالة تعليمية وتثقيفية خاصة ، فكل استاذ مسؤول ادبيا عن تعليم العلم واشاعة الثقافة الاسلامية ، ويجب أن يلقي درسه على العموم رغم اختلاف المواد وتخصصه العلمي لان مقدرته ليست فيما يعرف من علم ، ولكن في قدرته على شرحه وتبسيطه لذلك فالعامل والفلاح يجوز له يحضر درسه في هذه الجامعة الشعبية ليستفيد من حلقات الدروس ، وهكذا كان الاستاذ يجلس على كرسي حسب قيمة الدرس ، يعلم العلم ويحارب الامية في نفس الوقت وهو يعطي في حصته الدراسية ما يفيد الطلاب ذوي المستوى العالي والاميين والمبتدئين على السواء بالاضافة الى المحافظة على سلسلة الروايات واخذ العلم من افواه العلماء ، على غالب الدروس الاملائية الدينية تكون بالمسجد ، اما دروس الحساب والفلك والطب والهندسة فتكون بالمدارس العلمية المعدة لذلك ، ولها اساتذة مختصون .

والمؤلف في كتابه يتعرض لهذه المدارس ويعطي وصفا دقيقا لمظهرها الخارجي والداخلي فلنستمع اليه وهو يحدثنا عن المدرسة البوعنانية .

1 – المدرسة البوعنانية من اثار المرينيين ، أسسها ابو عنان المريني ، تتجلى فيها روائع الفن المريني الاندلسي من طرز رؤوس الاعمدة التي طعمت مجموع مظاهر الفن الاسلامي وتنظيم النقوش الناتئة ، كما يلاحظ تطور الاقواس من نصف دائرية بسيطة الرخايا منقطعة الى عقود تجاوزت النطاق الدائري وتعلو احيانا اقواس اسكفة محمولة على دعامتي الباب ، وتمتاز هذه القباب بنتوئها وتقعيرها ومقربصاتها المتساوقة .

اما جدرانها وأبهاؤها فلا يوجد بها مكان الا وللفنان المريني أثر فيه ولا تقع عينك الا على جمال ساحر لهذا الفن الرائع الذي جمع بين النقش في الخشب والرخام والجبس .

وبجانبها ساعة مائية عظيمة تعلن عدد الساعات بواسطة ضجات كان يقرعها الماء الساري في مسارب دقيقة تعمل طيلة النهار والليل بدون انقطاع .

بعد ذلك ينتقل المؤلف للحديث عن مدرسة الشراطين وخزانة القرويين ، وحياة الطلبة الدراسية وحفلاتهم بسلطان الطلبة ، ويدرج عنوانا جانبيا خصصه للقرويين في العهد الجديد ، كما يتعرض لاهم ظاهرة في نشر الثقافة وهي ظاهرة بيع الكتب بالمزاد العلني .

يقول السائح في صفحة 35 ولعل من أمتع عوائد القرويين طريقة بيع الكتب حيث تعرض كل يوم جمعة بعد الصلاة في مزاد علني ، منها المخطوط والمطبوع ويستفيد الطلبة الذين يحضرون عادة السوق كثيرا ، حيث يعرفون أسماء الكتب والمؤلفين ، يقدرون أثمانها التي تباع بها ويتعودون على معرفة أسماء المؤلفين والمؤلفات وأنواع المطابع والمخطوطات والخطاطين ، والتوقيعات وما الى ذلك، وكم يكون ممتعا ان تسمع (الدلال) وهو يردد بصوت جهوري ، مقدمة ابن خلدون طبعة بولاق الاولى من الحجم المتوسط كانت في ملك العلامة المشهور القاضي الخ ، وهكذا ليتاح للطالب ان يتعرف على المؤلفات ويشتريها بثمن زهيد .

ثم ينقلنا المؤلف الى تاريخ مدينة فاس ويخصص عناوين صغيرة للهندسة الجديدة في بناء المساجد ثم يتعرض لتطور الفن في القرويين والدراسة والعلوم بها كما يتعرض المؤلف للعقائد في عصر الادارسة والدراسة اللغوية ونشر الكتب والارقام العربية والفلسفة والطب والحركة الصوفية والاقتصاد المغربي في العصر الادريسي (القرويين في العصر الادريسي) (المدن الجديدة في العصر الادريسي) واخيرا فصل معنون بـ (عرض حضاري عن التنظيمات الادارية المغربية) .

فالكتاب اذن مملوء بالاثارات التاريخية والحقائق المتوافرة عن دور هذا الجامع العظيم عبر الحقب ، فهو من الكتب الرصينة في مجال الحضارة المغربية والاسلامية يجد فيه الدارس ضالته والتلميذ مبتغاه والانسان العربي وجوده : فهنيئا لاستاذنا بهذه الباقة المفعمة بالاصالة والوجود العربي الاسلامي ، أرجو ان يباغتني أستاذنا دائما بمثل هذه الهدايا لتكون انيسا في وحدتي ورفيقا يعين لي طريق الحق في دين تاريخ بلادي ، فأستاذنا السائح ساهم منذ ان بدأ الكتابة في ابراز حقيقة

الثقافة العربية في هذا الجناح البعيد من العالم العربي ،و قدم عطاءات انطلاقا من منظوره وتكوين ثقافته ، فللكتاب (دفاعا عن الثقافة المغربية) صدى طيب في الشرق الحبيب ، قراه العديد من المثقفين واعجبوا بفوائده الجمة ، فكان صلة وصل ورابطة من روابط العطاء ، فاذا كان الاستاذ عبد الله كنون بنبوغه ومشاهيره فان الاستاذ حسن السائح بمقالاته العديدة وكتبه النيرة في مجال التعريف بالثقافة العربية في الجناح الغربي من عالمنا العربي .

والاستاذ حسن السائح يذكرني بالجهد العظيم الذي بذله والده المرحوم العلامة الكبير والقاضي الشهير محمد السائح الذي كان حجة في العطاء والتوثيق والمشاركة ، حيث يعتبر من الاوائل الذين ساهموا في ارساء النهضة الفكرية عمليا وعملوا على نشر النصوص وتحقيقها انطلاقا من الاصالة العربية ، المغربية ، فهو من الاوائل الذين انطلقوا ليعرفوا النشء بانتاج بلادهم عبر عصوره المختلفة ، ففي سنة 1920 اخرج كتابه المنتخبات العبقرية للمدارس الثانوية . وقد مدني الاستاذ حسن السائح كعادته ببعض انتاج والده المخطوط ، فوجدت فيه سعة في العلم وقدرة لا تنكر ، فأحببت هذا الرجل دون ان اعرفه ، وبدأت ابحث عنه بعيدا عن ولده فوجدت مقالة للفقيه العلامة التطواني بجريدة العلم المؤرخة ب 25 شتنبر 1948 بعنوان (وهذا من يخلفه ؟) فوجدت ضالتي ، وتحقق ما ادركته . يقول صاحب المقالة عنه : (كان الراحل الكريم علما من اعلام الهداية في تاريخ هذه البلاد لا تذكر الحلبة الاولى من المجلين في مدينة المنصور ودار ملك الاسد الهصور الا عد ثاني اثنين علما وادبا وحفظا واستحضارا الى بعد نظر وفضل اطلاع وامتداد باع وحرية فكر ، وسلامة ذوق وحسن وفهم وسعة ادراك وقوة مشاركة مع الدين المتين والتمسك بالواضح المبين ، قد صان الله علمهما عن لغو الكلام وحشد الخيال والاوهام واثارة الشكوك بين العوام ، فاين من يسد فراغ الراحل في علمه وتحريره وعقله وتفكيره وفقهه وقضائه وتواضعه واخلاقه ، واين الخلف لهذه الامة عن هذا الرزء العظيم) .

ولعل هول المصاب جعل أستاذنا الفقيه يسأل منبرها نتيجة فداحة الخطب ، وبعيدا عن هذه المقالة الثابتة المطولة نجد احد تلاميذه وهو الاستاذ محمد السلمي في كتابه (اتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من اخذت عنه من الشيوخ) يخصص اربع صفحات للتعريف بهذا العالم الجليل يقول فيه : فقيه علامة مشارك مطلع محاضر بيد ان له براعة كبرى في فنون الحديث والفقه والادب والفلسفة والتاريخ ، وبالجملة فهو أعجوبة الدهر ويتيمة العصر ومفخرة الزمان يحق لكل من سبر غوره وحلل عبقريته ونفذ الى شخصيته العلمية النادرة ان يتمثل فيه بقول القائل :

(حلف الزمان ليأتين بمثله . ان الزمان بمثله لبخيل) . المؤسف ان انتاجات امثال هؤلاء لا يعرفها العديد ، فلحد الساعة لم يدون كتاب خاص بهذه الشخصية ، وان جل انتاجه ما زال مخطوطا بين الرفوف يقول الفقيه محمد التطواني عن انتاجه : (وهو في انتاجه العلمي من ابرز مؤلفي نظرائه بلغني ان له عدة تآليف يبلغ مجموعها الثلاثين ، عرفت الطباعة منها نص المحاضرة والمنتخبات العبقرية وتحقيق الامنية ، ووقفت منها على رحلته البارزية وهي في كراريس ابان فيها عن فتون، كما اطلعني على ابحاث اقامها مقام المدخل الى كتاب الحيوان للجاحظ وكان به معجبا وهي في بابها غريبة المنزع وفي الحاضر منها ما يدل على غائبها وانها آثار تحمل طابع التجديد والابتكار على انه لولا منصب القضاء الذي كان يقضي على أوقات راحته لكان بآثاره العلمية وابحاثه الكتابية في مقدمة القافلة من كبار المؤلفين ، فلقد كان الى المعالي لا تقف به همته دون غاية لفرط ذكائه وزائد اهتمامه) .

وقد اشار الاستاذ مصطفى الغربي في دراسة خاصة حول محمد السائح للعديد من انتاجه التي لم يذكرها الفقيه (التطواني) في دراسة محمد السائح . وذكر مشايخه الذين اجازوه والوظائف التي تقلدها واقتطف من هذه الدراسة قوله : (ينحدر المترجم له من سلالة اندلسية حلت برباط الفتح ، واصلهم في الاندلس من الجزيرة الخضراء وبالرباط استقبل نور الوجود وانصدع عليه فجره وبه تهدلت عليه أغصان الشباب وخلعت عليه ظلها المخضل ونسيمها وعندما اشتد بنانه أقبل

على ارتشاف العلم والكرع من حياضه بهمة لا يحوم حولها الونى ، فكان لا يطرب الا لشذوه ولا ينتعش الا على غيثه وصحوه فدرس العلوم المتناولة فى مضره وزاد عليها بعلوم عصره من جغرافية وجيولوجية وفسيولوجية وبالاطلاع على المذاهب الفلسفية وغيرها من العلوم ، ولم يكن ما عدا العلم للسانه حديثا ولا لضميره نجيا ولا سيما الفقه واصوله والحديث وعلومه حتى بسقت دوحة معارفه من السماء ، واستنار افق وجوده بما فاق انوار ذكاء) .

وازداد فضولي بالبحث والتنقيب للمزيد من المعرفة حتى كونت ملفا لا يستهان به والفضل كل الفضل ولا شك يرجع للذين لا يبخلون بما يعرفون من حقائق ، وقد علمت اخيرا بان الاستاذ الجليل الباحث عبد الله الجراري بصدد اخراج كتاب مهم حول هذه الشخصية الجليلة (*). وكم سيكون سروري عظيما حينما اجمع ما يمكن جمعه حتى نعطي جميعا لموتانا المبدعين حقهم فى الذكر والوجود الخالد ، لانهم مروا صادقين معانقين للتجربة العلمية والحياتية ، فكانوا فى اطار زمانهم ومرحلتهم خير معبر لحقيقة الانسان المغربي .

والحق ان الصورة لا تكتمل الا بطبع النصوص واستنطاقها ، فمحمد السائح عالم مشارك ، واستاذ جليل واديب رصين ، انطلق استاذا من ثانوية مولاي يوسف بالرباط فاعطى عطاءات فى مجال التربية وخطط كتابا هاما يعتبر اللبنة الاولى فى التأليف المدرسي المعاصر حيث رسم أهدافا واضحة مراعيا بيئة التلاميذ وظروفهم الحياتية والفكرية ، والتاريخية ، فازال الغبار عن العديد من مشاهير المغرب . وقدمها كارضية لدراسة الادب المغربي عبر عصوره المختلفة .

من هنا كان السائح مقدرا لمجتمعه مدركا بان ظروف المتعلمين تقتضي الانطلاقة من ارضيتهم أولا ليكونوا بعد ذلك فكرا شموليا مرتبطا حسب منظوره بالاصالة العربية فى ظل الدين الاسلامي .

الرباط : مصطفى بومنيدل

المـراجــع

1 ــ راجع كتابه دفاعا عن الثقافة المغربية .
(حسن السائح)

ــ الحضارة المغربية عبر التاريخ .
(حسن السائح)

ــ القصة المسرحية فى الادب المغربي .
(حسن السائح)

2 ــ راجع كتابه الجديد الرؤية المستقبلية الاسلامية .
(حسن السائح)

3 ــ على هامش تاريخ القرويين صفحة 18 ــ 19 .
(حسن السائح)

4 ــ على هامش تاريخ القرويين صفحة 21 .
(نفس المؤلف) .

5 ــ راجع كتاب اتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من اخذت عنه من الشيوخ صفحة 205 الى 208 .

(*) صدر الكتاب وهذا العدد قيد الطبع ــ دعوة الحق ــ

الإعجاز العددي للقرآن الكريم

تأليف : الدكتور عبد الرزاق نوفل

عرض وتقديم : الأستاذ صلاح الدين الأدلبي

عندما كان الاستاذ عبد الرزاق نوفل يعد كتابه (الاسلام دين ودنيا) الذي صدر في عام 1959 م وجد أن لفظة الدنيا قد تكررت في القرءان الكريم قدر ما تكررت لفظة الآخرة تماما ، وعند ما كان يعد كتابه (عالم الجن والملائكة) الذي صدر في عام 1968 وجد أن الشياطين قد تكررت في القرءان قدر ما تكررت الملائكة بالضبط .

يقول الاستاذ : (وما كنت ادري ان التناسق والاتزان يشمل كل ما جاء في القرءان الكريم ، فكلما بحثت في موضوع وجدت عجبا واي عجب ... تماثل عددي .. وتكرار رقمي .. او تناسب وتوازن في كل الموضوعات التي كانت موضع البحث .. الموضوعات المتماثلة او المتشابهة او المتناقضة او المترابطة ..) .

وفي الجزء الاول من هذا الكتاب سجل الكاتب عدد ورود بعض الكلمات في القرءان الكريم :

— الدنيا 115 مرة ، الآخرة 115 مرة .
— الشيطان 88 مرة ، الملائكة 88 مرة ، مع المشتقات .
— الموت 145 مرة ، لفظ الحياة ومشتقاته فيما يخص حياة الانسان العادية 145 مرة .
— البصر والبصيرة 148 مرة ، القلب والفؤاد 148 مرة .
— النفع 50 مرة ، الفساد 50 مرة .
— الحر 4 مرات ، البرد 4 مرات .
— لفظ البعث بمعنى قيام الاموات ومشتقاته ومرادفاته 45 مرة ، الصراط 45 مرة .
— الصالحات ومشتقاتها 167 مرة ، السيئات ومشتقاتها 167 مرة .
— الجحيم 26 مرة ، العقاب 26 مرة .
— الفاحشة 24 مرة ، الغضب 24 مرة .
— الاصنام 5 مرات ، الخمر 5 مرات ، الخنزير 5 مرات .

ويلاحظ ان لفظ الخمر وردت مرة اخرى في وصف خمر الجنة التي لا غول فيها ، وذلك في قوله تعالم « وانهار من خمر لذة للشاربين) ، ولذا فهي غير داخلة في عدد المرات التي ذكرت فيها خمر الدنيا .

— البغضاء 5 مرات ، الحسد 5 مرات .
— الحصب 5 مرات ، التنكيل 5 مرات .

— الرعب 5 مرات ، الخيبة 5 مرات .

— اللعن 41 مرة ، الكراهية 41 مرة .

— الرجس 10 مرات ، الرجز 10 مرات .

— الضيق 13 مرة ، الطمانينة 13 مرة .

— الطهر 31 مرة ، الاخلاص 31 مرة .

— الايمان ومشتقاته 811 مرة ، العلم ومشتقاته والمعرفة ومشتقاتها 811 مرة .

— لفظ الناس والانسان والانس والاناس والبشر 368 مرة ، لفظ الرسول ومشتقاته 368 مرة.

— لفظ الناس ومشتقاتها ومرادفها 368 مرة ، الفاظ الرزق والمال والبنين ومشتقاتها 368 مرة وهي مجموع متاع الانسان .

— الاسباط 5 مرات ، الحواريون 5 مرات ، الرهبان والقسيسون 5 مرات .

— الفرقان 7 مرات ، بنو آدم 7 مرات .

— الملكوت 4 مرات ، روح القدس 4 مرات .

— محمد 4 مرات ، سراج 4 مرات .

— الركوع 13 مرة ، الحج 13 مرة ، الطمانينة 13 مرة .

— لفظ القرءان 68 مرة ، لفظ الملائكة 68 مرة.

— لفظ القرءان ومشتقاته 70 مرة ، لفظ الوحي ومشتقاته 70 مرة فيما يخص وحي الله لعباده ورسله ، لفظ الاسلام ومشتقاته 70 مرة .
ويلاحظ ان عدد مرات ذكر الوحي هنا لا يتضمن آيات الوحي الى النمل او الى الارض او وحي الرسل للناس او وحي الشياطين .

— لفظ يومئذ وهو ما يشير الى يوم القيامة 70 مرة ، يوم القيامة 70 مرة .

— رسالة الله ورسالاته 10 مرات ، سورة وسور 10 مرات .

— لفظ الكفر 25 مرة ، لفظ الايمان 25 مرة .

— الايمان ومشتقاته 811 مرة ، الكفر والضلال ومشتقاتهما 697 مرة ، والفرق بين الرقمين هو 114 اى كعدد سور القرءان الكريم اذ يبلغ عددها 114 سورة .

— الرحمن 57 مرة ، الرحيم 114 مرة ، اي ضعف عدد ذكر الرحمن ، وكلاهما من اسماء الله الحسنى .
ويلاحظ انه لا يدخل فى العد هنا ذكر الرحيم وصفا للرسول عليه الصلاة و السلام وذلك فى قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم » .

— الفجار 3 مرات ، الابرار 6 مرات .

— ذكر القرءان ان عدد السموات 7 ، وكرر هذا 7 مرات ، وذكر خلق السموات والارض فى ستة أيام 7 مرات ، وذكر عرض الخلق على ربهم 7 مرات .

— اصحاب النار من الملائكة 19 ، وعدد حروف البسملة 19 .

— تكررت الفاظ الصلاة 99 مرة بعدد اسماء الله الحسنى .

* * *

وبعد ان اصدر الباحث الجزء الاول من هذا الكتاب لم ينقطع عن تتبع الموافقات العددية فى القرءان الكريم ، بل واصل البحث وتسجيل الملاحظات ، وكان ان اصدر الجزء الثاني متضمنا النتائج التالية :

— ذكر ابليس فى القرءان الكريم 11 مرة ، وتكرر الامر بالاستعاذة 11 مرة .

— السحر ومشتقاته 60 مرة ، الفتنة ومشتقاتها 60 مرة .

— المصيبة ومشتقاتها 75 مرة ، الشكر ومشتقاته 75 مرة.

— الانفاق ومشتقاته 73 مرة ، الرضى ومشتقاته 73 مرة.

— البخل ومشتقاته 12 مرة ، الحسرة ومشتقاتها

12 مرة ، الطمع ومشتقاته 12 مرة ، الجحود ومشتقاتـه 12 مـــرة .

— الاسراف 23 مرة ، السرعة 23 مرة .

— الجبر 10 مرات ، القهر 10 مرات ، العتو 10 مـــرات .

— العجب 27 مرة ، الغرور 27 مرة .

— الخيانة 16 مرة ، الخبث 16 مرة .

— الكافرون 154 مرة ، النار والحريق 154 مرة .

— الضالون 17 مرة ، الموتى 17 مرة .

— المسلمون 41 مرة ، الجهاد 41 مرة .

— الدين 92 مرة ، السجود 92 مرة .

— التلاوة 62 مرة ، الصالحات 62 مرة .

— الصلاة والمصلى 68 مرة ، النجاة 68 مرة ، الملائكة 68 مرة ، القرءان 68 مرة .

— الزكاة 32 مرة ، البركات 32 مرة .

— الصوم 14 مرة ، الصبر 14 مرة ، الدرجات 14 مـــرة .

— مشتقات العقل 49 مرة ، النور ومشتقاته 49 مـــرة .

— اللسان 25 مرة ، الموعظة 25 مرة .

— السلام 50 مرة ، الطيبات 50 مرة .

— الحرب 6 مرات ، الاسرى 6 مرات ، رغم عدم اجتماعهما فى آية واحدة بـــل ولا فى سورة واحـــدة .

— لفظ قالوا 332 مرة وهو يجمع كل ما قالـــه الخلق من الملائكة والجن والانس فى الدنيـــا والآخرة ، لفظ قل 332 مرة وهو الامر من الله لكل من خلق بالقول .

— النبوة 80 مرة ، السنة 16 مرة ، اي ان النبوة قد تكررت خمسة أضعاف ما تكررت السنة .

— السنة 16 مرة ، الجهر 16 مرة .

— الجهر 16 مرة ، السر 32 مرة ، اي ان الجهر قد تكرر نصف السر .

ويقول المؤلف فى خاتمة هـــذا الجـزء : **(هذا التساوي العددي فى الموضوعـــات التـــي يتضمنها هذا الجزء الثاني بالاضافـــة الى التساوي فى الموضوعات السابق ايضاحها فى الجـــزء الاول انما هي مجرد امثلة وشواهد .. وعبارات واشارات، فما زالت الموضوعات المتشابهة او المترابطـــة او المتناقضة المتساوية الاعداد او المتناسبة الارقام تفوق الحصر ، ولا تدركها الطاقة))** .

* * *

وهكذا استمر الباحث فى بحثه هـــذا الى ان اصدر الجزء الثالث من هذا الكتاب حيث يسجـــل فيه المعلومات التالية :

— الرحمة 79 مرة ، الهدى 79 مرة .

— المحبة 83 مرة ، الطاعة 83 مرة .

— البر 20 مرة ، الثواب 20 مرة .

— القنوت 13 مرة ، الركوع 13 مرة .

— الرغبة 8 مرات ، الرهبة 8 مرات .

— الجهر 16 مرة ، العلانية 16 مرة .

— الغواية 22 مرة ، الخطأ والخطيئة 22 مرة .

— الفحشاء 24 مرة ، البغي 24 مرة ، الاثـم 48 مـــرة .

— القلة 75 مرة ، الشكر 75 مرة .
ولا تنس! لعلاقة بين القلة والشكر ، فاللـــه سبحانه وتعالى يقول : « وقليل من عبـــادي الشكـــــور » .

— الحراثة 14 مرة ، الزراعة 14 مرة ، الفاكهـة 14 مرة ، العطاء 14 مرة .

— النبات 26 مرة ، الشجر 26 مرة .

— النطفة 12 مرة ، الطين 12 مرة ، الشقاء 12 مـــرة .

— الالباب 16 مرة ، الافئدة 16 مرة .

— الشدة 102 مرة ، الصبر 102 مرة .

— الجزاء 117 مرة ، المغفرة 234 مرة اي ضعف ما ذكر الجزاء .

وتلاحظ هنا اشارة لطيفة وهي سعة مغفرة الله سبحانه ، اذ ذكر لنا الجزاء في كتابه الكريم مرات كثيرة ولكنه سبحانه ذكر المغفرة مرات اكثر هي بالضبط ضعف عدد مرات ذكر الجزاء.

— المصير 28 مرة ، ابدا 28 مرة ، اليقين 28 مرة .
— الناس والملائكة والعالمون 382 مرة ، الآية والآيات 382 مرة .
— الضلالة ومشتقاتها 191 مرة ، الآيات 382 مرة ، اي ضعف ما تكررت الضلالة .
— الاحسان والخيرات ومشتقاتهما 382 ، الآيات 382 مرة .
— القرءان 68 مرة ، النور والحكمة والتنزيل 68 مرة .
— القرءان 68 مرة ، بينات ومبينات وموعظة وشفاء 68 مرة .
— محمد 4 مرات ، الشريعة 4 مرات .
— لفظ الشهر 12 مرة بعدد شهور السنة .
— لفظ اليوم ويوما بالافراد 365 مرة بعدد أيام السنة .
— لفظ أيام ويومين بالجمع والتثنية 30 مرة بعدد أيام الشهر .
— الاجر 108 مرة ، الفعل 108 مرة .
— الحساب 29 مرة ، العدل والقسط 29 مرة .

* * *

واعود الآن بعد هذا العرض المقتضب لاجزاء الكتاب الثلاثة الى الآية القرءانية الكريمة التي افتتح بها الباحث كل جزء من أجزاء هذا الكتاب ، وهي قوله تعالى :

« وما كان هذا القرءان ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » .

ولا بد من وقفة تأمل في هذا التناسق والتوازن .. هل هو صدفة ؟ هل هو حادثة عفوية ؟ او واقعة عشوائية ؟ ؟ . . .

العقل السليم والمنطق العلمي يرفض مثل هذه التعليلات التي لم يعد لها في ميزان العلم اليوم ادنى ذرة من نصيب ، ولو وقف الامر عند تناسق في عدد كلمتين أو بضع كلمات لظن الانسان انه لا يعدو مجرد توافق غير مقصود . . . ، لكن لما كان التوافق والتناسق يصل الى هذا الحد الواسع والمدى البعيد ، اذا فلا شك ان هذا امر يراد وتوازن يقصد. **« الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان »** . **« وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم »**.

* * *

والاعجاز العددي للقرءان الكريم لا يقفه عند هذا الحد من عد الالفاظ ، بل يتجاوزه الى درجة اعمق وادق هي الحروف ، وذلك ما قام به الاستاذ رشاد خليفة .

— اول آية في القرءان هي : (بسم الله الرحمن الرحيم) وعدد حروفها 19 حرفا ، ووردت لفظة « اسم » في القرءان 19 مرة ، ولفظة « الله » 2698 مرة اي (19 × 142) اي من اضعاف الرقم 19 ، ووردت لفظة « الرحمن » 57 مرة اي (19 × 3) اي من اضعاف الرقم 19 ، ووردت لفظة « الرحيم » 114 مرة اي (19 × 6) وهذا من اضعاف الرقم 19.

— سورة البقرة افتتحت بالحروف الثلاثة : ا. ل. م. وهذه الحروف تتكرر في السورة بمعدل أعلى من باقي الحروف ومعدل الالف اعلى ثم اللام ثم الميم .
كذلك في السورة آل عمران (ا. ل. م.) ، وسورة الاعراف (ا. ل. م. ص.) وسورة الرعد (ا. ل. م. ر.) ، وسورة ق ، وسائر السور المفتتحة بالحروف المقطعة ، الا في سورة يس فان الياء والسين تردان في هذه السورة بمعدل اقل من ورودهما في جميع سور المصحف المكية والمدنية ، ولذا فقد جاءت الياء قبل السين على عكس ترتيب الحروف الابجدي .

— جميع الحروف المقطعة فى اوائل السور تتكرر الى اضعاف الرقم 19 .

— الحروف ا. ل. م. ر. فى سورة الرعد تتكرر 1501 مرة ،(اي 19 × 79) .

— الحروف ك. هـ. ي. ع. ص. فى سورة مريم تتكرر 798 مرة ، (اي 19 × 42) .

— الحرفان ط. هـ. فى سورة طه يتكرران 342 مرة ، (اي 19 × 18) .

— الحرفان ح. م. فى جميع السور المفتتحة بـ حم يتكرران 2166 مرة ، (اي 19 × 114) .

— الحرف ن. فى سورة القلم يتكرر 133 مرة ، (اي 19 × 7) .

— والامر الذي يثير الدهشة حقا هو ان كلمة (بسطة) فى سورة الاعراف قرئت بالسين وبالصاد فى القراءات المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسمت فى المصحف بالصاد رغم انها مشتقة من فعل بسط ، وخط المصحف كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسب ارشاده .
ولو كتب بالسين لما كان تكرار الحرف ص من اضعاف الرقم 19 .
« وزادكم فى الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون » . رقم الآية 69 .

— الحرف ق فى سورة ق يتكرر 57 مرة ، (اي 19 × 3) .
ومما يزيد المؤمن ايمانا بان القرءان لا تنقضي عجائبه هو ان قوم لوط ذكروا فى القرءان مرات بقوم لوط فى غير سورة ق ، اما فى هذه السورة فقد ذكروا باسم « اخوان لوط »، اذ لو ذكروا فيها بقوم لوط لبلغت القافات 58 وهو رقم لا علاقة له بالرقم 19 ، لكن لما ذكروا باخوان لوط كانت القافات 57 وهو من اضعاف الرقم 19 . « وعاد وفرعون واخوان لوط » . رقم الآية 13 .

* * *

يقول الدكتور مصطفى محمود فى كتابه « من اسرار القرءان » فى فصل « الحروف والاعداد » :

(فهل كل هذه مصادفات ؟ ام هي اشارة الى وجه آخر من وجوه الاعجاز فى ذلك الكتاب المحكم لفظا ومعنى وحروفا واعدادا . وهي كما قلنا اشارات ودلالات تنفي شبهة التاليف عن القرءان ، فلا يستطيع مؤلف ان يصنف فى ذهنه حروفا واعدادا ثم يؤلف عليها مقالات ، ولم يقل الرسول عليه الصلاة والسلام لاحد ان بكتابه اي اعجاز عددي ، بل على العكس كان ينهى بشدة عن الاشتغال بعلوم الحروف والاعداد فى زمانه .

هل نحن على ابواب علم جديد !

ان بعض الناس ينظر باستنكار واستهجان الى هذه النظرة الاحصائية لحروف القرءان وكلماته ويرى انها تصرف القارىء عن تدبر معاني الكتاب الكريم ويخشى فتح هذا الباب . ونحن لا نشجع احدا على الانصراف عن تفهم القرءان الى عد حروفه، وليس عند كل قارىء عقل الكتروني ، فالمشكلة غير واردة ، والخوف ليس له مبرر ، انما هو اجتهاد يطرح امامنا ملاحظة ، وعلى من ينكر ان يجد لنا تفسيرا .

وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام عن القرءان انه كتاب لا تنقضي عجائبه . وهذه عجيبة من عجائبه .

وقال ربنا : « الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان » .

واي ميزان ؟ انه ميزان يدق حتى يزن الشعرة والحرف والرقم . انها ظاهرة جديرة بالاهتمام ، وحجة جديرة على ان ذلك الكتاب الذي نتداوله ونتلوه ليس من الكتب العادية فى شيء) .

ويقول الاستاذ رشاد خليفة : ان هناك ثلاثة احتمالات فقط تشرح معنى هذه الحقائق القرآنية :

— الاحتمال الاول هو ان كل هذا حدث بالصدفة . وهذا مرفوض بمنطق العلم والعقل معا .

— الاحتمال الثاني هو ان محمدا هو الذي وضع القرءان من عنده . وهذا الاحتمال يرفضه العقل ايضا ، لانه يعني ان رجلا اميا لا يقرا ولا يكتب

ولا يعلم علوم الحساب او الطبيعة او الاحياء او الفلك او ... او ... هذا الرجل كتب كتابا كبيرا تتركب الجملة الاولى فيه من 19 حرفا وتتكرر كل كلمة من كلمات هذه الجملة في الكتاب كله عدة مرات تكون من مكررات الرقم 19 ومضى يكتب طوال 23 عاما بهذا النظام ! ان هذا الاحتمال يسقط فورا اذا تمعن فيه الانسان .

— ويبقى الاحتمال الثالث وهو الذي يقتنع به اي انسان عاقل ، وهو ان الخالق القادر على كل شيء ، الله سبحانه وتعالى ، هو منزل القرءان الكريم .

ويستطرد الباحث قائلا : ان كل ما وفقه الله للوصول اليه يثبت حقيقتين مؤكدتين :

الاولى ان القرءان الكريم كتاب سماوي منزل لم يضعه بشر وانما هو من عند الله وحده .

الثانية ان القرءان الكريم وصل الينا سالما محفوظا من اي تحريف او تحوير او زيادة او نقصان.

الرباط : صلاح الدين الادلبي

العقاد

ومبدأ المسؤولية

للأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله

العقاد بحق ، طود شامخ من اطـــواد الثقافـــة العربية فى العصر الحديث ورائد كبيـــر من رواد البعث العربي الاسلامي بما خلفه من تراث ضخم فى مختلف ضروب المعرفة وما كان يسم تكوينه الفكري من احاطة وشمول وموضوعية واستقصاء .

كان سعد زغلول يدعوه بالجبار ..

كما كان الاكبار بينهما متبادلا ، فقد سمـــى العقاد مدفن زعيم مصر الكبير ساحة الخلد ، واقسم وهو بالسجن أن يبرحه مباشرة الى ساحة الخلد ، ليترحم على روح القائد الكبير ، وفاء للرائد الراحل بما بثه فى القلوب والعقول من وطنيـــة وحمـــاس واقـــــدام .

وقد كان العقاد ، بالفعل ، جبارا بكل ما يمكن أن يوحي به الجبروت من مفاهم انسانية .

العقاد جبار باستيعابــــه لمختلــــف الافكـــار والايديولوجيات والمذاهب التي تمثلها جميعـــا على تضاربها وتباين مقاصدها واختلاف الازمة والامكنة التي نشأت وعاشت وماتت فيها ... (1)

والعقاد جبار لانه ليس فى استطاعة اي كان أن يتربى على الصرامة والقسوة والجد ، فيتلمسها كلها فى نفسه قبل أن يفرضها على غيـــره ويغالــي فى المطلب كما يحلو للبعض أن يقول ...

والعقاد جبار لانه كان يفسح فى حياته اليومية للاطفال مملكة يرتعون فيها ويمرحون ، ويسالون فلا يمنعون ، وهو الذي لم ينجب طول مقامه بهذه الحياة الفانية طفلا يحمل اسمه ويصيب من وجدانه كثيرا أو قليلا من الحدب والرعاية والاهتمام .

قرأ العقاد عن كل شيء وكتب عن كل شـــيء ، وكانت قراءاته المفضلة فى طبائع الحشرات لانها فى

---

(1) فلاسفة الحكم فى العصر الحديث للاستاذ عباس محمود العقاد ـ سلسلة اقرأ ـ دار المعارف ـ القاهـــــرة .

اعتقاده مسودة الحياة ، وقرا فى عقائد المفكرين لانها الموضوع الذي ما فتىء يستبد ، منذ بدء الخليقة ، بتفكير الانسان ، ولم تجد له الانسانية وجهة يستقر عليها ، فلا جدال بعدها ولا خصام .

شب العقاد وترعرع فى بيئة محافظة ، وكان ابوه يدعوه الى احاديث السمر التي تنتظم شيوخا واعلاما فى سن والده ، لا يمزحون لحظة واحدة الا ثابوا بعدها الى رشدهم ووقارهم .

وكان السيد الوالد ــ كما يقول العقاد نفسه ــ يمنعه من الاجتماع بالنساء من اقرب قريباته ويدعوه الى حضور ندوة الكبار لانها « افيد واوفق للرجال من امثاله » . واذا كنا ، مع تقدم علوم النفس والتربية، لا نقرأ حدا على هذا المبدأ ، فانه ــ على الاقل ــ من الدلالات الواضحة التي كان لها الاثر البارز فى القاء النور على نفسية العقاد ، وبالتالي ، فان هذه الجلسات قد افادته غاية الافادة لانه تعلم منها التوقر قبل سن الوقار وان كانت قلما تخلو من بعض الاضرار .

على هذه السنة من الصرامة فى الجد او الجد فى الصرامة ، نشأ العقاد فى بيت يرين عليه جو الاستقامة والتقوى والزهد فى ملذات الحياة . فقد ارتسمت فى ذهنه منذ طفولته الباكرة صورة والده على مصلاه ، يؤدي صلاة الصبح ويجلس على سجادة الصلاة ، من مطلع الفجر الى ما قبل الافطار ، ليتلو سورا خاصة من القرءان الكريم ويعقبها بتلاوة الدعوات . وفتح عينيه على امه يراها وهي تصلي ، وتؤدي الصلاة فى مواقيتها ، ولم يكن من عادة المراة ان تصلي فى شبابها . انما كانت النساء لا يصلين الا عند الاربعين ... (2) .

ولعل من بين الاحداث التي عمقت وعيه بالمسؤولية منذ صباه مسالة حسابية كان شديد الولع بها وبأمثالها لا يدعها بغير حل مهما بلغ من اعضالها .

عرضت المسالة فى بعض الحصص ولا وجود لها فى دفتر الرياضيات ، فحاول وزملاءه أن يعالجوها خلال الحصة دون ان يهتدوا الى حلها ، ووجب فى الحال ان يحلها الاستاذ لتلاميذه فلم يفعل ، وقال على سبيل التخلص : « انما عرضتها عليكم امتحانا لكم ، لتعرفوا الفرق بين مسائل الحساب ومسائل الجبر » .

لم يصدق العقاد ولا كف عن المحاولة فى بيته، وقضى ليلة ليلاء حتى الفجر ،وهو يقوم ويقعد عند السبورة حتى امتلأت من الجانبين بالارقام ... وجاء الفجر قبل مطلع النهار ، فاذا بالمسالة محلولة، واذا بالمراجعة تثبت له صحة الحل ، فيحفظ سلسلة النتائج ويعيدها ليستطيع تبيانها فى المدرسة دون ارتباك أو نسيان .

وغدا ليتحدى الاستاذ ، وحاول الاستاذ ان يقاطعه مرة بعد مرة ، ولكن سلسلة النتائج كانت قد انطبعت فى ذهنه لشدة ما شغلته ، مع طول المراجعة وتكرارها ...

ووقع الاستاذ فى مأزق ، فنظر الى العقاد شزرا وهو يقول : « لقد اضعت وقتك على غير طائل، لانها مسالة لن تعرض لكم فى امتحان » .

وعقب الزملاء بما يعضد مقولة الاستاذ . !

يقول العقاد : « كانت هذه صدمة خليقة ان تكسرني كسرا لو ان اجتهادي كان محل شك عندي او عند الاستاذ أو عند الزملاء ، اما وهو حقيقة لا شك فيها ، فان الصدمة لم تكسرني ، بل نفعتني اكبر نفع حمدته فى حياتي ، وصح فيه قول نيتشه : (ان الفضل قيمته فيه لا فيما يقال عنه ، أيا كان القائلون) ... ولم يحفل بعدها بانكار زميل او رئيس » (3) .

وكان العقاد رحمه الله يضع لحياته اليومية برنامجا مضبوطا يسير عليه ولا يحيد . وقد يسر له

(2) « انا » مقالات متفرقة لعباس محمود العقاد جمعها له بعد وفاته وقدم لها تحت هذا العنوان : « طاهر الطناحي » ــ دار الهلال ــ القاهرة.

(3) المصدر السابق .

ذلك أن يسهم بانتظام فى مختلف الانشطة الفكريـــة والثقافية ببلاده ويضبط مواعيد القراءةو الكتابـــة والطعام والرياضة والراحة . وكان يردد دائما : ان ضبط المواعيد مقياس الشعور بالمسؤولية .

واذكر ان رئيس تحرير مجلة الهلال التي كان العقاد يكتب فيها كثيرا اشار فى افتتاحية احد اعداد سنة 1962 الى ان التزامات كتاب المجلة تعرقـــل كثيرا صدور الاعداد فى اوانها وان العقاد هو الكاتب الوحيد الذي يسلم بحثه أو مقاله فى موعده المضبوط .

وحادثة اخرى أبعد دلالة على احترام العقـــاد للمواعيد وتقديره لروح المسؤولية ، حادثة كتـــب عنها بعد وفاته بقليل ابن اخيه وملازمه عامر العقاد ، نسردها كما ترد على الذاكرة فى غير ما ضبط كبير او تفصيـــــــل (4) .

غير خاف على جمهرة المثقفيـــن أن عبـــاس محمود العقاد من أفقر الكتاب فى زمانه ، فقد كان يعيش من عائدات كتبه ومقالاته لايبتغي عنها بديلا مما كان يعرض عليه من سامي المناصب والالقاب وقد اقترح عليه احد الاثرياء من سراة السعوديين وضع تفسير للقرءان الكريم مقابل مبلغ كبير مـــن الجنيهات . واتفق الطرفان على لقاء ثان فى الساعة السابعة من مساء اليوم التالي للبث فى آخر ترتيبات الاتفـــــاق ..

وقبل السابعة ، نزل العقاد الى غرفة الاستقبال وجلس وعيناه على عقارب الساعة ، ينتظر وصـــول

الضيف السعـــودي .. وحانـــت السابعـــة ... وانصرمت بعدها خمس أو عشر دقائق فنظر العقاد الى ابن اخيه مغضبا وهو يقول ما فحواه : والله لو جاءها بعد الآن فلن يدخل ابدا .

واحرجت كلمات العقاد ابن اخيه ، فاخذ يعد كلمات الاعتذار والاسف مما يقال فى مثل هذا المقام، واذا بصاحبنا يدق الجرس ، فهتف العقاد : أدخله ! وما ان استقر المقام بالثري السعودي حتى أمر له العقاد بالقهوة وعصير الفاكهة ، ثم التفتا ليه وقال:

يؤسفني ايها الشيخ انه لا يمكنني التعامل معك لانك تخل بمواعيدك ، فخال الثري انها سورة غضـــب لا تلبث أن تزول . وتحدثا لماما ثم نهـــض الشيـــخ للانصراف واخرج دفتر الشيكات قائلا : على بركـــة الله يا استاذ عقاد . فأجابه العقاد : قلت لك انه لا يمكنني التعامل معك . واذا قال العقاد لا فـــلا الى الابد ، وان كنت لم تعرف هذا فى طبعي فانك لـــم تعرف عن العقاد بعد شيئا ! .

فى هذا الاطار ، أردنا ان نضع العقاد لنرى الى اي حد تؤثر طبيعة المزاج لدى المفكر فى اتخـــاذ مواقفه وتحديد نوع سلوكه .

ذلك انه كان يرى انه باحث علم النفس افادت افادة جليلة فى كل ناحية من نواحيها : افادت فى التعليم وفى التشريع وفى الادب والفلسفة ، ولعلها افادت على صعيد السياسة فى فهم اطوار الجماعات والطوائف التي تشتغل بالشؤون السياسية ، ولكنها جمعت حتى افلت عنانها من الايدي القادرة عليه ، وخيف بعد ذلك ان تضر وتتلف حيث كانت تصلح وتفيـــد .

من اضرارها البليغة انها كادت ان تجعل الكرة الارضية كلها مستشفى للامراض العقلية او للاحوال النفسية الغريبة . وما من احد يداخله هذا الوهم يجتهد فى اصلاح عيوبه ، لانها فى ظنـــه اصيلـــة متعمقة فى ضميره ، ويحسب كل مخطيء أو مجرم انه معذور لا يؤاخذ بخطئه أو جريمته ، لانها حالة مرض وليست بحالة تخضع للارادة والتفكيـــر او تستدعي استجلاء جانب المسؤولية فى الخطـــا او الجريمـــــة .

ومرد هذا الشطط فى نظره الى ان الدراسات النفسية كانت فى أول القرن العشريـــن بدعـــة ، فانتشرت كما تنتشر كل بدعة ، وزادها انتشارا أن العصور الغابرة اهملت جانب البواعـــث النفسيـــة واسرفت فى اهمالها ، فكان التعليم يجـــري على قواعد آلية ، تعتمد على الذاكرة دون غيرهـــا مـــن الملكات الذهبية ، وكانت القوانين تصدر وتســـري

---

(4) آخر كلمات العقاد لعامر العقاد (المقدمة) ـ سلسلة اقرا ـ دار المعارف ـ القاهرة .

على الناس كأنهم مجموعة متساوية متشابهة من المادة الصماء ، وكانت سياسة الامم على هذا النحو من التحجر والجمود ولا تعني كثيرا بالبواعث والغايات ، الا ما اتفق عفوا بغير قصد من الحاكمين او المحكومين .

وقفزت هذه الدراسات فى طريقها قفزا سريعا لانها وجدته خاليا يتسع لكل طارق ولم تلبث ان شملت كل منحى من مناحي البحث والدراسة حتى حق لبعضهم ان يقول متهكما : لم تبق الا دراسات نفسية للجمادات .. (5) .

واوشكت المباحث الاجتماعية فى اسباب الاجرام ايضا ان تكون فى اعتقاده حافزا من حوافز الاجرام ، لانها أوشكت ان تضعف الايمان بالمسؤولية الشخصية ، وقد أوشكت ان تلقي التبعات جميعا على المجتمع وان تبرىء منها جناتها كأنهم ضحية « غير مسؤولة » فى احوالهم واحوال المجتمع كافة .

كلما تعددت الجرائم قيل ان اسبابها ترجع الى ظروف المعيشة ، او الى اساليب التربية ، او الى زعازع الحروب والتطورات وما اليها او التأثير السيء لافلام الصور المتحركة والروايات المبتذلة ، وكدنا ننسى ان المجتمع قد يكون مجنيا عليه فى بعض الاحوال كما يكون جانيا فى بعض الاحوال الاخرى ، وقد يجني الافراد عليه كما يجني هو على الافراد . اذ ليس المجتمع شبحا ضخما مستقلا عن افراده يبطش بهم وهو آمن منهم ان يمسوه بسوء ، بل هو على كل حال مجموعة من أولئك الافراد يسيئون اليه ويسيء اليهم ، ولا يصح على اية حال ان يتجردوا من تبعاتهم وجرائر اعمالهم فيما يجنون عليه .

لا بد من « حسبان المسؤولية الشخصية » فى كل دراسة اجتماعية ، كائنا ما كان النقص الذي يعاب به المجتمع على هدى او على ضلال .

وليس احب الى الجناة ، ولا اشد اغراء لهم بالجناية ، من اعفائهم من تبعاتها والقاء هذه التبعات على كل احد غير من يجنيها . فمن قديم الزمان يكره الناس اللوم والمؤخذة ويسرعون الى انتحال كل عذر مقبول او غير مقبول . فاذا اصبحت الاعذار حجة علمية تتكرر على المسامع ليل نهار ، فلا جرم يقصدها الجاني ويفرح بها ويستمرىء الجناية ويزعم انه ضحية تستحق الرثاء ، وانه صاحب حق ينتقم لنفسه من جناية المجتمع عليه .

فالحق ان المسؤولية الشخصية قد اوشكت ان تنسى فى العصر الحاضر مع ان الاصلاح كله لم يتحقق يوما ولن يتحقق غدا بغير الاعتماد على هذه المسؤولية (6) .

وهذه الآفة لها جذورها وعللها فى العصور المتأخرة . وقد استنام لها عصرنا الحاضر وبالغ فى الاستنامة فلم يسلم من عواقبها المعروفة .

منذ ما ينيف على ثلاثة قرون والعالم يسمع بطلب الحقوق على اختلافها ، فيسمع يوما بحقوق الرعية عند ملوكها وأولي الامر فيها ، ويسمع تارة بحقوق الامم المغلوبة عند الدول الغاصبة ، ويسمع حينا بحقوق الارقاء وحينا آخر بحقوق الاجراء ، ويسمع من خلال ذلك كله بحقوق المرأة وحقوق الانتخاب وحقوق المحكومين وحقوق الامم من كل قبيل .

وكل هذه حقوق لا شك فيها ...

ولكن الشك كل الشك حين تقنع الانسان انه يحق له كل شيء ولا يجب عليه شيء ! وانه يملك الحق فى المطالبة بكل الحقوق ولا يجوز لاحد ان يطالبه بالواجبات .

وعلى هذا ، يستطيع المؤرخ ان يقسم التاريخ كله الى شطرين متقابلين : شطر العصور الماضية وقد كان شعاره : يجب عليك ... وشطر العصور الحديثة وقد أصبح شعاره : يحق لك ... وهما كما سبق نقيضان متقابلان .

---

(5) الحالات النفسية بعد منتصف القرن العشرين لعباس محمود العقاد ـ من منشورات وزارة الارشاد القومي بمصر .
(6) العلم والحياة الاخلاقية لماكس اوتو

كان الشباب في العصور الغابرة يسمع دعوة الواجب من كل صوت .

كان صوت الدين يقول له : يجب عليك ...
وكان صوت البيت يقول له : يجب عليك ...
وكان صوت الاب يقول له : يجب عليك ...
وكان صوت الحاكم يقول له : يجب عليك ...
ثم علت صيحة الحقوق في العصر الحديث فلم تزل بالناشئين من اجيالها حتى كادوا يقولون : يحق لنا كل شيء ولا يجب علينا شيء .

وكلا النقيضين ، كما نرى ، طرف بعيد من الصواب ، فلا صواب في الايمان بالحق وحده ، ولا صواب في الايمان بالواجب وحده . انما الصواب بينهما ان نؤمن بالمسؤولية الشخصية وان نربي الناشئين على اعتمادها ، لانها هي قوام الحقوق والواجبات ، ولا امل في اصلاح يتناول اخلاق المجتمع او اخلاق الفرد بغير التعويل على هذه المسؤولية (7) .

لما قام موسوليني بدعوة الفاشية ، ظن العاملون في حقل الاخلاق انه اهتدى الى الترياق ، لانه يروض الجيل الجديد في بلاده على الطاعة العمياء ، فلا يلفظ بحق ولا يبحث عن واجب ، الا ان ينقاد لمن يقوده بغير سؤال .

وكانت الفاشية على هذا النحو تهدم الاخلاق — كما يقول — من اساسها ، فلا خير يرجى منها لاخلاق البشر حتى في الطاعة العمياء ، لان الآلات تطيع والحيوان يطيع ، ولكن الانسان يمتاز عنهما بطاعة المسؤول أو طاعة الشعور بالتبعية والنهوض بها ، وعيناه مفتوحتان .

ثم جاءت ساعة الامتحان في اول صدمة ، فانهزم ثلاثمائة الف من الذين رباهم موسوليني منذ الطفولة امام عشرين الفا على غير استعداد كبير في ميدان الصحراء المغربية ، ولم يتعلم جنود الفاشية شجاعة الآلات ، ولا شجاعة الحيوان ، ولا شجاعة الانسان .

والعلة كامنة في انهم نشأوا بغير مسؤولية يشعرون بها ، بل هربوا من المسؤولية لانهم هربوا من مواجهة الحيرة ومواجهة الاختيار ، فكانت تربيتهم في الحقيقة هربا من التربية السليمة اذ لا تربية بغير اخلاق ، ولا اخلاق بغير تبعة ومسؤولية ينهض بها الانسان على علم بحقه وعلى علم بواجبه ، وعلى هدى مما ينبغي له بين قومه وما ينبغي عليه .

واخيرا فان خير ما يمكن ان نطلبه من الخبراء الاجتماعيين هو ان يثابروا على دراسة الآفات والعيوب في مجتمعنا وفي غيره من المجتمعات ، دون اغفال المسؤولية الشخصية فيها ، اذ لا كرامة للانسان دون ضمان هذا الشرط الجوهري في تنشئة الاجيال .

الرباط : عبد الرحمن بنعبد الله

(7) خطر الدراسات الاجتماعية ، حديث القاه الفقيد عباس محمود العقاد من اذاعة القاهرة .

من ديوان : "أغاني الصغار"
بمناسبة السنة الدولية للطفل



"هل السنوات يجب أن تكون سنوات الطفل"

للأستاذ الشاعر أحمد عبد السلام البقالي

قيل لي : « في ليلة القد ر ترى بباب السماء
ليلة القدر سناء وسمو ، وارتقاء
وصفاء ، ونقاء وصلاة ، ودعاء »

* * *

فسهرت الليل وحدي شاخصا نحو الفضاء
ورجائي جاهز ، ان فتحت باب الرجاء
طلبي دراجة أر كبها حيث أشاء
وحزام فيه فرد ي وطربوش رعاء (1)
بهما اختال في الحا رة بين الأصدقاء

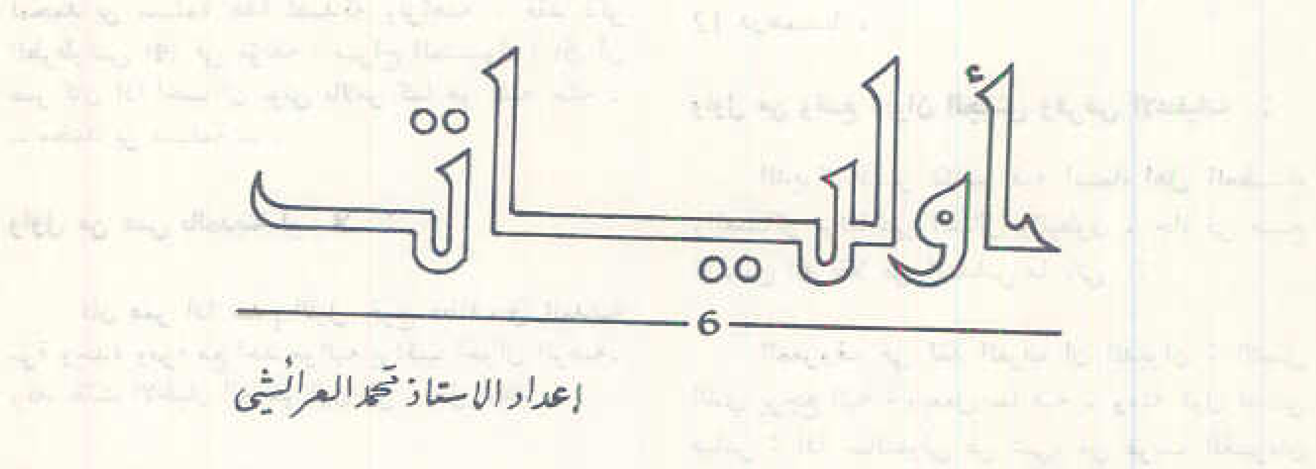
* * *

وأتى الصبح وغطى انجم الليل الضياء
فاذا بي نائم في مقعدي دون غطاء
فتحسرت لنومي دون تحقيق الرجاء
وأتت أمي تواسيـ ـني ، وترجو لي البقاء :
« سترى ، يا ولدي ، في ليلة باب السماء ؛
وسندعو الله أن يعـ ـطيك ما شئت وشاء ،
فاطلب الجنة في الدنـ ـيا وفي دار البقاء ،
قبها من لعب ما لم ينله الاغنياء ! »

أحمد عبد السلام البقالي
ليلة القدر 1399

---

(1) رعاء : رعاة البقر وغيرها .



6

إعداد الاستاذ محمد العرائشي

اول من فرض للقاضي في بيت المال :

لما عين عمر زيد بن ثابت الانصاري (1) قاضيا فرض له في بيت المال معاشا ..
قال ابن حجر في الفتح : استعمل عمر عبد الله ابن مسعود على القضاء وكتب الى عماله :
استعملوا صالحيكم على القضاء واكفوهم .

واول من طلب حكم القاضي :

اشترى عمر فرسا فركبه ، فاصيب الفرس بعطب ، فقال لصاحبه : خذ فرسك ، فأبى صاحبه فقال عمر : اجعل بيني وبينك حكما ، فتحاكما الى شريح ، فقال شريح : يا امير المومنين ، خذ ما ابتعت ، او رد كما اخذت ، فقال عمر : وهل القضاء الا هكذا . سر الى الكوفة ، فبعثه قاضيا بها .

واول من فصل السلطة التنفيذية عن السلطة القضائية

اول عمل قام به رضي الله عنه في ميدان القضاء ، هو فصل سلطة القضاء عن سلطة الولاية . وكان ولاة الامصار قبل ذلك يقومون بأعمال الولاية والقضاء ، ويجمعون الى السلطة التنفيذية السلطة القضائية ايضا . وصار للقاضي في عهده كل سلطات امير المومنين القضائية ، وليس للوالي عليه سلطان، فان التبس على القاضي امر كتب في شأنه الى الخليفة .

قال الدكتور احمد عبد المنعم البهي في مقال له نشر في العدد 83 من مجلة العربي (2) تحت عنوان : (عمر يفصل بين السلطتين) : وربما كان ذلك حرصا منه على أن يتفرغ الولاة للتنظيم الاداري والسياسي في هذه الولايات التي كانت حديثة عهد بتعاليم الاسلام ونظمه ، ويتفرغ القضاة لتحقيق العدالة على أتم وجه واكمله في خلافات الناس ومنازعاتهم .

واول من عين من يحقق في الشكايات :

فقد عين محمد بن مسلمة الاوسي

(1) من اكابر علماء الصحابة . كان مرجعا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض . وتقدم في الحلقتين الاولى والرابعة انه هو الذي جمع القرءان في مصحف واحد . وانه من كتاب الوحي . توفي – سنة 45 هـ – في قول الاكثر .

(2) عدد اكتوبر 1965 .

الانصاري (3) ليستقصي اخبار العمال ويحقق الشكايات التي تصل اليه من عماله . وكان يطمئن لمحمد بن مسلمة هذا لصدقه ونزاهته . فقد ذكر الطرطوشي (4) فى مؤلفه (سراج الملوك) (5) أن عمر كان اذا أحب ان يوتي بالامر كما هو عليه بعثه . ـ محمد بن مسلمة ـ .

واول من عس بالمدينة ليلا :

كان عمر اذا تقدم الليل خرج فطاف فى المدينة مرة وحده ومرة مع أحد مواليه يراقب احوال الرعية. وقد نقلت الاخبار انه هو اول من فعل ذلك .

وأول من فتح الفتوح :

فقد فتح العراق كله : السواد والجبال . وفتح اذربيجان ، وفارس والموصل ، ومصر والاسكندرية. ولما مسح السواد ، اتخذ الذراع الذي تذرع به الارض ، فقيل بسبب ذلك : ان عمر هو اول من اتخذ الذراع . وقيل ان أول من اتخذه هو زياد .

وأول من مصر الامصار فى الاسلام :

فقد مصر الكوفة والبصرة والجزيرة والشام ؛ ومصر والموصل . وامر ببناء البصرة والكوفة فبنيتا.

وأول من وضع الخراج والجزية :

فقد فرض الخراج على الارض ، والجزية على جماجم أهل الذمة فيما فتح من البلدان ، ففرض على الغني 48 درهما وعلى الوسط 24 درهما وعلى الفقير 12 درهما .

وأول من وضع ديوان الجيش وفرض الاعطيات :

الديوان دفتر تكتب فيه أسماء أهل العطاء والعساكر مرتبا على القبائل والبطون . جاء فى صبح الاعشى (6) نقلا عن النحاس ما ياتي :

المعروف فى لغة العرب أن الديوان : الاصل الذي يرجع اليه ، ويعمل بما فيه . ومنه قول ابن عباس : اذا سالتموني عن شيء من غريب القرءان فالتمسوه فى الشعر ، فان الشعر ديوان العرب (7). ويعتبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من دون الدواوين فى الاسلام ، ورتب الناس على سابقتهم فى العطاء وفى الاذن والاكرام كما نص عليه النووي (8) فى تهذيب الاسماء واللغات فقد جعل الدواوين على الطريقة الفارسية فأحصى أصحاب الاعطيات ، ووزع المرتبات عليهم . ففرض لاهل بدر والمهاجرين والانصار ولازواجه ـ صلعم ـ وكان أهل بدر اول الناس دخولا عليه ، وعلي ابن أبي طالب أولهم ؛ واثبت أسماءهم فى الديوان على قربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبدأ ببني هاشم وبني المطلب ثم الاقرب فالاقرب (9) ، وهذا النظام الذي وضع عليه عمر الديوان جديد من جميع نواحيه كما ذكره الدكتور طه حسين فى كتابه (الخلفاء الراشدون) ؛ حيث قال : ان نظام العطاء كما فرضه عمر جديد من نواحيه ، لا نعرف أن أمة من الامم التي سبقت العرب

---

(3) ابو عبد الرحمان . صحابي جليل توفي بالمدينة المنورة ـ سنة 43 وقيل 46 هـ ـ .
(4) ابو بكر محمد بن محمد الفهري المالكي المتوفى ـ سنة 520 هـ .
(5) ص 115 .
(6) ج : 1 ص : 89 .
(7) ويطلق الديوان على الموضع الذي يجلس فيه الكتاب ، كمايطلق على مجلس الوالي الذي يجتمع فيه للمفاوضة فى الامور السياسية .
(8) ابو زكرياء محيي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة 676 هـ .
(9) جميع ما ذكر فى هذه الفقرة خاص بنظام ديوان الجيش . أما ديوان الانشاء ، فقد وضع على عهده صلى الله عليه وسلم ويعتبر اول ديوان فى الاسلام لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكاتب الامراء واصحاب السرايا من الصحابة والى من قرب من ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام ويكاتبونه .

الى الحضارة عرفته او عرفت شيئا قريبا منه ، وانما نعرف ان بعض الامم القديمة ، كانت تستأجر الجنود للحرب ، ولا تحرمهم نصيبا من الغنائم قليلا او كثيرا ، ونعرف ان بعض الحكومات القديمة ، كانت تقطع الجنود أجزاء من الارض اذا تقدمت بهم السن يعيشون من غلاتها . فاما ان تكفل الدولة رزق المسلمين جميعا على هذا النحو ، فلسنا نعرفه في التاريخ القديم ، وما اظن ان الحضارة الحديثة وفقت اليه ا هـ .

واول من نظم بيت المال :

فجعل ايراده من زكاة المسلمين وجزية اهل الذمة وخمس الغنائم ، ومواريث من ليس لهم وارث من موتى المسلمين . وهذا لا ينافي القول بان ابا بكر رضي الله عنه اول من انشأ بيت المال كما سبق في اول هذه الحلقة . فأبو بكر انشأه ، وعمر نظمه .

واول من جلد في الخمر ثمانين جلدة :

روى عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم جلد في الخمر بالجريد والنعال، وجلد ابو بكر اربعين ، فلما أن ولي عمر قال : ان الناس قد دنوا من الريف ، فما ترون في حد الخمر، فقال له عبد الرحمن بن عوف : نرى أن نجعله كأخف الحدود ، فجلد فيه ثمانين ، ذكره المحب الطبري (10) في (الرياض النضرة في مناقب العشرة) (11) .

ولم يكتف رضي الله عنه باقامة الحد على شاربي الخمر، بل كان يتتبع الذين يبيعونها فيعاقبهم اشد العقاب . ويقال : انه احرق بيت رشيد الثقفي .

واول من عاقب في الهجاء :

وفي عهده اسست اول مدرسة دينية بالشام

اورد البخاري في تاريخه : ان يزيد بن ابي سفيان كتب الى عمر : قد احتاج اهل الشام الى من يعلمهم القرءان ويفقههم . فارسل معاذا (12) وعبادة (13) وابا الدرداء . فاقام عبادة بفلسطين . قال الاستاذ احمد امين في كتابه (فجر الاسلام) : فكان هؤلاء اول مؤسسي المدرسة الدينية بالشام .

واول من سن التراويح في رمضان :

سنها في السنة الرابعة عشرة هجرية .

واول من جمع الناس على امام واحد في التراويح :

ثبت في صحيح البخاري وغيره ان عمر رضي الله عنه اول من جمع الناس لصلاة التراويح، فجمعهم على أبي بن كعب (14) وأجمع المسلمون في زمنه وبعده على استحبابها .

وورد في الموطا عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمان بن عبد القاري (15) انه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب في رمضان الى المسجد ، فاذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : والله اني لاراني لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان امثل ، فجمعهم على أبي بن كعب ،

---

(10) (11) ج : 2 ص : 285 – 86 .

(12) هو معاذ بن جبل الانصاري الخزرجي الامام المقدم في علم الحلال والحرام امره – صلعم – على اليمن . قال الواقدي : كان من اجمل الرجال . توفي بالطاعون في الشام – سنة 18 هـ .

(13) ابو الوليد عبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي صحابي جليل . روى عن النبي – صلعم – كثيرا . وهو اول من ولي قضاء فلسطين توفي سنة 34 هـ .

(14) انصاري . روى عنه من الصحابة عمرو ابن عباس وابو هريرة وانس وغيرهم . وكان عمر يسميه سيد المسلمين ويقول : اقرأ يا ابي ، توفي سنة 30 هـ على أصح الاقوال .

(15) قال الواقدي : هو صحابي . وقال ابن اسحاق : هو من جملة تابعي المدينة وعلمائها . توفي سنة 81 هـ .

قال : ثم خرجت معه ليلة اخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال عمر : نعمت البدعة هذه ، والتي تنامون عنها افضل من التي تقومون ، يعني آخر الليل. وكان الناس يقومون اوله . اهـ

وروى عن ابن عثمان ان عمر دعا ثلاثة قراء في رمضان ، فأمر اسرعهم قراءة أن يقرأ ثلاثين آية ، وأوسطهم ان يقرأ خمسة وعشرين آية . وأمر ابطاهم ان يقرأ عشرين آية .

وروى أيضا انه كتب بذلك الى البدان ، وجعل بالمدينة قارئين : قارئا يصلي بالرجال وآخر يصلي بالنساء .

واول من جمع الناس في صلاة الجنائز على اربع تكبيرات :

روى البخاري ومسلم عن جابر : ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشي ، فكبر اربعا . قال الترمذي : والعمل على هذا عند أكثر اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم .

واول من جهر بالتسليم في الصلاة :

قال مجاهد : (اول من جهر واعلن بالتسليم في الصلاة عمر رضي الله عنه) ولما انكرت الانصار عليه ذلك قال : اردت أن يكون اعلاما بانتهاء الصلاة .

واول من حصب المسجد النبوي :

لما اراد رضي الله عنه أن يفرش المسجد النبوي بالحصباء قال : ابطحوا من الوادي المبارك ، يعني العقيق ، فاتوا بالحصى من العقيق (16) وفرشوا به المسجد . وانما فعل ذلك رفقا بالناس ، لانهم كانوا اذا فرغوا من صلاتهم نفضوا ايديهم وازالوا التراب عن جباههم .

واول من اتخذ للمسجد جدارا ووسعه واضاءه بالمصابيح :

نقل صاحب مرآة الحرمين (17) عن الازرقي والماوردي وغيرهما : ان المسجد الحرام كان في عهد النبي صلى الله عليهو سلم وأبي بكر ليس له جدار يحيط به ، وكان الدور محدقة به من كل جانب، وبين الدور ازقة يدخل منها الناس ، فلما استخلف عمر بن الخطاب ، اشترى دورا وهدمها ووسع بها المسجد ، وكانت تلك اول زيادة (18) وجعل للمسجد جدارا قصيرا يحيط به دون القامة ، فكانت المصابيح توضع عليه . وكان عمر أول من اتخذ للمسجد جدارا ووضع له المصابيح . هـ ولما وسعه جعل له ستة ابواب .

وقد كان لاضاءة المساجد بالمصابيح في عهده اثره البالغ في النفوس . اخرج ابن عساكر عن اسماعيل بن زياد : ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه مر على المساجد في رمضان و فيها القناديل فقال : نور الله على عمر في قبره ، كما نور علينا في مساجدنا .

واول من قال بالقول في الفرائض .

واول جد ورث في الاسلام :

ذكر السيوطي في اوائله (19) أن عمر بن الخطاب هو اول جد ورث في الاسلام . ولما اراد ان يختار المال كله قال له بعض الصحابة : يا امير المومنين انهم شجر دونك ، يعني بنيه .

واول من ورث الجدتين :

المراد بالجدتين أم الام وام الاب . وعمر رضي الله عنه هو أول من ورثهما في حال اجتماعهما .

---

(16) واد بالقرب من المدينة . كان منتزه اهل المدينة في الشتاء والربيع ولذلك أكثر الشعراء الاقدمون من ذكره في شعرهم .

(17) ابراهيم فعت باشا المليجي المصري احد أمراء الحج العسكريين توفي بالقاهرة (سنة 1353هـ 1935 م) .

(18) وقعت تلك الزيادة سنة 17 هـ .

(19) الرسائل الى معرفة الاوائل .

فعن قبيصة بن ذؤيب قال : جاءت الجدة (20) الى ابي بكر فسألته ميراثها فقال : مالك في كتاب الله شيء ، وما علمت لك في سنة رسول الله — صلعم — شيئا فارجعي حتى اسأل الناس ، فسأل الناس ، فقال المغيرة بن شعبة (21) حضرت رسول الله — صلعم — اعطاها السدس ، فقال هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الانصاري ، فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة فانفذه لها ابو بكر . قال : ثم جاءت الجدة الاخرى (22) الى عمر فسألته ميراثها قال : مالك في كتاب الله شيء ولكن هو ذلك السدس ، فان اجتمعتما فهو بينكما ، وايتكما خلت به ، فهو لها. رواه الخمسة الا النسائي وصححه الترمذي .

واول من اعال الفرائض :

العول الزيادة في السهام ، والنقص في المقادير، اي زيادة سهام الورثة على سهام الفريضة .

وعمر رضي الله عنه هو اول من اعال الفرائض. فقد سئل عن ما ينوب ورثة امراة توفيت وتركت زوجا واختين ، فقال للصحابة : ان بدات بالزوج نقصت الاختين من حقهما ، وان بدات بهما نقصته من حقه ، وقد فرض الله لهما فرضهما ، ولا ادري من قدمه الكتاب فأقدمه ، ولا من اخره فأؤخره . فاشيروا علي ، فاشار عليه العباس رضي الله عنه بأن يعولها الى سبعة ، فيدفع للزوج ثلاثة ، وللاختين اربعة ، ثم قال : ارايت لو ترك رجل ثلاثة دراهم ، ولرجل عليه ثلاثة دراهم ، ولآخر اربعة دراهم ، اليس تجعل المال سبعة اجزاء ، فقال نعم . فقال العباس هو ذاك . فقضى عمر بالعول واجمع الصحابة على حكمه .

وأول من وضع عن المسلمين العشور (23) :

كان المسلمون يؤدون لبيت المال في الضرائب والمكوس عشر أموالهم .

وعمر هو اول من وضع عنهم ما كانوا يؤدونه من ذلك ، عملا بقوله — صلعم — فيما رواه احمد وابو داوود وعن رجل من بني تغلب انه سمع رسول الله — صلعم — يقول : ليس على المسلمين عشور ، انما العشور على اليهود والنصارى .

واول من نهى عن بيع امهات الاولاد :

ذكر ابن رشد (24) في بداية المجتهد ان الثابت عن عمر رضي الله عنه انه قضى بأن لا تباع ام الولد وانها حرة من راس مال سيدها اذا مات . قال: وروي مثل ذلك عن عثمان وهو قول اكثر التابعين وجمهور فقهاء الامصار . ثم ذكر في علة المنع ما حكي عن عمر انه قال حين نهى عن بيع أمهات الاولاد: خالطت لحومنا لحومهن ، ودماؤنا دماءهن .

واول من منع نكاح المتعة (25) :

روي عن عطاء قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : تمتعنا على عهد رسول الله — صلعم — وأبي بكر ونصفا من خلافة عمر ، ثم نهى عمر الناس . واخرج ابن ماجة عن عمر باسناد صحيح أنه خطب فقال : ان رسول الله — صلعم — اذن لنا في المتعة ثلاثا ثم حرمها ، والله لا أعلم أحدا تمتع وهو محصن الا رجمته بالحجارة .

---

(20) المراد أم الام كما في بعض روايات هذا الاثر . وقبيصة راوي الاثر هو : قبيصة بن ذؤيب الخزاعي . قال ابن شهاب : كان من علماء هذه الامة توفي (سنة 86 هـ) .

(21) يرجع نسبه الى ثقيف . ولاه عمر البصرة وكان اول من وضع ديوانها ثم ولاه الكوفة . توفي (سنة 50) عند الاكثر .

(22) المراد أم الاب كما في بعض روايات الاثر .

(23) العشور جمع عشر واحد من عشرة . قال في القاموس : عشرهم يعشرهم عشرا وعشورا اخذ عشر أموالهم .

(24) أبو الوليد محمد بن احمد القرطبي الاندلسي الشهير بابن رشد الحفيد المتوفى سنة 595هـ1198م.

(25) النكاح الموقت بأمد معلوم أو مجهول .

واول من عامل بالقراض فى الاسلام (26) :

فقد جعل المال الذي اسلفه ابو موسى الاشعري امير البصرة الى ابنيه : عبد الله وعبيد الله قصد الاتجار به ، شريطة ان يؤديا راس المال الى والدهما عمر بن الخطاب ويكون الربح لهما قراضا . بعد ما اشار عليه احد جلسائه ان يجعله قراضا ، فقال عمر : قد جعلته قراضا ، ثم اخذ عمر راس المال ونصف ربحه ، واخذ ابناه نصف ربح المال .

قالوا : وهو اول قراض فى الاسلام . وقد ذكرت قصة ذلك مفصلة فى الموطأ فى كتاب القراض.

واول من اوقف وقفا فى الاسلام :

اول من اوقف وقفا يتصدق بغلته فى الاسلام هو عمر رضي الله عنه .

روى عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال : اول صدقة كانت اي موقوفة فى الاسلام صدقة عمر (27) واخرج ابن ابي شيبة ان اول حبس فى الاسلام : صدقة عمر .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اصاب عمر ارضا بخيبر ، فاتى النبي — صلعم — يستامره فيها ، فقال يا رسول الله : اني اصبت ارضا بخيبر لم اصب مالا قط هو انفس عندي منه فقال : ان شئت حبست اصلها وتصدقت بها ، قال : فتصدق بها عمر وانه لا يباع اصلها ولا يورث ولا يوهب فتصدق بها على الفقراء وفى القربى وفى الرقاب وفى سبيل الله وابن السبيل والضيف ، لا جناح على من وليها ان ياكل منها بالمعروف او يطعم صديقا غير متمول مالا . متفق عليه واللفظ لمسلم .

واول من اوقف جاريته فى الاسلام :

نص الشيخ خليل فى مختصره على حكم وقف المملوك فقال : (باب صح وقف مملوك وان باجرة ولو حيوانا ورقيقا كعبد على مرضى لم يقصد ضرره) قال شراحه : ومثل العبد الامة على اناث ، وليس له حينئذ وطؤها لان منفعتها صارت بوقفها للغير ، كالمستعارة والمرهونة .

واول من حمل الطعام من مصر الى الحجاز :

نحفر بالسويس خليجا منا لنيل الى بحر القلزم (28) فكان يحمل منه الطعام فى السفن الى ينبع ومنه الى المدينة والى جدة ومنها الى مكة . واستخدم فى حفره عمرو بن العاص (29) وكان ذلك حوالي سنة 18 هـ عام غلاء السعر بالحجاز (عام الرمادة) فقد أصاب العرب فى تلك السنة فى الحجاز وتهامة ونجد ، جدب شديد ، وانقطع الغيث تسعة اشهر ، فاسودت الارض حتى صارت كالرماد فسمي العام من أجل ذلك عام الرمادة .

واول من نسمي بيت المقدس :

ايليا هو الاسم الذي كان يطلق على بيت المقدس . واول من سماه بيت المقدس هو عمر رضي الله عنه . قال فى تهذيب الاسماء : ايليا بيت المقدس ، ثم قال نقلا عن صاحب مطالع الانوار : قيل معناه : بيت الله .

واول من تنشق عنه الارض :

سبقت الاشارة فى اوائل ابى بكر رضي الله عنه الى حديث ابن عمر فى الموضوع .

واول من قال : ايدك الله :

قالها لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

واول من قال : اطال الله بقاءك :

تكلم علي بحضرته ذات يوم فى العدل بكلام اعجبه فقال له : صدقت ، اطال الله بقاءك .

مكناس : محمد العرائشي

---

(26) صفة القراض هي : ان يعطي الرجل المال على ان يتجربه بجزء معلوم ياخذه العامل من ربح المال اي جزء كان مما يتفقان عليه : ثلثا او ربعا او نصفا .

(27) ذكره القسطلاني فى شرحه على صحيح البخاري ج : 5 ص : 26 — باب الوقف.

(28) بحر داخلي تمتد حدوده ما بين أوربا وآسيا ، يبتدىء حيث انتهى البحر الهندي ، وينتهي الى مدينة القلزم ، تقع على ساحله الشرقي بلاد العرب ، وعلى ساحله الغربي بلاد اليمن .

(29) ابو عبد الله السهمي القرشي يعتبر من زعماء العرب وقادات الراي فيهم . ولاه النبي — صلعم — امرة جيش ذات السلاسل ، وولاه عمر فلسطين ثم مصر فافتتحها ، توفى (سنة 43 هـ — 664 م) .

المغــــرب :

● صدر عن وزارة الاوقـــاف والشــؤون الاســلاميـــة كتـــاب الاربعين الطبية بتحقيق الاستاذ عبد الله كنون، وهو يشتمل على اربعين حديثا نبويا مستخرجا من سنن ابن ماجة مع شرحها وضبطها من انجاز الطبيب العربـي الشهير العلامة عبـد اللطيف البغــدادي ، وعمل تلميذه الحافـظ محمـــد بن يوســف البرزالــي .

وقد كتب السيد وزير الاوقـــاف والشؤون الاسلامية كلمة تقديم أبرز فيها اهمية الكتاب باعتباره من الطرائف العلمية التى تمثل لونـــا رفيعا مـــن الحضارة العربية الاسلامية .

ويتضمن الكتاب مجموعة فوائد وتوجيهـــات طبية تفيد صحة الانسان أثبت العلم الحديث جدواها وقيمتها ، وكلها من أحاديث الرسول الاعظـــم عليه الســـلام .

● صدر فى الجريدة الرسمية مرسوم ينص على ان جامعة القرويين بفاس تشتمل على المؤسسات الجامعية التالية :

– كلية الشريعة بفاس

– كلية اللغة العربية بمراكش

– كلية أصول الدين بتطوان

– كلية الشريعة باكاديـــر .

● (الزمان المغربي) مجلة ثقافيـــة صـــدرت بمدينة الرباط بادارة السيـــد سعيـــد علـــوش . تقع فى 200 صفحـــــة .

● أصدر الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة الجزء الاول مـــن موسوعتـــه الجديــــدة « أعلام المغرب العربي » وتبتـــدىء بحرف الالف و (أبو حـــ) .

● صدرت للكاتبة رفيقة الطبيعة مجموعة قصص جديدة بعنوان « رياح السموم » .

● « وجه فى المرايا » مجموعة قصص صدرت مؤخرا للكاتب أحمد زبادي .

● صدرت بفاس مجلة (اللواء) بادارة السيـــد محمد عادل . والمجلة تعني بنشر الوعي المـــرحي العلمي . تقع المجلة فى 75 صفحة .

● (التلميذ) مجلة للصغار صدرت بمدينة الدار البيضاء بادارة السيد مصطفى رسام .

المجلة الجديدة تجربة مهمة بالنسبة لعالـــم الاطفـــال .

● أصدر المجلس البلدي لمدينة فاس العـــدد الاول من مجلته الهامة باسم (نشرة المجلس البلدي لمدينة فاس) فى 185 صفحة .

● صدرت أخيرا للكاتب المغربي محمد زفـــزاف رواية جديدة بعنوان « الافعى والبحر » .

للكاتب ثلاث روايات أخرى هـــي : « المـــراة والوردة » « أرصفة وجدران » « قبور فى الماء » بالاضافة الى ثلاث مجموعات قصصية : « حوار فى ليل متاخر » ، « بيوت واطئة » ، « والأقوى » .

● نظمت جمعية « ثقافة وتقدم » بسلا وبتعاون مع السفارة الايطالية أياما ثقافية تحت شعار « مساهمة الفكر الاسلامي في تطور العلوم والآداب الاوروبية » .

المملكة العربية السعودية :



● صدرت للكاتب السعودي الاستاذ غالب حمزة ابو الفرج رواية طويلة عن المسيرة الخضراء بهذا العنوان. وهي من الادب السياسي الملتزم بالاصالة والقيم والحق .

وقد حفلت بها الصحافة السعودية . كما نشرت عنها صحيفة الشرق الاوسط اللندنية تعريفا موسعا .

● تم بالعربية السعودية اكتشاف موقع أثري هام يحتوي على آثار رومانية وابنية للمعابد القديمة يعود تاريخه الى مملكة الانباط التي كانت قائمة منذ الفي عام . ويقع في منطقة القسيم على الطريق الموصل من هذه المنطقة الى المدينة المنورة .

وصرح الدكتور عبد الله المصري مدير مصلحة الآثار بالعربية السعودية ان هذا الاكتشاف يعتبر احدث اكتشاف في مملكة الانباط التي كانت تقيم في منطقة مدائن صالح .

ومن جهة اخرى خصصت العربية السعودية مبلغ 60 مليون ريال هذا العام للحفاظ على المعالم التاريخية والاثرية في السعودية .



● من مطبوعات مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، في جامعة الملك عبد العزيز ، بمكة المكرمة صدر ـ حديثا ـ من تأليف الاستاذ عبد السلام محمد هارون ـ كتاب جديد بعنوان : « تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب » .

مصر :

● « رحلة الى شمس المغرب » كتاب جديد صدر بالقاهرة للكاتب عبد الفتاح زرق وهو في أدب الرحلات ويصف رحلة الى بلدان المغرب العربي ويعرف بتاريخها وحضارتها وادبائها وحركتها الثقافية .

● تقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم حاليا بترجمة كتاب الطب للعلامة ـ أبو بكر الرازي ـ الى اللغة الانجليزية والتعريف بالدور الرائد للعلماء المسلمين في ارساء اصول واسس علوم الطب .

كما تصدر المنظمة اول معجم كبير باللغتين الاسبانية والعربية .

● (الخيال الشعري عند ابي الطيب المتنبي) ، كتاب جديد صدر في القاهرة مؤخرا للدكتور طه مصطفى أبو جريشة ، الاستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

● (شعراء مصر العربية خلال عصور التاريخ منذ قيام الاسلام في مصر وظهور بنية ادبية فيها) موسوعة علمية جديدة للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .

● اصدر الدكتور ابو الوفاء التفتازاني كتاب (ابن سبعين وفلسفته الصوفية) وكتاب (الانسان والكون فى الاسلام) .

● « معجم تيمور الكبير فى الالفاظ العامية » .. تأليف احمد تيمور ، قام باعداده وتحقيقه الدكتور حسين نصار صدر منه الجزء الثاني ويتضمن (الالف ـ الباء ـ التاء) .

● انتهت زينب سعد زغلول ابو سنة ، من اعداد رسالتها لنيل درجة الماجستير من كلية الاداب بجامعة القاهرة (قسم اللغات الشرقية) عن الاديب العثماني (رجائي زاده محمود أكرم) وذلك تحت اشراف الدكتور أحمد السعيد سليمان ، رئيس قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

● « قبل أن اعترف » كتاب جديد للكاتب الصحفي الراحل فتحي الرملي اصدرته أسرته فى ذكرى وفاته الثانية .. وهو تقليد اتبعته بطبع واحد من مؤلفاته فى ذكراه بدلا من الاحتفال التقليدي .

● صدرت طبعة جديدة من كتاب « التراجم الشخصية » للدكتور شوقي ضيف .. ويتعرض فيه المؤلف لاشهر تراجم السيرة الشخصية سواء فى العصر الاسلامي الزاهر مثل ابن الهيثم وابن سيناء فى الفلسفة والغزالي فى التصوف وابن خلدون فى السياسة ، أو فى العصر الحديث مثل طه حسين فى « الايام » ود. أحمد أمين فى كتابه « حياتي » .

● مجموعة قصص قصيرة كان يعدها الكاتب المرحوم محمد عبد الحليم عبد الله لنشرها فى كتاب قبل وفاته اسمها « الدموع الخرساء » قامت أرملته بطبعها على نفقتها وصدرت فى ذكرى وفاته التاسعة.

العــراق :

● عن وزارة الثقافة والفنون العراقية صدر مؤخرا ، فى بغداد ضمن سلسلة المعاجم والفهارس والادلة الببليوغرافية التي تصدرها الوزارة كتاب « معجم المسرحيات العربية والمعربة 1848 ـ 1975 م » من تاليف يوسف اسعد داغر .

لبنــان :

● عن المؤسسة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ـ صدر فى بيروت مؤخرا كتاب جديد فى ـ شعر بدر شاكر السياب ـ من تاليف الشاعر حسن توفيق .

● صدر للدكتور الياس فرح كتاب جديد بعنوان: « مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية » .

سوريــا :

● صدر في حلب ديوان شعر جديد للشاعر السوري الاستاذ انور عدي بعنوان : « انسان » يهديه الى « كل انسان يعيش ايقاعات الله فى كونه ، كخليفة له فى أرضه » .

يقع الديوان فى 100 صفحة من الحجم الصغير .

وقد تفضل الشاعر فاهدى « لدعوة الحق » نسخة من ديوانه .

باكستــان :

● تصدر في باكستان مجلة اسلامية ممتازة اللغة العربية بعنوان : « الدراسات الاسلامية » يصدرها مجمع البحوث الاسلامية باسلام آباد .

العدد الاخير منها خاص عن العبادة ، وتتضمن ابحاثا قيمة مثل العبادة عند ابن تيمية ، العبادة عند اقبال ، العبادة عند الشاه ولى الله الدهلوى ، فكرة العبادة فى الاسلام ، عبادة الله حقيقة وغاية ، نظرية الاسلام حول العبادة ... الخ .

● شهريات الفكر والثقافة

ماليزيا :

● وجهت الدعوة الى 47 بلدا للاشتراك فى مسابقة تلاوة القرءان الكريم التي ستعقد فى كوالالمبور ابتداء من 12 أغسطس الجاري .

ومما يذكر ان جميع هذه البلاد فيما عدا سبعة منها اعضاء فى المؤتمر الاسلامي وهي بروني والفيلبين والهند وتايلاند ونيجيريا وسري لانكا وسنغافورة .. ومن المقرر أن تجري المسابقة على ثلاثة أيام ويفتتحها ملك ماليزيا ..

فرنسا :

● صدر كتاب جديد عن « النزعة الانسانية فى الاسلام » من تأليف مارسيل بواسار .

ويهدف الكتاب الى تفهم أوضح للحضارة الاسلامية ومكوناتها ، فهي من أولى الحضارات التي اهتمت بتعميق العلاقات الانسانية بين شعوب العالم .

● نوقشت اخيرا بجامعة السوربون بباريس اطروحة الاستاذ جيرمان عياش استاذ التاريخ بكلية الاداب بالرباط حول موضوع « جذور حرب الريف » .

انجلترا :

● صدرت فى لندن مجلة باللغة العربية باسم « طريق الحق » . وهي فكرية اسلامية . وصلنا منها العددان الاول والثاني من سنتها الاولى . من مواد العدد الاول : قانون الشمول التربوي للكون ، الإعلام الاسلامي ، القرءان وعلم اللغة الحديث ، نظرة الغرب للمراة المسلمة .. الخ .

● « الرواية الانجليزية » آخر كتاب للدكتورة انجيل بطرس سمعان أستاذة الادب الانجليزي بكلية الآداب جامعة القاهرة . يتناول الكتاب مراحل تطور الرواية الانجليزية منذ نشأتها حتى الآن كما يتناول بالتحليل اعمال بعض كتاب الرواية .

يعتبر الكتاب أول مصدر باللغة العربية عن تطور فن الرواية الانجليزية .

صقلية :

● عقد مؤخرا فى مدينة سيراكوزا بصقلية المؤتمر الدولي الاول عن حماية حقوق الانسان فى النظام الجنائي الاسلامي بمقر المعهد الدولي للعلوم الجنائية .

وقد قرر المؤتمر بالاجماع (سواء وفود الدول الاسلامية وغير الاسلامية) فى نهاية المناقشات ان الشريعة الاسلامية تنسجم تماما نصا وروحا بالنسبة لحماية حقوق المتهمين مع المبادىء الاساسية لحقوق الانسان طبقا للقانون الدولي كما أنها تنسجم تماما مع ما يمنحه دستور وقوانين الدول الاسلامية وغير الاسلامية من احترام للمساواة بين جميع الناس ولكرامتهم ، كذلك أقر المؤتمر بالاجماع أن من بين الحقوق الاساسية للانسان وفقا لروح ومبادىء الشريعة الاسلامية ، الحقوق التالية للمتهمين :

1 — حق التخلص من الاعتقال والقبض التعسفي والتعذيب أو الابادة المادية

2 — حق المرء فى ان يعتبر نفسه بريئا الى ادانته من قبل المحكمة .

3 — تطبيق مبدأ الشرعية التي يحق للمتهم بموجبها ان يحاكم طبقا لجرائم نص عليها القرءان الكريم او لجرائم أخرى حددت معناها ومضمونها الشريعة الاسلامية أو قانون جنائي قائم على أساسها

4 — حق المثول أمام محكمة مختصة

5 — الحق فى محاكمة علنية عادلة

6 ــ الحق فى عدم ارغام المرء على الادلاء بشهادته كرهـــا منـــه

7 ــ الحق فى تقديم الادلة والشهود للدفاع عن المرء

8 ــ الحق فى اختيار محامي الدفاع الذي يريـــده المتهـــم

9 ــ الحق فى اتخاذ قرار يقوم على اساس ادلـــة مقبولـــة قانونـــا

10 ــ حق الاعلان عن القرار بشأن المحاكمة

11 ــ حق الاستفادة من روح الرأفة وأهداف رد الاعتبـــار

12 ــ حـــق استئنـــاف الحكـــم

واكد المؤتمرون بصفة شخصية ان اي انحراف عن هذه المبادىء المشار اليها بشكل انتهاكا خطيرا للشريعة الاسلامية وحقوق الانسان .

● صـــدر الجـــزء السابـــع مـــن موسوعـــة **(التمهيد لما فى الموطا من المعانـــي والاسانيـــد)** للامام الحافظ ابن عبد البر الذي تقوم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بطبعه تباعا بأمر من صاحـــب الجلالة امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله .

وهذا الجزء يقع فى 298 صفحـــة من نفس الحجم صدر عن (مطبعة فضالـــة) بالمحمديـــة بتحقيق العلامة السيد عبد الله ابن الصديق .

التمهيد

لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

تأليف

الجزء السابع

تحقيق

عبد الله بن الصديق

1399هـ - 1979م

المسابقة الخامسة
حول اللغة العربية

● سبق لمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي أن أعلن عن تنظيم مسابقة الغاية منها تقديم مخطوط في اللغة العربية له قيمة علمية في دفع حركة التطور اللغوي المعاصر أو دراسة بيانية عن أسلوب الاستدارة في الكتابة الأدبيـــــة .

وتظرا لعدم توصل المكتب بالعدد الكافي من الابحاث المساهمة ، وتلبية لرغبة العديد من الباحثين ، فقد مدد الاجل المخصـــص لتقبـــل الابحاث المشاركة لغاية فاتح نوفمبر 1979 ..

وهذا نص المذكرة التي صدرت في هذا الموضوع :

تحقيقا لرغبة العديد من الباحثين والمتخصصين في مجال اللغة العربية وآدابها فان مكتب تنسيق التعريب قد قرر تمديد أجل تقبـــل المساهمات والترشيحات المتعلقة بالمسابقة الخامسة التي سبق ان أعلن عن تنظيمها في موضوعين هامين هما :

1 ـ تقديم مخطوط في اللغة العربية (لم يسبق نشره) له قيمة علمية في دفع حركة التطور اللغوي المعاصر (تحقيق ودراسة) .

2 ـ دراسة بيانية (لم يسبق نشرها) عن أسلوب الاستدارة في الكتابة الادبية (تنظير وتطبيق) .

ويشترط في التقديم لهذه المسابقة مراعاة ما يلي :

أ ـ أن لا تقل الدراسة عن مائة وخمسين صحيفة من الحجـــم المتوســـط .

ب ـ يجوز اشتراك أكثر من شخص في البحث الوحد ، وفي هذه الحالة تقسم الجائزة بالتساوي بين المشتركين .

ج ـ تقبل الوثائق والبحوث ابتداء من الآن لغاية أول نوفمبر .

د ـ يرسل البحث (في نسختين) الى مقر مكتـــب تنسيـــق التعريب ـ 10 زنقة انكولا ـ ص. ب. 290 ـ الربـــاط ـ المملكـــة المغربيـــــة ..



للشاعر الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

يا عيدُ يومُك سيِّدُ الأيَّامِ
فِيهِ سَمَوتُ إلى أجَلِّ مَقامِ

ودَّعتُ فِيهِ مَخاوفي ونقائِصي
ونعِمتُ فِيهِ براحةٍ وسَلامِ

صَالحتُ أعدائي، وزرتُ أحِبَّتي
ووَصَلتُ مَا أهملتُ من أرحامي

ومددتُ كفِّي للأنامِ مصافحاً
مُستغفراً مَا فاتَ من آثامي

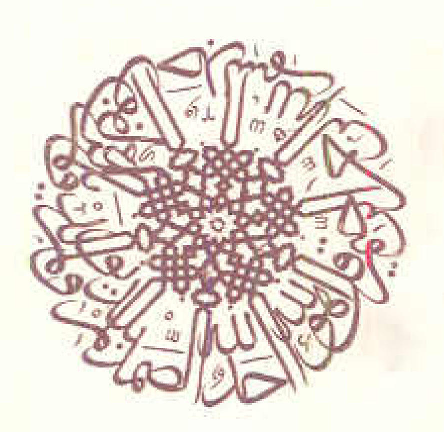
وانسلَّتِ الأحقادُ من قلبي كمَا
تنسَلُّ مِن فجرٍ خيوطُ ظَلامِ

وشعرتُ إنِّي في السَّماواتِ العُلاَ
مَلَكٌ يُرفرِفُ عاطِرَ الأنسَامِ

فحَمِدتُ مَن جعلَ المحبَّةَ دينَهُ
وشكرتُه عَن نِعْمةِ الإسْلاَمِ

عيد الفطر 1399 (1979)

مطبعة فضالة — المحمدية (المغرب)



الثمـن : 7.50 درهمـا